الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة منتوري قسنطينة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

رقم الإيداع :................
رقم التسجيل:.................

عيوب النطق عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين
-دراسة لغوية-

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللغويات

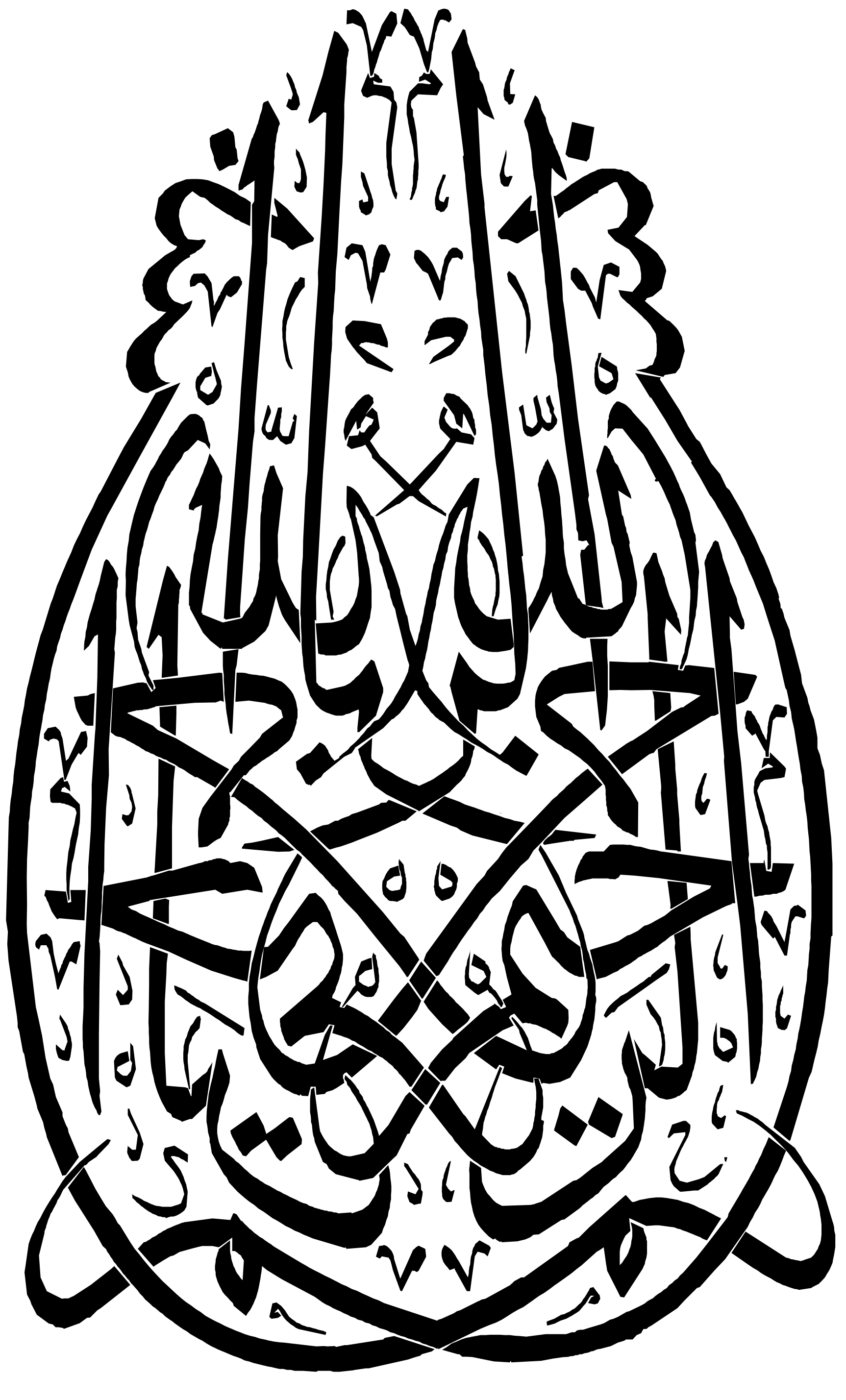
إعداد الطالبة:
نورة مروش

إشراف الأستاذ الدكتور:
عبد الله بوخلخال

لجنة المناقشـــــــة

الاسم واللقب	الرتبة العلميّة	الجامعة الأصليّة	الصّفة
محيي الدين سالم	أستاذ التعليم العالي	جامعة قسنطينة1	رئيسا
عبد الله بوخلخال	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	مشرفا ومقررا
أحمد غرس الله	أستاذ التعليم العالي	جامعة قسنطينة1	عضوا مناقشا
صالح خديش	أستاذ التعليم العالي	جامعة خنشلة	عضوا مناقشا

السنـة الجامعيـة:
1433-1434هـ/2012-2013م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله الذي منّ عليّ بفضله، وأعانني بلطفه وتوفيقه، على إنجاز هذا البحث، الذي أرجو من الله العلي القدير أن يكون خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلبة العلم، وأن يحظى بالقبول في الدنيا والآخرة...

كما أتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذي المشرف الفاضل.

الأستاذ الدكتور: عبد الله بوخلخال.

الذي ما بخل عليّ بنصائحه السديدة يوما، ولا تذمر من أخطائي، ولم يزل يتعهد البحث بالرعاية إلى آخر لمسة، فكان بذلك نعم المشرف، ونعم السند.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من قدم لي يد العون من قريب أو من بعيد.

والشكر موصول إلى السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة، على تفضلهم بقراءة البحث، والتكرم بمناقشته، وإسدائهم الملاحظات والتوجيهات.

مقدمـــة

الحمد لله، وبه نستعين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى سلفه المختارين، سيدنا إبراهيم وعيسى ومن بينهما من الأنبياء والمرسلين ...

أما بعد:

قد يكون من الصعب على الباحث تحديد أسباب اختياره موضوعا دون سواه، ميدانا لدراسته؛ لأنّ اختيار موضوع البحث لا يأتي نتيجة عامل محدد، ينتهي بالباحث إلى اتّخاذ قرار فاصل بطرق الموضوع، وإنما ينشأ تدريجيا وينمو على شكل رغبة عامة، ثم يجد من العوامل ما يؤكدها ويقويها.

في البدء كانت لدي رغبة في أن أتناول بالدراسة موضوعا لغويا تقابليا بين النحو العربي القديم والنحو التحويلي التوليدي الحديث، غير أن الأستاذ الدكتور : عبد الله بوخلخال نصحني بالإقلاع عن التفكير في مثل هذا الموضوع؛ لاتساع حدوده وتشعب مسالكه، واقترح عليّ الخوض في موضوع عيوب النطق من خلال (البيان والتبيين).

لم تكن موافقتي على موضوع الدراسة موافقة آنية، لأنني عكفت أولا على قراءة عينة من تصانيف أبي عثمان الجاحظ وعلى رأسها كتاب (البيان والتبيين).

تمخضت عن القراءة السابقة ألفة حميمية لا قبل لي بها، قطعت عليّ طريق الرجعة، ومضيت في عزم معالجة الموضوع المقترح الذي شملته الصفحات الموسومة بـــ « **ذكر الحروف التي تدخلها اللثغة وما يحضرني منها** »، ومما دفعني إلى دراسة هذا الموضوع أهميته التي تكمن في استنطاق مدونة قديمة تناولت أفكارا عميقة وقضايا لغوية دقيقة، ليس من السهل تحليلها، وما زاد من أهمية الموضوع وصعوبته في الآن ذاته، ارتباطه بشخصية ممثلة في الجاحظ الذي مثلت ثقافته أزهى الثقافات تأليفا وتصنيفا وترجمة؛ فمصنفاته صورة عاكسة لأفكار المعتزلة؛ الذين يتخذون من العقل سلطانا لهم، يهتدون به في تحليلاتهم وتأملاتهم واستقصاءاتهم؛ إضافة إلى هذا ينحصر الهدف المتوخى من إجراء هذه الدراسة في استنطاق عينة من موروث عربي، من شأن هذا الاستنطاق أن يربط التراث بالمعاصرة؛ إذا درس من منظور حداثي، فيبعثه من مرقده من جديد.

إذا كان أبو عثمان الجاحظ يهدف من وراء تأليف كتابه (البيان والتبيين) إلى تحقيق غاية الفهم والإفهام بين قطبي عملية التواصل وهما : المتكلم والمتلقي؛ فما المعوّقات التي تحول دون

تحقيق غاية البيان؟ وما الصور المعيبة له؟ ما أنواعها، ومفاهيمها وأسماؤها الدالة عليها؟ وما منهج الجاحظ في دراستها ؟ وهل أفاد أبو عثمان من الزخم الثقافي الذي ميّز عصره، سواء تعلق الأمر بالثقافة العربية الأصيلة أم الأجنبية الدخيلة؟

مثلت الأسئلة المتدرجة السابقة إشكالية البحث؛ وقصد الإجابة عن الأسئلة جميعها إجابة شافية كافية، كان لا مناص من أن ينبني البحث على مدخل وثلاثة فصول؛ عالجت في المدخل إشكالية المصطلح؛ فتضارب المفاهيم الاصطلاحية لعيوب النطق أفرز بلبلة وفوضى المصطلح، وقصد الخروج منها عمدتُ إلى ضبط المصطلح العام للبحث، أردفته بعريف مركزة لأبي عثمان الجاحظ وكتابه (البيان والتبيين)، وكان التعريف بمدونة البحث آخر عنصر في المدخل.

يلي المدخل فصل أول عنونته بـــ : «**تاريخ عيوب النطق بين تراث الأعاجم وتراث العرب**»، إذ من المفترض أن يكون أبو عثمان الجاحظ قد نهل من معين الثقافات التي شهدها عصره؛ وإذا ما كان هذا الافتراض مؤسسا له أمكننا إحلال آراء أبي عثمان –فيما يتعلق بموضوع البحث– محلها الطبيعي من تلك الثقافات؛ ومن ثمّة تقييمها تقييما موضوعيا.

أخذ مني هذا الفصل التاريخي كلّ مأخذ، وذلك لاعتبارات شتى يمكن إجمالها في أمرين :

- تعذر إمكانية تحري الدقة العلمية بسبب أن تراث الأعاجم موغل في القدم، ناهيك عن تشعب مسالكه.
- عدم انتظام عيوب النطق ضمن مصنف مستقل بها؛ لقد كانت عبارة عن جزئيات معرفية انتظمتها مباحث لغوية، أدبية وحتى طبية، مثلما هو الحال عند اليونان؛ فلطالما اختلطت مباحث الطب، بمباحث الأدب، وكذا بمباحث اللغة ضمن ما عرف عندهم آنذاك بالفلسفة.

لما كانت عيوب النطق انحرافات تمس تقطيع الأصوات ضمن سلسلة الكلام، توجب فرد فصل ثان موسوم بـــ «**معايير النطق بالأصوات اللغوية العربية**» اندرجت تحته ثلاثة مباحث؛ عالجت في المبحث الأوّل علم الأصوات الفونولوجي، في حين تناولت بالدراسة في المبحث الثاني علم الأصوات النطقي، وخصصت المبحث الثالث لدراسة صفات الأصوات اللغوية من خلال علم الأصوات السمعي.

ساقني الفصل الثاني إلى ضرورة إفراد الفصل الثالث والأخير الموسوم بـــ: «**عيوب النطق في البيان والتبيين**»؛ يندرج تحت هذا العنوان مبحثان اثنان، أما المبحث الأوّل فَوَسَمْتُه

بـ«**عيوب النطق في ظل نظرية البيان**»، في حين كان عنوان المبحث الثاني : «**عيوب النطق في البيان والتبيين**»، استنادًا إلى المدونة الموسومة بــ: «**ذكر الحروف التي تدخلها اللثغة وما يحضرني منها**». عالجت في هذا المبحث جملة من القضايا تمثلت فيما يأتي:

- دراسة عينة من عيوب النطق : اللثغة – اللكنة واللحن.
- أهمية جهاز النطق، أدواؤه، وطرائق علاجها.
- منهج الجاحظ في دراسته موضوع عيوب النطق.
- منقولات الجاحظ عن الأعاجم والعرب.

ذيلت هذا المبحث بجداول تصنيفية لعيوب النطق حسب ما يأتي:

- عيوب نطق ذات منشأ فسيولوجي.
- عيوب نطق عارضة يمليها مقام معين.
- عيوب نطق منشؤها نطق الأعاجم للعربية.

ومسايرة لمنهجية أبي عثمان الجاحظ في عرضه لمواد عيوب النطق، سرنا في الجداول التوضيحية على الوتيرة الآتية :

- اللفظة الدالة على العيب النطقي، تعريفها، فشاهدها، فمثالها، فمرجعيتها من (البيان والتبيين).

تباينت الأدوات المنهجية المعتمدة في إعداد هذا البحث، بتباين طبيعة فصوله؛ فطبيعة الفصل الأوّل اقتضت مني الاستعانة بالمنهج التاريخي والاستقصائي، في حين توسلت في الفصلين الآخرين بالمنهج الوصفي التحليلي.

حظي فكر أبي عثمان الجاحظ وآثاره بعناية الدارسين منذ القدم إلى يومنا هذا؛ فأثمرت هذه العناية كثرة المصنفات والدراسات؛ ورغم هذه الكثرة لم نعثر على مؤلف أفرده صاحبه لمعالجة موضوع عيوب النطق، نستثني من ذلك مقالات مقتضبة وصفحات مركزة. فهذا ما اضطرني إلى الاستعانة بالكثير من الكتب، لاتساع حدود الدراسة، وتشعب مسالكها فقد ألزمني البعد التأريخي للفصل الأوّل للاطلاع على كتب تأريخية مثل: في تحقيق ما للهند من مقولة للبيروني، والفهرست لابن النديم، والمقدمة لابن خلدون، واقتضت مني طبيعة الفصل الثاني الاستعانة بمصادر ومراجع لغوية مثل معجم العين للفراهيدي والكتاب لسيبويه.

وساقني الجانب المرضي لعيوب النطق إلى الإفادة من كتاب أمراض الكلام لمصطفى فهمي، وكذا كتاب اللغة واضطرابات النطق والكلام لمؤلفه محمد فيصل خير الزراد.

وقد تصدر قائمة الكتب السابقة : القرآن الكريم دون أن أنسى كتاب (البيان والتبيين) الذي لازمني طيلة إنجاز فصول الرسالة.

من العناصر التقليدية في إنجاز مقدمات الرسائل الجامعية، أن يتطرّق الباحثون إلى سرد الصعوبات التي واجهتهم أثناء البحث، فيطنبون في ذكرها، وكأنهم يكتشفون جديدا لم يكونوا يتوقعونه عند بداية البحث؛ إذ من الجائز بل من المفروض في نظرهم أن يتم البحث دون صعوبات؛ وإذ أنني لا أطنب في ذكرها ، فلا يعني أنني لم أكابدها، بل لأنني أعتبرها جزءا من عملية البحث، ولعلها الجزء الأساسي منه، والذي لولاه لفقد البحث العلمي الكثير من المتعة الناتجة عن هذه المعاناة.

أخيرا، أتوجه إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور: عبد الله بوخلخال بكل الامتنان والتقدير، فإليه يرجع كل الفضل في احتضان هذا البحث منذ أن كان فكرة إلى أن خرج من الديجور إلى النور، فأسأل الله ﷻ أن يجزيه خير الجزاء.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر لأعضاء لجنة المناقشة الموقرين الذين لم يبخلوا عليّ بملاحظاتهم، وتوجيهاتهم للارتقاء بمستوى هذا البحث إلى ما هو أحسن وأفضل.

مـــدخــل

■ **تمهيــــد:**

من المسلّم به أن اللّغة شأنها شأن النظم الاجتماعية، ترتكز على معايير محددة، توجب على الفرد مراعاتها « فهو يحاول دائما أن يراعي المقاييس الاجتماعية، في نفس الوقت الذي يسعى فيه إلى إرضاء فرديته، وكما يميل المرء إلى المطابقة في ملبسه ومأكله وطريقة معيشته بصفة عامة، يسعى إلى المطابقة في لغته »[1].

يتخذ الانحراف عن المعايير اللغوية شكلين؛ فقد يكون الانحراف إراديا مثلما هو حاصل لدى بعض الأدباء الذين يرون الاحتكام إلى معايير اللغة طوقا لروحهم الإبداعية، وما مصطلح الضرورة الشعرية إلاّ مراعاة لمعايير موسيقى الشِّعر على حساب معايير وقواعد اللغة.

وقد يكون الانحراف لا إراديا؛ بمعنى لا دخل لإرادة الفرد في حدوثه؛ بل يكون ناجما عن علّة ذات مصدر عضوي، أو نفسي أو وظيفي.

وتختلف ردود فعل المجتمع من صاحب السلوك اللغوي المنحرف؛ فقد تكون « مقاومة تكفل ردّ الأمور إلى نصابها الصحيح، وتأخذ المخالف ببعض أنواع الجزاء »[2].

ويتخذ الجزاء عموما شكل عقوبة معنوية، تتدرج من الاستهزاء وصولا إلى المقاطعة، وقد يتخذ الجزاء منعرجا آخر، فيتقبل بعض أفراد المجتمع ما ينجم عن الشاعر من انحراف لغوي، فيكون إيجابيا؛ يسعى إلى إيجاد أساليب علاجية تهدف إلى تقويم الانحراف، فالمتخصّصون في تقويم اعوجاج النّطق، يشخّصون الدّاء من جميع جوانبه، وبناء عليه يعمدون إلى العلاج أي التقويم.

تباينت وجهات نظر الباحثين العرب قديما وحديثا حول ضبط مصطلح جامع مانع، يحتوي مفهوم انحراف السلوك اللغوي المنطوق، لذا عمدنا إلى إجراء مقاربة لغوية، عسى أن نضبط مصطلحا معبرا عن هذا الانحراف؛ الذي يدور حوله موضوع الدراسة، أضف إلى ذلك أن مراعاة قواعد البحث العلمي تستدعي ذلك .

---

1 – تمام، حسان: اللغة بين المعيارية والوصفية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د، ط)، 1958، ص 55.

2 – علي عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، ص 4.

1 - في إشكالية المصطلح:

يتوقف المحصول المعرفي، لأيِّ باحث كان في أي تخصص كان، على مدى تحكمه في زمام مصطلحاته التي تؤهله لاستيعاب مبادئ ومستغلقات أي علم؛ لأن مصطلحات أيِّ قطاع معرفي تمثل مفاتيحه وأركانه المؤسسة لبنائه المعرفي، يقول ابن خلدون (ت 808هـ): «فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذ إلى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائما على فهمها»[1]، وعلى الرغم من أن المصطلح يمثل « مواضعة مضاعفة؛ إذ يتحول إلى اصطلاح في صلب الاصطلاح»[2]؛ فإننا نجد تباينا يصل إلى درجة التضارب بين المصطلحات الدالة على مفهوم واحد، الأمر الذي طبع المصطلح العربي بطابع الفوضى، الذي يزج بالباحث في شراك الحيرة والبلبلة؛ فكثيرا ما يعبر عن مفهوم واحد بصيغ تناوبية، أو شروحات مطنبة، تنافي مبدأ صوغ المصطلح، بل وكثيرا ما تختلف المصطلحات الدالة على معان واحدة، وقد يترجم المصطلح الأروبي بلفظ معين مرّة، ثم يترجم بلفظ آخر في الكتاب ذاته، ومنهم من يترجم مصطلحين مختلفين بلفظ واحد، ومنهم من يدل بمصطلح عربي قديم محدد المعنى، على تصور جديد[3].

وخروجا من غوغائية المصطلح العربي، واقتفاء بمنهجية البحث العلمي، سعينا إلى ضبط مصطلح موضوع البحث الذي يدور حول انحراف السلوك اللغوي المنطوق للفرد، مثلما تنص عليه مدوّنة البحث المتضمنة في كتاب (البيان والتبيين).

لقد عرف الدرس العربي الحديث اختلافا بل تضاربا في تداول المصطلحات المعبرة عن الظاهرة المشار إليها سلفا، ومما يُؤسف له حقا أن يتّخذ كتاب واحد موطنا لتضارب المصطلحات المعبّرة عن مفهوم واحد؛ يقول رمضان عبد التواب: « والرُّتَّةُ في معاجم اللغة تطلق على أحد أمرين: أحدهما عام وهو « عجلة في الكلام وقلة أناة »، والثاني عيب من عيوب النطق وأمراض الكلام»[4]، وفي السياق ذاته يعلن أحمد مختار عمر بأنّ: «عمل المدرس أن يتعرف على مشكلة

---

[1] – ابن خلدون، عبد الرحمن: تاريخ العلامة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، مكتبة المدرسة، بيروت، (د،ط)، 1982، ص 1069.

[2] – عبد السلام، المسدي: قاموس اللسانيات (عربي – فرنسي)، (فرنسي – عربي)، مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، تونس (د، ط)، 1984، ص 13.

[3] – محمود، السعران: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ط) (د، ت)، هوامش ص 29– ص34.

[4] – رمضان، عبد التواب: فصول في فقه العربية، ص 126.

الطالب الصوتية، ويعرف سبب انحراف نطقه عن المعيار»[1]، ويقول في مواضع سابقة من المقال نفسه: « وعلم الأصوات يتدخل لعلاج هذه العيوب وغيرها »[2]، ويصرح في كتاب آخر: «وعلى تصحيح النطق Phonetrics، يعطى اهتمام لكل عيوب النطق »[3]، وعلى الرغم من عَنونة مصطفى فهمي كتابه بـــ (أمراض الكلام)، فإنّه لا يتردد في توظيف مصطلحات عيوب النطق والعيوب الكلامية والاضطرابات والمظاهر الكلامية المرضية[4].

كما عرف كتاب (علم الأصوات اللغوية وعيوب النطق)، فوضى المصطلح ذاتها، وهذا ما يشير إليه عنوان الكتاب، الذي يدل على توحد مصطلح عيوب النطق، لكن عند تصفح مضامين الكتاب، نجد مؤلِفَه قد أسرف في تداول مصطلحات أخرى، دونما ضوابط، وكأن المصطلحات تترادف فيما بينها، وهي: عيوب اللغة، عيوب الكلام، اضطرابات الكلام، أمراض اللغة[5].

و لم تنجُ صفحات كتاب (اللغة واضطرابات النطق والكلام) [6] من فوضى المصطلح نفسها.

نجد في مقابل الطائفة السابقة، قلّة قليلة ممن تداولت مصطلحا واحدا، أو حاولت تبرير ذاك التداول؛ لقد اصطلح تمام حسان على تسمية انحراف السلوك اللغوي المنطوق للفرد بـــ "العيوب النطقية"؛ يقول: « وقد يقول قائل: ما للتطور اللغوي أو ما للشخصية وأثرها في اللغة والعيوب النطقية؟» [7].

كما وظف محمود فهمي حجازي المصطلح نفسه، وهو يقول: « ويعني الجاحظ بكل من الحبسة والحكة عيبين من عيوب النطق على المستوى الفردي » [8].

---

1 – أحمد مختار عمر: "الدراسات الصوتية وتعليم اللغة العربية للأجانب"، مجلة وقائع تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، مكتبة التربية العربية لدول الخليج، المدينة المنورة، جمادى الأولى، جمادى الآخرة، رجب، 1401هـــ، ص 88.

2 – المرجع نفسه، ص 83.

3 – أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، (د، ط)، 1991م، ص 403.

4 – مصطفى، فهمي: أمراض الكلام، مكتبة مصر، الفجالة، القاهرة، ط4، 1976، ص31 – ص33.

5 – البدراوي، زهران: في علم الأصوات اللغوية وعيوب النطق، دار المعارف،القاهرة، ط1، 1994، ص 351- ص394.

6 – فيصل محمد خير الزراد: اللغـــة واضـــطرابات النطـــق والكـــلام، دار المـــريخ للنشـــر، الريـــاض، (د، ط)، 1990، ص 139- ص 144.

7 – تمام، حسان: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 85.

8 – محمود فهمي حجازي: "اللغة العربية عبر القرون"، وزارة الثقافة، دار الكتب العربية، القاهرة، المكتبة الثقافية، عدد 197، ص 51.

لعل مرد الفوضى التي اكتنفتها المصطلحات السابقة كونها دالة على علوم ناشئة بحيث لم يكن مفهوم المصطلحات قد استقر بصورة واضحة في أذهان المؤلفين، ناهيك عن اختلاف ثقافاتهم وتنوعها، دون أن ننسى التطور الذي تصيبه هذه العلوم، فتتطور تبعا لذلك مفاهيم مصطلحاتها. استند الباحثون السابقون -الذين أوردنا أقوالهم- إلى مبدأ المظهر الخارجي لانحراف السلوك اللغوي الفردي، لا إلى علّة حدوثه، التي تقسم عادة إلى عوامل عضوية وأخرى وظيفية[1]، الأمر الذي طبع المصطلحات السابقة بسمة الثنائية التركيبية؛ فالشق الأوّل من الثنائية الاصطلاحية ينصرف إلى نعت الانحراف، وأكثر نعوته رواجا (اضطراب وآفة وعيب ومرض)، أما الشق الثاني، فإنّه يحيلنا على المظهر الخارجي الذي مسّه الانحراف، وأكثر المصطلحات تداولا (كلام، لسان، لغة، نطق).

لما كان المصطلح بوصفه «اللغة القطاعية، تتصل باللغة العامة المشتركة، ولا تكاد تخرج عن الأصول التي تتحكم فيها»[2]؛ إذْ كل مصطلح لابد أن يتضمن «مناسبة أو مشابهة كبيرة كانت أو صغيرة بين مدلوله اللغوي ومدلوله الاصطلاحي»[3] توجب علينا ضبط الدلالات اللغوية للثنائيات الأربع المتضمنة في كلا الطرفين، حتى نتمكن من الظفر برأي فصل يساعد على تحديد مصطلح البحث تحديدا دقيقا.

أ/- التعقب الدلالي للألفاظ الأربعة الدالة على الانحراف:

1 - **اضطراب**: تنصرف الدلالة اللغوية، للفظة إلى معان كثيرة منها:

- دلالتها على صياغة الجواهر وما شابهها « واضطرب خاتما: سأل أن يضرب له»[4].
- دلالتها على معنى البناء «يضطرب بناء في المسجد: أي ينصبه ويقيمه على أوتاد مضروبة في الأرض»[5].

1 – مصطفى، فهمي: أمراض الكلام، ص 30.

2 – عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، منشورات عويدات، بيروت، المشرق، ط1، 1986، ص 396.

3 – عوض محمد القوزي: المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1981، ص 23.

4 – ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (د، ط)، (، ت)، ج4، مادة "ضرب"، ص 2565.

5 – المصدر السابق، الجزء السابق، المادة السابقة، الصفحة السابقة.

- دلالتها على معنى الاختلاف الروحي أو المعنوي « يقال: اضطرب الحبل بين القوم إذا اختلفت كلمتهم »[1].
- دلالتها على معنى الاختلاف، أو عدم الاتساق الجسدي أو المادي « والاضطراب: طول مع رخاوة، ورجل مضطرب الخلق: طويل غير شديد الأسر »[2].
- دلالتها على معنى الحركة « واضطرب البرق في السحاب: تحرك »[3].

2 - **آفـــة**: وينحصر معناها اللغوي في أنها « عرض يفسد ما يصيبه وهي العاهة »[4]، وتعرض الآفة إلى الأمور المعنوية كأن يقال: « آفة الظُرفِ: الصَّلَفُ .. وآفة العلم هي: النسيان »[5]. كما تعرض الآفة في الأمور المادية؛ كأن نقول آفة المال التبذير.

3 - **عيـــب**: يتضح معناه اللغوي، من خلال ما أورده ابن منظور (ت 711هـــ) في معجمه: «العاب والعيب والعيبة: الوصمة»[6].

4 - **مـــرض**: تتراوح دلالة هذه اللفظة بين:

- السُّقم[7] وهو «ضعف في القوى يترتب عليه خلل في الأفعال»[8].
- النقصان: «قال ابن الأعرابي: أصل المرض: النقصان»[9].
- الإظلام والخروج عن الاعتدال «روي عن ابن الأعرابي أيضا قال: المرض إظلام الطبيعة، واضطرابها بعد صفائها واعتدالها، قال: والمرض الظلمة»[10].

---

1 – الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السّامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د، ط)، (د ت)، ج7، ص 32.

2 – ابن منظور: لسان العرب، ج4، مادة "ضرب"، ص 2565.

3 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، المادة نفسها، الصفحة نفسها.

4 – المناوي، محمد عبد الرؤوف: التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، 1990، باب الهمزة فصل الفاء، ص 78.

5 – الخليل: كتاب العين، ج8، مادة "آفَ"، ص 410.

6 – ابن منظور : لسان العرب، ج4، مادة "عَيَبَ"، ص 3183.

7 – المصدر نفسه، ج6، مادة "مرض"، ص 4180.

8 – المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، باب الميم فصل الراء، ص 649.

9 – ابن منظور: لسان العرب، ج6، مادة "مرض"، ص 4181.

10 – المصدر السابق، الجزء السابق، المادة السابقة، الصفحة السابقة.

يعرض المرض للأمور الحسية والمعنوية على حد سواء، لذلك يقال: «المرض والسقم في البدن والدين جميعا»[1]، ومنه المرض الجسدي: «...وفي الأبدان فتور الأعضاء، وفي العين فتور النظر»[2]. ومثال المرض المعنوي قوله سبحانه وتعالى:﴿**فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً**﴾[3].

ما يمكن الانتهاء إليه من خلال دراسة الألفاظ الأربعة (اضطراب وآفة وعيب ومرض) من وجهة لغوية، ما يأتي ذكره:

- تدل الألفاظ الأربعة على معنى الانحراف عن المعيار، أي الانطلاق من الوضع السوي باتّجاه الوضع غير السوي، أو بتعبير الرياضيين من الاتجاه الموجب إلى الاتجاه السالب، فالألفاظ الأربعة تشترك في أداء معاني الاختلال،السقم والعلّة،المناقضة لدلالات الاعتدال، الاستواء والاتّساق.
- تشترك الألفاظ الأربعة في الدلالة على معنى انحراف الجسد أو الروح، فاضطراب الحبل بين القوم يدل على تشتت أمرهم واختلاف رأيهم، وهو أمر معنوي في حين تؤدي اللفظة نفسها معنى الاختلاف المادي؛ فالرجل المضطرب الخَلْقِ ما كان طويلا وغير شديد الأمر، وما أدته لفظة اضطراب من اختلاف مادي أو روحي تؤديه البقية الباقية من الألفاظ.
- تجتمع مصطلحات (اضطراب وآفة ومرض) على أداء معنى المرحلية الزمنية المؤقتة؛ لأنها تضمنت إمكانية انقلاب الانحراف إلى اتساق واستواء؛ أي الرجوع من المسار المعوج إلى المسار الصحيح، وهذا ما دلت عليه القرينة اللفظية (عرض)، الواردة في شرح معنى (آفة)، وما أوحت به الأمثلة المتنوعة المدرجة ضمن شرح لفظتي (اضطراب، مرض)، في حين يدل معنى (العيب) عموما على معنى الديمومة؛ بمعنى أن العيب لا يزول إلا بزوال المعيب، بل قد يزول المعيب ولا يزول العيب، إذا كان هذا الأخير ينصرف إلى المعنويات كالحسب، والنسب، لذا رادف ابن منظور بين معنيي (عيب)، و (وصمة)، قال: «وَالْوَصْمُ: العيب في الحسب ... والوَصْمُ: العيب والعار »[4]، وهو الرأي الذي نطمئن إليه، رغم ذهاب علي الجرجاني (ت 816هـ)، إلى أنّ «العيب اليسير هو ما ينقص من مقدار ما يدخل تحت تقويم

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب، ج6، مادة "مرض"، ص 4181.

[2] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، المادة نفسها، الصفحة نفسها.

[3] – سورة البقرة: الآية 10.

[4] – ابن منظور: لسان العرب، ج6، مادة "وصم"، ص 4853.

المقومين، والعيب الفاحش بخلافه »[1].

ب/- التعقب الدلالي للألفاظ الأربعة الدالة على المظهر الخارجي للانحراف:

1 - **كــلام**: تنصرف هذه اللفظة إلى معان نجملها في الآتي[2]:

- الدلالة على الحدث الذي هو التكلم نفسه، كأن تقول لزميلك: سرني كلامك.
- الدلالة على ما يتكون في العقل، قبل أن ينطق به اللسان أو يجري به القلم.
- الدلالة على الخط تقول العرب: الْقَلَمُ أَحَدُ الْلِّسَّانَيْنِ[3] قال الله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ اجْعَل لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ** ﴾[4].
- الكلام ما كان مكتفيا بنفسه، ليتضمن بذلك القول الذي لا يكتفي بنفسه في الدلالة على معناه؛ « قال سيبويه: ومن أدل الدليل على الفرق بين الكلام والقول، إجماع الناس، على أن يقولوا القرآن كلام الله، وألا يقولوا القرآن قول الله »[5].

2 - **لغــة**: يمكن حصر دلالاتها في الآتي:

- دلالتها على معنى الكلام «قال أبو البقاء وأصله من لغوت إذا تكلمت، ومصدر اللغو هو الطرح، فالكلام لكثرة الحاجة إليه يرمى به»[6].
- دلالتها على معنى لهجة الإنسان «واللهجة: وهي لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها»[7].

---

1 - الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف: كتاب التعريفات، تح: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، (د، ط)، (د،ت)، ص 181.

2 - أمين علي السيّد: في علم النحو، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1975، ص 22 -ص23.

3 - الجاحظ، عمرو بن بحر: البيان والتبيين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د، ط)، 1968، ج1، ص 58.

4 - سورة آل عمران، الآية 41.

5 - ابن منظور: لسان العرب، ج5، مادة "كلم"، ص 3922.

6 - المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، باب اللام فصل العين، ص 290.

7 - الخليل: كتاب العين، ج3، مادة "لهج"، ص 391.

- دلالتها على معنى « اللَّسن: وحدها أنها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم »[1].

3 – **لســـان**: تنصرف دلالات اللفظة إلى:

- دلالتها على العضو المعروف، الموجود داخل الفم، وبين فكي الوجه، وهو ما يعرف عادة بالجارحة، وهو المعنى الذي أدّته الآية الكريمة: ﴿ **أَلَمْ نَجْعَل لَهُ عَيْنَيْنِ، وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ**﴾[2].
- دلالتها على قوة الإفصاح عما في الباطن، وهو ما أشارت إليه الآيات الكريمة: ﴿ **وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لسَانِي** ﴾[3]، ﴿ **وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنطَلِقُ لِسَانِي**﴾[4]، ﴿ **هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يَصْدُقُنِي** ﴾[5].
- دلالتها اللفظة على الكلام، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾[6].
- دلالتها اللّسان مجازا على معنى الكلمة، وهو حينئذ مؤنث ... ومرادف اللّسان بمعنى اللغة هو اللَّسْن[7].
- دلالتها اللسان على الرمز الكتابي؛ لذا قالت العرب قديما: «القَلَمُ أَحَدُ اللِّسانَيْنِ» [8]، وقد تشاركت لفظتا لسان وكلام في تأدية هذه الدلالة.

4 – **نطـــق**: تتمثل دلالاتها في :

- معنى الكلام، وبلاغة أدائه «نَطَقَ الْنَاطِقُ، يَنْطِقُ نُطْقًا، تَكَلَّمَ، والْمَنْطِقُ: الكلام، وَالْمِنْطِيقُ: الْبَلِيغُ»[9].

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب، ج5، مادة "لغا"، ص 4050.

[2] – سورة البلد، الآية 8-9 .

[3] – سورة طه، الآية 27 .

[4] – سورة الشعراء، الآية 13 .

[5] – سورة القصص، الآية 34

[6] – سورة إبراهيم، الآية 14 .

[7] – ميشال، عاصي، وبديع، يعقوب،: المعجم المفصل في اللغة والأدب، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987، المجلد-II- ص 1068.

[8] – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص58.

[9] – ابن منظور: لسان العرب، ج6، مادة "نطق"، ص 4462.

– الدلالة المشتركة بين «القوّة الإنسانية التي يكون بها الكلام، وبين الكلام المبرز بالصّوت »[1].

–الدلالة على «الأصوات المقطعة التي يظهرها اللسان، وتعيها الآذان »[2].

ما يمكن استنتاجه من خلال التعقب الدلالي لألفاظ (كلام – لغة – لسان – نطق)، تداخل دلالاتها فيما بينها؛ فقد انصرف المدلول اللغوي للفظة (لغة) إلى أداء معنى (كلام) حينا، وأداء معنى لسان حينا آخر، وقد يتجاوز المعنيين إلى أداء معنى (نطق).

آنئذ يعد السياق اللغوي الفيصل الذي يمكن الاحتكام إليه، للتمييز بين المعاني المختلفة، التي تؤديها لفظة واحدة.

أضف إلى ما سبق اشتراك كل من (كلام ولغة ولسان) في الدلالة على إفادة المعنى، التي لا تؤديها لفظة (نطق)، لاقتصار دلالتها على تقطيع الحروف.

لا ينحصر هدفنا من التعقب الدلالي للثنائيات الأربع (اضطراب وآفة وعيب ومرض)، (كلام ولغة ولسان ونطق)، في مجرد التعرف على دلالاتها فحسب، بل ينحصر هدفنا أساسا في ضبط مصطلح البحث، لمدوّنة البحث الموسومة بـــ: (ذكر الحروف التي تدخلها اللثغة وما يحضرني منها)[3].

شغلت **اللثغة** حيزا معتبرا من مدونة البحث، وما اللثغة في حقيقة الأمر إلا انحراف عن معايير تقطيع الحروف عند النطق بها، وتمتاز اللثغة بصفة الديمومة لكونها خِلقية، لتخالف بذلك اللثغة الطارئة أو العارضة، التي تعرض للأطفال نتيجة عدم اكتمال مداركهم الحسية، أو لبعض الخطباء بسبب اضطرابهم النفسي وهم يعتلون المنابر.

وتأسيسا عما سبق نعتمد مصطلح **عيب** لدلالته على معنى الديمومة، ولما كان هذا العيب يمس تقطيع الحروف، وباعتبار اللثغة في حقيقة أمرها «هي العدول في اللفظ من حرف إلى حرف

---

1 – المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، باب النون فصل الطاء، ص 325.

2 – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 28- ص 54.

غيره، وقد تعتري بعض الحروف دون بعض»[1]، اعتمدنا مصطلح نطق، ليكون عنوان البحث موسوما بـــ (عيوب النطق عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين).

لم تكن اللثغة العيب النطقي الوحيد الذي احتوته الْمُدَوَّنَةُ؛ بل شملت عيوبا نطقية أخرى يمكن تصنيفها إلى:

- عيوب نطق خِلقية.
- عيوب نطق ناتجة عن تأثير اللغات الأجنبية.

بالإضافة إلى العيوب النطقية السابقة؛ أورد الجاحظ في مدونته حالات « كالبكء والبهر والإرتاج ... الخ) [2]، ولئن مثلت في مجملها صورا معيبة للبيان، إلا أنّه يمكن إخراجها من دائرة عيوب النطق لسببين اثنين هما.

- كونها حالات عرضية مؤقتة تزول بزوال السبب الذي يكون عادة مؤثرا نفسيا كالخوف وما شابهه، الذي يفرز اضطرابا يطفو على سطح الحدث اللغوي المنطوق.
- كونها حالات لا تمس تقطيع الحروف، بقدر ما تخص الإغلاق؛ بمعنى عدم الاستطاعة على الإبانة.

رغم كون عيوب النطق تخص أفرادا لا جماعات، فلم يكد مجتمع من المجتمعات –منذ القدم إلى يوم النّاس هذا– أن يخلو من المصابين بها؛ فقد مسّت أشراف القوم بل حتى أنبياءهم؛ ذكر الله –عز وجل– عقدة سيدنا موسى بن عمران –عليه السلام–: ﴿ **وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي** ﴾[3]، ولم ينج أرسطو (Aristot) (ت 322ق.م) هو الآخر من الإصابة بإحداها، فقد كان بكيء اللسان، غير موصوف بالبيان[4].

أدت بنا التوطئة السابقة إلى ضرورة التساؤل عما إذا كان تفشي المصابين بعيوب النّطق بالمجتمعات القديمة، أَوْجَدَ دراسات لعيوبهم، إذا كانت الإجابة بالإثبات، ففيما تمثلت دراسات الدارسين لها، وما مدى قيمتها العلمية ؟ وهل من المحتمل أن يكون الجاحظ، قد أفاد منها ؟.

---

1 – عبد الرحمن، الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث (4)، "أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية"، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، 1973-1974، ع4، هامش ص 54.

2 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص28 –ص54.

3 – سورة طه، الآية 27.

4 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج3، ص 49.

قبل الخوض في هذه المسألة؛ خوضا تاريخيا؛ حريّ بنا التعريف بالجاحظ تعريفا موجزا مركزا دون أن نغفل التعريف بمدونة البحث، تعريفا مركزا أيضا؛ لأننا سنستقصي من خلالها كل دقائق موضوع البحث في الفصل الأخير من هذه الدراسة.

2 - التعريف بالجـــاحظ:

أ - **المولد والنشـــأة**: عرف تحديد سنة ميلاده اضطرابا؛ فيقوت الحموي (ت 626 هـــ) أورد أن الجاحظ قال: « أنا أسن من أبي نواس بسنة، ولدت في أوّل خمسين ومئة، وولد في آخرها »[1]، في حين فند أحد الدارسين المحدثين قول يقوت الحموي، حينما صرح «أنّ هذا الزّعم لا يستند إلى أساسٍ»[2].

وهناك من يؤكد على تواريخ أخرى، فمنهم من ذهب مذهب القول السابق، ومنهم من قال إن ولادته كانت سنة 155هـــ، وجعلها بعضهم سنة 159هـ، ليصل الرأي بآخرين إلى أن مولد الرجل كان سنة 160هـــ. وبلغ نفر إلى سنة 163هـــ أو 165هـــ. أما وفاته فقد حدث اتفاق وإجماع بشأنها وهو موته بالبصرة سنة 255هـــ/896م.

وتباينت آراء الدارسين حول أصل الجاحظ: فقال بعضهم إنّه عربي صميم من بني كنانة؛ القبيلة العربية المضرية المشهورة، وأنّ اسمه الكامل « أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الكناني الليثي من بني كنانة بن خزيمة والد النضر أبي قريش »[3].

وذهب بعض الدارسين إلى أنّه مولى من أصل أعجمي، ينحدر من العرق الأسود الإفريقي[4].

يعتمد الفريق الأوّل في دعواه على موقف الجاحظ من الصّراع بين العرب والشعوبية؛ حيث نراه منحازا إلى العرب يدافع عنهم، ويبين فضائلهم في البلاغة والكرم بإعجاب وتقدير، بينما يهاجم الشعوبية ودعواهم الباطلة، ويكشف عن هويّة الشعوبيين ويحلل نفسياتهم الحاقدة، على

---

1 – الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله: معجم الأدباء، دار المستشرق، بيروت، (د، ط)، (دت)، ج16، ص 74.

2 – جميل، جبرا: الجاحظ، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرية، بيروت، (د، ط)، 1959، ص 17.

3 – محمد عبد المنعم خفاجي: أبو عثمان الجاحظ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د، ط)، (دت)، ص 53.

4 – ياقوت، الحموي: معجم الأدباء، ج16، ص 74.

الإسلام، وعلى كل موروث عربي؛ ومن جملة ردوده على طعن الشعوبيين في صناعة العرب للخطابة والبلاغة والبيان، قوله: «ولليونانيين فلسفة وصناعة منطق، وكان صاحب المنطق نفسه بكيء اللسان غير موصوف بالبيان، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه، وبخصائصه ... »[1]، ومن مفاضلاته اللطيفة بين العرب والعجم قوله أيضا: « ... وفي الفرس خطباء، إلا أن كل كلام للفرس، وكل معنى للعجم؛ فإنما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد رأي، وطول خلوة، وعن مشاورة ومعاونة، وعن طول التفكر ودراسة الكتب .. وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكر ولا استعانة ... وكل واحد في نفسه [أي العرب] أنطق ومكانه من البيان أرفع »[2]، فبيان العربي يكمن في نطقه بلسانه «فلا يمكن أن يكون هناك نقل أو توارث ومعاونة »[3].

وبالعودة إلى الحديث عن نَسب الجاحظ، يعتمد الفريق الثاني على قول منسوب ليموت ابن المزرع، -ابن أخت الجاحظ-، وهو يقول: «كان الجاحظ مولى لأبي القلمس عمرو بن قلع الكناني الفقيمي أحد النّسَأة، وكان فزارة جدّ الجاحظ عبدا أسود، وكان حمّالا لعمرو بن قلع الكناني »[4]، بينما يذهب الفريق الأوّل إلى أنّه لو «كان في دم الجاحظ شيء قليل أو كثير من دم الأجناس غير العربية لرأيناه في رأسِ الشعوبية، ولكننا نرى الجاحظ في كتبه، وفي كلّ ما رُوِيَ عنه، شديد العصبية للعرب »[5]، أجاب الفريق الثاني: « ليس ما يمنعنا من الاعتقاد بأن أجداد الجاحظ الأولين كانوا عبدانا من أصل إفريقي ... ومهما يكن من أمر، فقد نقل إلينا عن خاله أحاديث عدّة لا نستطيع رفضها قبليا، ولو في جملتها على الأقل، ولا يسأل فحواها على أية سخيمة يضْمرها نحو الجاحظ، بل تدل على العكس فإن يموت كان فخورا أن يكون في عداد أسرته رجل مشهور كالجاحظ، ولو كان الجاحظ رجلا عربيا صريحا لما تردد يموت بإعلانه، وذلك أنّه لما وصف خاله بالولاء، فقد اعترف بأن دمه لم يكن خالصا من دم الأجناس غير

---

1 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج3، ص 49.

2 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 49- ص 50

3 –محمد الصغير، بناني: النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط)، 1994، ص 192.

4 – ياقوت، الحموي: معجم الأدباء، ج16، ص 74.

5 – حسن، السندوبي: أدب الجاحظ، المكتبة التجارية، القاهرة، ط10، 1931، ص 12.

العربية »[1]، ويسلم طه الحاجري بولاء الجاحظ، ولكنه يقول إن هذا الولاء: « لم يكن من ذلك الولاء الذي لا يزال ميسم الذلة داميا عليه، فلم يكن ثمة في حقيقة الأمر ما يجعله يحس لقاءه بما كانت نفوس الموالي تغص به من الخزي والغضاضة .. فقد كان ولاء ضعيفا خفيا، قَدُم عليه الزمان وتوالت عليه الأجيال، وقد رأينا أنّه رجع إلى قبل الإسلام بدهر، وَمَا أجدر هذا الزمن الطويل أن يهلهله ويخفي آثاره ويمزق الأسباب التي تربط بين المولى وأوليائه، ولاسيما بعد أن تغير كل شيء وتحول، فيشتبه على بعض الناس أمره، فإذا زعموا أن الجاحظ عربي صليبة فمن هذا الباب جاء زعمهم »[2].

ونحن نطمئن إلى أن الجاحظ من أصل عربي عريق، ويبعث على هذا الاطمئنان أن كتب التراجم لم تذكر أن أحدا من أجداده وقع عليه الرق، وأيضا فإن أعداءه وحساده كانوا كثيرين، فلو كان عربيا بالولاء، لا بالنسب، لما أغفل أعداؤه ذلك ولعيروه به، هذا فضلا عن موقفه من العرب ودفاعه عنهم ضد أحقاد الشعوبيين، وافتخاره بنسبه العربي: « أخذت بآداب وجوه أهل دعوتي وملتي ولغتي وجزيرتي وجيرتي، وهم العرب »[3]، وبهذا النص يكون الجاحظ قد دحض مزاعم القائلين بأصله غير العربي، وأكد عروبته الخالصة.

أما بخصوص كنيته، فيكنى بأبي عثمان، وكثيرا ما كان ينسى هذه الكنية، فقد روي عنه قوله: « نسيت كنيتي ثلاثة أيام، حتى أتيتُ أهلي، فقلت لهم: بم أكنى ؟، فقالوا: بأبي عثمان »[4].

أما لقبه الذي اشتهر به فهو "الجاحظ"، وقد لقب به لنتوء عينيه وجحوظهما، وليس في هذا ما يعيبه أو ينقص من قدره، وقد كان الجاحظ على جلالة قدره، وسعة عقله يضيق بهذا اللقب، ويغضب ممن يناديه به، ويطلب ممن حوله أن يدعوه باسمه، أو بكنيته، كان يقول عن اسمه -عمرو-: « إن هذا الاسم -عمرو- لم يقع في الجاهلية والإسلام إلا على فارس مذكور،

---

1 – شارل، بلا: الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1985م، ص95- ص 96.

2 – طه، الحاجري: الجاحظ، حياته وآثاره، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1967، ص 83- ص 84.

3 – الجاحظ: كتاب الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1965، ج3، ص 267.

4 – البغدادي، أحمد بن علي الخطيب: تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، (د، ط)،(د ت)، ج12، ص 214.

أو ملك مشهور، أو سيد مطاع، أو رئيس متبوع، أمثال عمرو بن هاشم -جد النبي -ﷺ- وعمرو بن سعد الأكبر، وعمرو بن العاص، وعمرو بن معد يكرب »[1].

عانى الجاحظ من مرارة الفقر واليتم؛ فأسرته فقيرة معدمة، توفي والده وهو صغير، فتحمل منذ صغره أعباء الحياة، فكان «يبيع الخبز والسمك بسيحان»[2]، وكانت هذه التجارة في أصلها « مقصورة على الموالي من الفرس والنبط والهنود»[3]، دون سواهم، لم تمنعه ممارسته التجارة من الانكباب على طلب العلم، إلى أن حصّل ثقافة موسوعية، فذاع صيته، وطبقت شهرته الآفاق، لهذا لم يتردد بعض الدارسين في إطلاق اسمه على العصر العباسي الأوّل[4].

و لم يمنعه داء الفالج والنقرس اللذين أصيب بهما أثناء شيخوخته، من التأليف والبحث والقراءة، وظل على هذه الحال إلى أن وقعت عليه مجلدات الكتب التي اعتاد وضعها أمامه قائمة كالحائط، فمات في المحراب الذي أحبه، وبحر فيه طوال حياته[5].

ب - آثـــاره:

حظي الجاحظ بصفات قلما انفرد بها غيره، أجملها ياقوت الحموي في: « الطبع والمنشأ، والعلم والأصول، والعادة والعمر، والفراغ والعشق والمنافسة، والبلوغ، وهذه مفاتيح قلما يملكها واحد، وسواها مغاليق، قلما ينفك منها واحد»[6]، أدت به هذه الصفات مجتمعة، إلى أن يكون إمام العربية بلا منازع؛ إذ «لا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر كتبا منه»[7].

حدث اختلاف بين الدارسين والمحققين في حصر عدد كتبه. أما ياقوت الحموي فقد «ذكر في فهرست كتبه ورسائله، فأثبت منها مئة وثمانية وعشرين مصنفا»[8]، وجمع له حسن السندوبي

---

1 – الجاحظ: نوادر الجاحظ، تقديم: جميل جبرا، دار الشرق العربي، بيروت، (د، ط)، 1955، ص 6.

2 – ياقوت، الحموي،: معجم الأدباء، ج16، ص 75.

3 – أحمد كمال زكي: « الجاحظ، معلم الفكاهة »، مجلة الهلال، العدد8، أوّل أغسطس 1966، ص 89.

4 – انظر شارل، بلا: الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ص 92- ص 93.

5 – محمد كرد علي: أمراء البيان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (د، ط)، 1937، ج1، ص 325.

6 – ياقوت، الحموي: معجم الأدباء، ج3، ص 27- ص 28.

7 – الجاحظ: كتاب الحيوان، ج1، ص 6.

8 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

مائة وتسعة وخمسين مؤلفا[1] وعدّ له الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي « أكثر من ثلاثمئة وخمسين كتابا في مختلف فروع الثقافة، ضاعت كلها إلا القليل النادر، وعلى مر الأيام والأجيال »[2].

وأيًّا كان العدد الصحيح لكتب الجاحظ ومؤلفاته، فإن حصر العدد لا يهم في حد ذاته، بقدر ما يهم أن الرجل كان غزير التأليف، كثير العطاء.

ولعلّ مرّد اللبس والاختلاف في حصر عدد مؤلفاته، يعود إلى أن جلها كان عرضة للضياع؛ «فقد الجمهور الأعظم منها، بفعل عوادي الزمن، وآثار الحروب المدمّرة»[3]. يضاف إلى هذا العامل، عامل حيوي آخر، تمثل في أن الجاحظ كان ينسب بعض كتبه إلى مشاهير الكتاب في عصره، أو في العصر الذي سبقه، لكي تشتهر كتبه وتنتشر، ويتقبلها القرّاء، ومن جهة أخرى حتى لا يتواطأ على الطعن فيها أعداؤه وحساده[4].

لما كان الجاحظ موسوعيا، غزير الفكر، جم العطاء، دعتنا هذه الميزات إلى تصنيف كتبه وفق عدد معتبر من العلوم، فهي غير محصورة في علم أو فن واحد، يتمثل هذا التصنيف في:

1 - **في الفلسفة والاعتزال والدين:** كتاب الاستطاعة وخلق الأفعال - الاعتزال وفضله، ولعل هذا الكتاب هو المسمّى أيضا فضيلة المعتزلة، خلق القرآن، أي القرآن، الرد على اليهود، الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير.

2 - **في السياسة والاقتصاد:** الاستبداد والمشاورة في الحرب - رسالة في مناقب الترك وعامة جند الخلافة، رسالة في الخراج، أقسام فضول الصناعات ومراتب التجارات، والزرع والنخل والزيتون والأعناب.

3 - **في الاجتماع والأخلاق:** رسالة في إثم السكر، وكتاب أخلاق الشطار، أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة، خصومة الحُول والعور، البخلاء.

4 - **في التاريخ والجغرافيا والطبيعيات والرياضيات:** الأخبار وكيف تصح، الملوك والأمم السالفة والباقية، الأمصار، المعادن، نقض الطب، الحيوان، ورسالة في الكيمياء.

---

1 - حسن، السندوبي: أدب الجاحظ، ص 144.

2 - محمد عبد المنعم خفاجي: أبو عثمان الجاحظ، ص 11.

3 - عبد السلام محمد هارون: تهذيب الحيوان للجاحظ، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، (د، ط)، 1975، ج1، ص 5.

4 - انظر الجاحظ: المحاسن والأضداد، تحقيق: فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، (د، ط)، 1969، ص 4.

5 – **في العصبية وتأثير البيئة**: القحطانية والعدنانية، العرب والعجم، مفاخرة السودان والحمران، ورسالة في فخر السودان على البيضان.

6 – **في الأدب والشعر والعلوم اللسانية والأدبية**: البيان والتبيين.

7 – **في موضوعات شتى**: الإخوان، رسالة التربيع والتدوير، رسالة في العشق والنساء[1].

3 – التعريف بـ(البيان والتبيين) وباب: "الحروف التي تدخلها اللثغة وما يحضرني منها".

أ – **تاريخ ودوافع تأليف (البيان والتبيين):**

ألف الجاحظ (البيان والتبيين)، بعد إنهائه تأليف كتاب (الحيوان)، يقول: «كانت العادة في كتاب الحيوان أن أجعل في كل مصحف من مصاحفها عشر ورقات من مقطعات الأعراب ونوادر الأشعار، لِما ذكرت عجبك بذلك، فأحببت أن يكون حظ هذا الكتاب في ذلك أوفر إن شاء الله »[2]، وقد صادف تأليفه الكتاب، إصابته بمرض شديد؛ إذ تقدمت به السن، وأخذ منه المرض كل مأخذ. أهدى الجاحظ كتابه هذا للقاضي أحمد بن أبي داود المعتزلي النزعة[3]، أما فيما يتعلق بدوافع تأليف الكتاب؛ فترجع أساسا إلى أن الجاحظ لم يقدّم في حياته العلمية الطويلة عملا يبين فيه فضل البيان العربي وإمكانات اللغة العربية الواسعة؛ في زمن كثرت فيه الألوان الأدبية من شعر ونثر الخطابة، وتعددت المدارس اللغوية والأدبية، وأصبح العمل في هذا الميدان صناعة لها أصول وقواعد وأعلام، و لم تعد مرتكزة على الحس التذوقي.

وإذا كان لأحد من المعتزلة، أن يكتب في أصول الفن، فليس سوى الجاحظ، أديب المعتزلة الأوّل، الذي كشف في كل كتبه عن امتلاكه ناصية اللغة، وعن قدرته في الكشف عن أسرارها، والردّ على مطاعن الشعوبية، التي كانت تكيد للعرب وتحاول الحط من قدرهم.

وبتعبير أدق يمكن القول إن مشروع الجاحظ من تأليف (البيان والتبيين) أوسع مما سبق، إنه عَمِل على كتابة نظرية عامة عن الكلام البشري بمختلف أبعاده وتجلياته.

---

1 – انظر علي بوملحم: المناحي الفلسفية عند الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د،ط)، 2009، ص 485- ص 559.

2–الجاحظ: البيان والتبيين، ج4، ص 14.

3– الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق و شرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، مكتبة المثنى، بغداد، ط2، 1961، ج1، ص3.

ب - موضوع كتاب (البيان والتبيين):

افتتح الجاحظ كتابه (البيان والتبيين) بالاستعاذة من فتنة القول والعمل، والتكلف والعيّ، ازدحمت في رأسه الأشعار التي قيلت في ذم العيّ، فأثبتها كما أثبت دعوة موسى -عليه السلام- الله أن يحل عقدة لسانه ليفقه الناس قوله. ومن الطبيعي أن ينقاد الكاتب في كلامه عن العيِّ إلى مقابلته بالفصاحة؛ فصنف الخطباء باعتبار مقياسها، فهناك أهل الوبر، ثم أهل الاعتياد والدربة، أما الصنف الثالث فيخص المولدين القرويين، والمتكلفين البلديين، بعدها يصل إلى معالجة موضوع عيوب النطق من خلال ما حضره من حروف تدخلها اللثغة -وهو ما سنتوقف عنده بالدراسة المتأنية-، مستطردا في الكلام على الخطابة والخطباء، لعلاقتهم الوثقى بتلك العيوب، مقترحًا بين الفينة والأخرى وصفات علاجية لها.

كما عالج مسألة الحروف والألفاظ، واللكنة واللكناء، ثم يفرد بابا للبيان، وبابا لذكر البلغاء والخطباء والأنبياء والفقهاء والأمراء، وَأبوابا للبلاغة واللسان والصمت والشعر والخطب والأسجاع. وبيان قبائل الخطباء والبلغاء وأنسابهم. أما الجزء الثاني فبدأه بأسماء الكهان والحكام والعلماء، كما عالج بهذا الجزء مواضيع الحِكم، الألغاز واللحن والحمقى والمجانين وبعض نوادر الأعراب.

أما الجزء الثالث فاستهله بباب من الشعر، وما فيه من تشبيهات، ثم انتقل إلى الكلام عن النوادر والأشعار عند العرب في شتى العهود، ليحدث بذلك تداخل بين مواضيع الجزئين الثاني والثالث من (البيان والتبيين).

يفتتح الجاحظ جزءه الرابع بالقول، في إنطاق الله عز وجل إسماعيل عليه السلام بالعربية، ويتواصل السياق على هذا المنحى، لينتهي عند قضية تبليغ الرسالة الدينية، دون إغفال سوق الشواهد المتنوعة، وآخر ما عالجه في هذا الجزء كلام من عزّى بعض الملوك.

يبدو من خلال هذا العرض السريع لعناوين محتويات (البيان والتبيين)، عثورنا على شذرات من ثقافة أعجمية، بثها الجاحظ بين ثنايا كتابه بعد أن استوعب تلك الثقافة استيعابا، وأخرجها في ثوب عربي غير مجاف ولا مناف للعروبة؛ حتى تتواءم مع نصوص القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والتراث العربي من شعر ونثر، وبالتالي فمصادر (البيان والتبيين) هي مصادر ثقافة العصر الذي عاش فيه الجاحظ.

جـ - مكانة كتاب (البيان والتبيين):

لقي (البيان والتبيين) قَبولا واستحسانا من لدن علماء أجلاء؛ باعتبار تميز مضامينه؛ جاء في تاريخ العلامة ابن خلدون: «وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم، أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة، فتبع لها، وفروع عنها»[1]، لئن اعتبر ابن خلدون (البيان والتبيين)،أحد أركان الأدب الأربعة، فلم يحد أبو هلال العسكري (ت 395هـ) عن هذا الحكم في حق (البيان والتبيين)؛ فهو يشيد بمكانته الأدبية «وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وهو لعمري كثير الفوائد، جم المنافع، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة، والفِقر اللطيفة، والخطب الرائعة، والأخبار البارعة، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء، وما نبه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة، وغير ذلك من فنونه المختارة، ونعوته المستحسنة »[2].

تنضوي الصفحات الأولى من الجزء الأوّل من (البيان والتبيين)، على مُدَوَّنة بحثنا، وقد عنونها أبو عثمان الجاحظ بـــ «الحروف التي تدخلها اللثغة وما يحضرني منها»[3].

د - التعريف بمُدَوّنَة البحث:

تقع مدوَّنة البحث بالجزء الأوّل من كتاب (البيان والتبيين)؛ تمتد صفحاتها من الصفحة الثامنة والعشرين إلى الرابعة والخمسين، وتمثل هذه المدونة العنصر الثاني من الباب الأوّل، فهي مسبوقة بعنوان: « ذكر ما جاء في تلقيب واصل بالغزّال، ومن نفى ذلك عنه »، ويمتد حجم صفحاته من الصفحة العشرين إلى الثامنة والعشرين، ويلي مدونة البحث "باب البيان"، ويمتد حجمه من الصفحة الخامسة والخمسين إلى الثالثة والستين، هذا من حيث الحجم والموقع، أما من حيث المضمون، فقد تعددت مضامين وموضوعات المدوَّنة؛ استهلها أبو عثمان الجاحظ بالحديث عن اللثغة فذكر أربعة أحرف تدخلها اللثغة وهي: القاف والسين واللام والراء، وهي لثغ تتأدى باللسان ويصورها الخط، أما اللثغة التي تعرض لحرف الشين؛ فليس إلى تصويرها سبيل، فمخرجها

1 - ابن خلدون: تاريخ العلامة ابن خلدون، ص 612.

2 - العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د، ط)، 1986، ص 4- ص 5.

3 - انظر الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص28- ص54.

من مخارج العجم، وهو مخرج كثير في لغة الخوز، وفي سواحل البحر من أسياف فارس، رجع أبو عثمان ثانية إلى ذكر ما يعرض لكل حرف من الحروف الأربعة التي تدخلها اللثغة، وقد ساق لكل منها المثل والشاهد، معرفا بالأشخاص الذين تصيبهم؛ وأغلبهم من خاصة النّاس لا عامتهم.

و لم يفت أبا عثمان الجاحظ، تصنيف اللثغ السابقة حسب مدارج الرفعة والحقارة، واليسر والعسر؛ فاللثغة التي في الراء إذا كانت بالياء فهي أحقرها وأوضعها لذي المروءة، ثم اللثغة التي على الظاء، ثم التي على الذال، أما التي في الغين فهي أيسرها، وأقلها قبحا وأوجدها في ذوي الشرف من ذوي المقام الرفيع، من بلغاء وعلماء، ومن بينهم محمد بن شبيب المتكلم.

ساق حديث أبي عثمان عن اللثغ إلى نقل روايات ثلاث تخص لثغة النبي موسى -عليه السلام-، ثم عرض بعدها بعض عيوب النطق التي تخص بعض الحروف دون بعض، محددا اسم العيب؛ فإذا تتعتع اللسان في التاء فهو تمتام، وإذا تتعتع في الفاء فهو فأفاء، والألف أو اللّفف، الصموت، الحبسة؛ ومن خلال سوق الجاحظ للأمثال والشواهد ينتهي إلى تعريف العيب، وذكر دواعي، الإصابة به؛ فنقلا عن أبي عبيدة (ت 210هـ) «إذا أدخل الرجل بعض كلامه في بعض فهو ألف، وقيل بلسانه لفف»[1].، ونقلا عن أبي الزحف الراجز، ينتهي الجاحظ إلى تحديد دواعي الإصابة باللّفف «كأنه لما جلس وحده و لم يكن له من يكلمه، وطال عليه ذلك، أصابه لفف في لسانه»[2].

بعدها قام أبو عثمان بحصر عيوب النطق الآتية: العقلة واللكنة والحكلة وجاعلا لكل واحد منها تعريفا، أرفقه بالشاهد والمثل. وبدءا من الصفحة الثالثة والثلاثين من المدونة، عرض أبو عثمان عيوب الخطباء البيانية، مستأنسا بشواهد شتى أغلبها من الشعر، تتمثل في: النحنحة والسعلة والبكيء والهيّاب والعيّ ووجّاب والبهر وقبقاب وعيّاب والضجم والفقم والروق...

قابل أبو عثمان هذه العيوب البيانية بشروط الخطبة، التي توفّرت في خطباء إيّاد، وعلى رأسهم قس بن ساعدة الإيادي،كما صنف الجاحظ الخطباء إلى: الخطباء الشعراء الأبيناء الحكماء، والشعراء الخطباء، ثم الخطباء الشعراء العلماء، ثم الخطباء الشعراء، ثم خطباء الأمصار والمولدين، ثم المطبوعين على الشعر من المولدين، تخلّل هذا التصنيف التنويه بخطباء قبيلتي إيّاد وتميم.

---

1 – المصدر السابق، الجزء السابق، ص31.

2 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

ربط صاحب (البيان والتبيين) بين نشوء شتى ضروب عيوب النطق، بما يصيب آلة النطق من نقصان؛ فقد بيّن مثلا أهمية الثنايا في إقامة الحروف وتكميل آلة البيان، كما عرج على علل فساد الأسنان، وحدد الحروف التي تتهيأ في أفواه الأطفال، ساقه هذا الحديث إلى إيضاح كيفية النطق بحرف الضاد، هذا النطق الذي لا يتأتى إلا بالهواء، أو الأنفاس المقسومة على آلة النطق، كما بيّن أبو عثمان مدى افتخار العرب بجارحة اللسان، ثم انتقل إلى ذكر ما يتهيأ النطق به من أفواه الطير والكلاب، وبيّن أن لكل لغة حروفا تدور في أكثر كلامها، ساقه الحديث عن الحروف إلى معالجة فكرة تنافر الحروف والألفاظ داخل التركيب.

كان حديث أبي عثمان عن اللكنة نهاية مطاف مدونة البحث؛ فقد ميّز بين الألكن الذي يُتفطن للكنته وهو ينطق بحروف العربية، خلاف الحاكية من الأعاجم، الذي يحاكي ألفاظ العرب، حتى كأنه أطبع منهم.

عاد أبو عثمان للحديث مرة أخرى عن اللثغة، التي ذكر لها نوعين، أولهما ما يصيب الصبيان إلى أن تنشأ مداركهم الحسية، ثانيهما: ما يعتري الشيخ الهرم الماج المسترخي الحنك، المرتفع اللثة.

ووفق معيار اجتماعي، قسم أبو عثمان اللكنة إلى قسمين هما:

أ-لكنة الخاصة: ويرتضخ لها خاصة الناس من الأعاجم، أو من العرب، الذين تربوا بديارهم.

ب-لكنة العامة: ويترضخ لها عامة الناس، ومن لم يكن له حظ في المنطق من الأعاجم.

يتضح من خلال عرض أبي عثمان الجاحظ لصور اللكنات، التي يرتضخ لها بعض العامة من الأعاجم، أن اللكنة لا تقتصر على جعل حرف مكان حرف آخر، فهي تتعداه إلى جعل حركة حرف مكان حركة أخرى للحرف ذاته، وإلى إبدال صيغة صرفية مكان أخرى.

كان هذا عرضا مركزا لمضامين مدونة البحث، نعمل على استنطاقها، واستكناه تطبيقاتها، وفهم أبعاد منهج أبي عثمان، ومنقولاته عن العرب والأعاجم، ومن ثمة التوصل إلى الاستنتاجات في الفصل الأخير من هذا البحث.

الفصل الأول:
تاريخ عيوب النطق
بين تراث الأعاجم و تراث العرب

▪ تمهيـــد:

من الحقائق الثابتة صحتها تاريخيّا، أن الفترة التي عاش فيها الجاحظ، قد واكبت تشييد حضارة تمثل أزهى ما بلغته الحضارات الإنسانية قاطبة، و لم يتأت لبني العباس تحقيق ذلك، إلا بعد أن استخرجوا « من المحابس والكهوف والخزائن الموصدة في الهياكل والمحاريب، وقصور الملوك والأمراء في جاهلية العصور الوسطى [...] مجموعة مشتتة ران عليها الترك والإهمال، ممّا خلف حكماء اليونان وعلماؤهم في الفلسفة والفنون والطب والعلوم الطبيعية، و لم يقصروا بحثهم على هذه المصادر والمؤلفات اليونانية، فراحوا يبحثون كذلك عن مخلفات قدامى العلماء في الهند والصين وفارس ... »[1]، وعمل بنو العباس على استيعاب ما أفادوه من الأعاجم، فأخرجوه في ثوب عربي لا يتنافى وما جاء به القرآن الكريم.

في ظل هذا الزخم العلمي، خرج إلى الوجود كتاب (البيان والتبيين)، الذي لانعدم أن يكون بمنأى عن التأثير الفكري سواء من الأعاجم أو من العرب، على مضمون الكتاب أو منهجه، والذي يهمنا من هذا التأثير ما يتعلق بموضوع البحث.

لذا عمدنا إلى إفراد فصل تاريخي؛ لنتمكن بذلك من إحلال أفكار الجاحظ محلها من التطوّر التأريخي، طالما «أن لكل كشف علمي شروطا متفقة مع درجة تقدم العلم في زمان ذلك الكشف»[2]، ومن ثمة التمكن من تقييم أفكاره تقييما موضوعيا.

ولكون التنقيب عن هذه الجزئية (عيوب النطق) في التراثين الأعجمي والعربي، أبعد منالا وأصعب مراسا، لتعدد الأمم الأعجمية على وجه الخصوص، وإيغالها في القدم، ولعدم وجود كتاب متخصص في دراسة عيوب النطق، فإنّه أضحى من الصعوبة بمكان رصد التعقب المرحلي للمسار التطوري لموضوع البحث؛ لأن ذلك مما يضيق به المقام ههنا، ويتسع له مشروع دراسة أكثر شمولية وتخصصا، الأمر الذي يطبع نتائج هذا الفصل بالنسبية.

ومراعاة لكل ما سبق، وابتغاء حصد أكبر قدر من الموضوعية، ارتأينا طرق الموضوع بالدراسة من زوايا عدّة؛ مردّ ذلك أن موضوع عيوب النطق تتقاطع عنده حقول معرفية متباينة في الرؤى والمناهج، ومن بينها علم اللغة، تحديدا علم الأصوات بوصفه وسيلة ناجعة لوصف

---

[1] – أحمد، وافي: "الإسلام علم وحضارة"، مجلة منبر الإسلام، العدد الثامن، السنة 26، شعبان 1988م، ص 98.

[2] – محمد عبد الرحمن مرحبا: الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، 1981م، ص6.

الحقائق الصوتية، التي تصطبغ فيما بعد بصبغة معيارية، لتستثمر نتائجها في تقويم النطق وإجادته بأصوات لغة من اللغات.

ولما كانت عيوب النطق تقع على طرف النقيض من الفصاحة بوصفها « تمام آلة البيان»[1]، وباعتبارها دعامة أساسية من دعائم جمالية النص المنطوق؛ فقد تناولتها بالدراسة بعض أقلام الباحثين في الدراسات الجمالية.

وقد أسهم بعض المشتغلين بالطب في معالجة موضوع عيوب النطق؛ باعتبار أن هذه الأخيرة حالات مرضية غير سوية، ناجمة عن خلل فسيولوجي، يخص الأعضاء الصالحة اتفاقا لإصدار الأصوات اللغوية، أو مردها –عيوب النطق– إلى خلفية أو جذور نفسية، طالما أن النطق يخضع لآليات ذهنية نفسية، تجري قبل النطق وأثناءه، أو قد تعزو إلى خلل وراثي.

ما من شك في أن كل حقل معرفي من الحقول السابقة، ينظر إلى موضوع عيوب النطق، من زاوية تختلف اختلافا ما عن الزاوية التي ينظر منها حقل معرفي آخر، ويكون هذا الاختلاف في الرؤى مصحوبا بالضرورة، باختلاف في المناهج المطبقة، مما يترتب عنه تباين في النتائج، ولا يمكن تفسير هذا التباين بالتناقض، بقدر ما يمكن تعليله بالتكامل المنسجم، الذي هو ثمرة البحث الجماعي المنظم والممنهج –ولو على المستوى النظري– .

ولا تعني إمكانية درس عيوب النطق على محك العلوم السابقة ضرورة الإلمام بها، بل استثمار طروحاتها ونتائجها، بما من شأنه أن يكون أداة طيعة لاستكناه موضوع البحث، لذلك آثرنا تطبيق منهج الاستقصاء، على فكر الأعاجم والعرب على حد سواء، بوصفه المنهج الأنسب لطبيعة مثل هذه الدراسات.

أظهر أبو عثمان الجاحظ تضاربا بين مضان (البيان والتبيين)، وهو بصدد تحديد الأمم الأعجمية الأكثر إسهاما في إثراء الحضارة العربية الإسلامية،أثناء حكم بني العباس؛ وبيان ذلك أن قصر الآداب والأخلاق والعلم على ثلاث أمم أعجمية؛قال: «وقد ذكرنا أن الأمم التي فيها الأخلاق والآداب والحكم والعلم أربع،وهي:العرب،والهند وفارس والروم»[2]، وهو ما أكده بصيغة أخرى في موضع آخر: «وإنما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع:العرب وفارس

[1] – أبو هلال، العسكري: الصناعتين، ص 7.

[2] – الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص 20 .

والهند والروم،والباقون همج وأشباه الهمج »[1].

يستدرك الجاحظ في موضع من (البيان والتبيين) على ما فاته ليلحق بالأمم الأعجمية الثلاث، أمة اليونان التي خصها بصناعة المنطق «وهذه يونان ورسائلها وخطبها وعللها وحكمها، وهذه كتبها في المنطق التي قد جعلتها الحكماء بها تعرف السقم من الصحة والخطأ من الصواب»[2].

وابتغاء وجه الدقة والتفصيل، أثبت أبو عثمان مساواة الفرس للعرب في المقدرة الخطابية «وجملة القول أنا لا نعرف الخطب إلا للعرب والفرس »[3]، يؤكد أبو عثمان في السياق ذاته بذّ الفرس جميع الناس في مجال الخطابة « وقد علمنا أن أخطب الناس الفرس »[4].

لم تكن معارف الهنود بمنأى عن تقدير أبي عثمان، الذي اتضح من خلال قوله: «وهذه كتب الهند في حكمها وأسرارها وسيرها وعللها»[5].

ولئن أغمط أبو عثمان حق الروم من حيث التميز العلمي، فإنّه لم يلبث أن صبّ جم نقمته على الأمم الأعجمية الثلاث السابقة – اليونان – الهند – الفرس؛ فمما قاله بشأن معارف اليونان « ولليونانيين فلسفة وصناعة منطق، وكان صاحب المنطق نفسه بكيء اللسان غير موصوف بالبيان، مع علمه بتمييز الكلام، وتفصيله ومعانيه، وبخصائصه، وهم يزعمون أنّ جالينوس كان أنطق الناس، ولم يذكروه بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة»[6]، لم تسلم علوم الهند من الهجومات التي شنّها أبو عثمان،وقد عزاها إلى ما تراكم من علوم أمم سابقة للهند « وأمّا الهنود، فإنّما لهم معان مدونة،وكتب مجلدة،لا تضاف إلى رجل معروف، ولا إلى عالم موصوف، وإنّما هي كتب متوارثة، وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة»[7]، كما استهدفت هجوماته الحطّ من قيمة خطب الفرس، بل من قيمة كل العجم «وفي الفرس خطباء، إلا أنّ كل كلام للفرس، وكل معنى للعجم، فإنّما هو عن طول فكرة، وعن اجتهاد رأي، وطول خلوة،

[1] – المصدر السابق، ج1، ص96 .
[2] – المصدر نفسه، ج3، ص 40.
[3] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 49.
[4] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 39.
[5] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 40.
[6] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 49 .
[7] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها .

وعن مشاورة ومعاونة... حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم »[1].

وردت التصريحات السابقة في سياق رد أبي عثمان على مطاعن الشعوبية في مقدرة العرب الخطابية؛ أكّد أبو عثمان على أنّ مصدر مطاعن الشعوبية نفسية حاقدة: « ... ثمّ اعلم أنّك لم تر قوما قط أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا أعدى على دينه، ولا أشد استهلاكا لعرضه، ولا أطول نصبا، ولا أقل غنما من أهل هذه النحلة. وقد شفى الصدور منهم طول جثوم الحسد على أكبادهم، وتوقد نار الشنآن في قلوبهم، وغليان تلك المراجل الفائرة، وتسعر تلك النيران المضطرمة»[2].

لم تكد تخلو الأقوال السابقة من اضطراب فكرة، الذي يخل بالفكر الاعتزالي الذي تبناه أبو عثمان الجاحظ، ممّا يستدعي ضرورة اتخاذ الحيطة والحذر عند قراءة مثل هذه النصوص، التي لم نعدم منها فائدة، تمثلت في حصر الأمم الأعجمية الأكثر إسهاما في إثراء الحضارة العربية الإسلامية أثناء خلافة بني العباس، تمثلت هذه الأمم في: الهنود، اليونان والفرس[3].

يقتصر استقصاؤنا موضوع البحث على عينة من تراث الأمم الثلاث السابقة، في حين يدور استقصاؤنا له، ضمن تراث العرب، حول أولئك المفكرين الذين سبقوا أبا عثمان الجاحظ، أو عاصروه، ولئن عرّجنا على بعض إسهامات من تلوه زمنيا، فمن أجل تحصيل أكبر قدر ممكن من الإفادة لا غير .

---

1 ـ الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص 49.

2 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 51 .

3 – انظر تراجم هذه الأمم: القلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987، ص 423- ص 425.

المبحث الأول : عيوب النطق في تراث الأعاجم

أولا - عيوب النطق في الدراسات اللغوية:

1 - الهنــود:

حظيت اللغة السنسكريتية بمكانة مرموقة لدى الهنود القدامى كونها تمثل لغة الكتب الدينية المقدسة ركفيدا (Rigvida)، وهو ما استدعى ضرورة الالتزام بمعايير أثناء تداولها نطقا وكتابة، ولا غرو في هذا، فالمعنى اللغوي لسنسكريت يحيلنا على عدم اللحن والنقص ف« سن بمعنى كامل وكريت بمعنى مخلوق، أي اللغة التي خلقت كاملة أو اللغة الكاملة»[1]. لهذا كان أقل خطا أو تحريف في تلاوة النصوص المقدّسة، يقضي قضاء مبرما على قيمة الاحتفال الديني.

وبتعاقب الزمن تفشى اللحن على ألسنة المتكلمين؛ فمسّ خاصتهم وعامتهم، ممّا عجّل بوضع،«علم اللغة، المسمّى بياكرن، وهو نحو تصحّح كلامهم و اشتقاقات تؤدي بهم إلى البلاغة في الكتابة، والفصاحة في الخطابة»[2].

ولا يمكن الحديث عن الدراسات اللغوية الهندية، دون ذكر اسم بانيني (Panini)، الذي مثل «فترة النضج في الدراسات النحوية عند الهنود»[3]، و«حتى إنه يحكى في بعض الروايات أنه تلقى هذا العلم عن طريق الوحي والإلهام »[4].

أدرك بانيني بأن التصويت السوي موكول بسلامة آلات التصويت؛ فللتجاويف الحنجرية أهمية في إنتاج الأصوات اللغوية، مما يضفي عليها صفات مميزة، شأنها في ذلك شأن الأوتار الصوتية، التي تميز بين الأصوات المجهورة ونظيرتها المهموسة، كما صنّف الهنود الصوت المفرد إلى صائت وصامت وشبه صائت، وتفطن لغويو الهنود إلى تصنيف الأصوات اللغوية حسب طريقة النطق بها من مخارجها، فتشكلت لديهم أبجدية مقطعية متدرجة من خلف

---

[1] – طه، ندا: اللغة الفارسية: تاريخ وقواعد ونصوص، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ط)، (د،ت)، ص 10.

[2] – البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد: في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، (د، ط)، 1958، ص 104.

[3] – أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 1988، ص59.

[4] – محمود، السعران: علم اللغة، ص 318.

الفم إلى مقدمته[1].

تمكن اللغويون الهنود من الوصول إلى الإنجازات اللغوية السابقة بفضل تطبيق منهج مناسب لطبيعة اللغة السنسكريتية، التي درست وفق منهج وصفي آني، اعتمد على المشافهة والتحليل والاستقراء، سمح تطبيق هذا المنهج بقَبول آرائهم اللغوية « لدى اللغويين الغربيين المحدثين، حتى إن بعض المصطلحات الفنية التي وضعها -بانيني- لعدد من الظواهر اللغوية لا يزال مستعملا حتى الآن»[2].

لقد أربك هذا المنهج أحد الباحثين المحدثين، عبر عن إرباكه بقوله: «ولكننا لا ندري ما إذا كان هذا العمل في مجموعه يعد وصفيا (Descriptive) أو معياريا (Perspective) »[3].

أيًّا كان المنهج المتبع، والنتائج المتوصل إليها، لم نعثر فيما بينها، على ما له علاقة بعيوب النطق، يستثنى من ذلك إدراك الهنود لظاهرة اللحن، وسن معايير ضابطة للنطق بالسنسكرينية، من أجل القضاء على اللحن.

2 - اليونـــان:

درس مفكرو اليونان الأقدمون الظاهرة اللغوية بجميع مستوياتها المشكلة لها،فأثمرت دراساتهم رصيدا لغويا « مازال يملك الشرعية المعرفية في الفكر اللساني المعاصر»[4].

صنّف أفلاطون (Platon) (ت 348 ق.م) حروف الأبجدية اليونانية حسب التحليل السمعي للأصوات، يقول في حواره كراتيل (cratyl): « ألا ينبغي لنا نحن أيضا أن نبدأ بتمييز الصوائت، ثم نصنف باقي العناصر أي العناصر الصوتية التي لا تقبل التجزئة حسب أنواعها وهي لا تتضمن صوتا صائتا، ثم ننتقل إلى العناصر التي ليست هي من الأصوات الصامتة، ولا من الأصوات الصائتة »[5].

لم يحد أرسطو عمّا أتى به أستاذه؛ إذ صنّف هو الآخر حروف الأبجدية باعتبار أثرها

---

[1] - جورج، مونين: تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة: بدر الدين القاسم، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، (د، ط)، 1972، ص 65.

[2] - عبده، الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، (د،ط)، 1972، ص 12.

[3] - ماريو، باي: أسس علم اللغة، ترجمة و تعليق: أحمد مختار عمر،عالم الكتب، القاهرة، ط1987،3، ص 226 .

[4] - جورج، مونين: تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ص 59.

[5] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

السمعي، وأضاف إليه مخرجها من آلة النطق، فاختلفت بذلك الحروف « باختلاف الشكل الذي يتخذه وضع الفم، أو باختلاف المكان الذي ينطق منه »[1]، إضافة إلى هذا التحليل الصوتي ميّز أرسطو بين الحدود المفهومية لكل من الدوي والنطق والكلام، وجعل المفهومين الأخيرين مرتبطين بالإنسان « فالواجب أن يكون القارع متنفسا، ويصحب فعله شيء من التخيل،لأنّ النطق هو ولا ريب صوت له معنى، وليس فقط دوي الهواء المتنفس كالسعال »[2].

ولئن اعتورت المباحث اللغوية اليونانية هنّات، فمردّها إلى إغراقها بالمحاكات الفلسفية والجدالات المنطقية[3].

من خلال ما تأتى لنا قراءته من دراسات لغوية يونانية، عثرنا على مجرد ملاحظات وإشارات مبعثرة لا تنأى عن موضوع البحث؛ فهي تدلّ في عمومها على مدى إدراكهم له؛ فقد استبشع فيثاغورس Pythagore (ت 500 ق.م) اللحن لما ينجرّ عنه من آفات نفسية وخُلقية «إنّ أكثر الآفات إنّما تعرض للحيوانات لعدمها الكلام وتعرض للإنسان من قبل الكلام»[4]، يردف فيثاغورس قائلا في السياق ذاته: «ونظر إلى رجل عليه ثياب فاخرة، يتكلم فيلحن في كلامه، فقال له: إما أن تتكلم بكلام يشبه لباسك، أو تلبس لباسا يشبه كلامك»[5]، كما ألّف جالينوس (Galien) (ت 200 م) كتابا موسوما ب (في لحن العامة)[6].

ومما يدل أيضا على مدى إدراك بعض مفكري اليونان بعضا من عيوب النطق، ما تضمنه قول أرسطو «...ولأنّ الحكمة أشرف الأشياء، فينبغي أن تكون العبارة عنها بأحكم المنطق وأفصح اللهجة، وأوجز اللفظ إلا بعد عن الدخل والزلل وسماجة المنطق، وقبح اللكنة والعي، فإنّ ذلك يذهب بنور الحكمة، ويقطع عن الأداء، ويقصر عن الحاجة، ويلبس على المستمع ويفسد

---

[1] – المرجع السابق، ص 99.
[2] – أرسطو، طاليس: كتاب النفس، تحقيق: أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط2، 1962، ص 74.
[3] – عبده، الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية، ص 12. –بتصرف–.
[4] – ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1981، ج1، ص 66.
[5] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 67.
[6] –الزّوزني: تاريخ الحكماء وهو مختصر الزّوْزَني المسمّى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، لجمال الدّين أبي الحسن علي بن يوسف القِفطي، مكتبة المثنى، بغداد، مؤسسة الخانجي، مصر، (د، ط)، (د،ت)، ص 321.

المعاني ويورث الشبهة »[1]، ولهذا أوصى أرسطو الإسكندر، فقال: « اختصار الكلام طي المعاني ... الصمت خير من عجز المنطق »[2].

لقد تعدى إدراك بعض مفكري اليونان للعينة السابقة من عيوب النطق، إلى اقتراح طرائق علاج للتخلص منها، أو للتخفيف من حدتها؛ فللتخلص من اللحن كان ينصح بتدارس علم اللسان « لأنّه الأداة والمراقي إلى كل حكمة وفضيلة، والبيان الذي يتحصل به كل علم »[3].

3 - الفـــرس:

يكاد يخلو رصيد الفرس من الدراسات اللغوية، يستثنى ما قيل بشأن الخط الذي كتبت به لغتهم. وهو مأخوذ « من الخط البهلوي، وقد كمل بحروف صائتة كانت معدومة في البهلوي، وأصبح بفضل جماعة من رجال هذا الدين –موبذان موبذ– من أكمل الخطوط الفارسية، ويحتوي على أربعة وأربعين حرفا صائتا صاما »[4].

تعد لغة الفرس « وثيقة الارتباط باللغة السنسكريتية حتى ليبدو لنا جليا أن اللغتين كانتا في وقت من الأوقات لهجتين من لغة أقدم منهما عهدا»[5]، يمكن أن يعزى عزوف الفرس عن دراسة لغتهم إلى اعتبارهم الكتابة «لهوا خليقا بالنساء لا يكادون يقتطعون له وقتا من بين مشاغلهم الكثيرة في الحب والحرب والصيد»[6]، مادام الأمر على هذه الحال، فمن الطبيعي ألا نعثر على ماله ماله صلة بموضوع دراستنا.

ثـــانيا- عيوب النطق في الدراسات البلاغية:

تشكل عيوب النطق وجها من وجوه الرداءة والقبح، وعلى الرغم من المباينة الحاصلة في المفاهيم الاصطلاحية لكل عيب نطقي، فإنها تتوحد في مفهوم اصطلاحي جامع مؤدّاه نقصان آلة البيان.

ويحيلنا المفهوم الاصطلاحي السابق على خاصية النطق، التي عادة ما ترتبط بالنص الإبداعي

[1] – ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج1، ص 87.

[2] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 100.

[3] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 87.

[4] – نور الدين ،آل علي: دروس اللغة والأدب الفارسي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، (د،ط)،(د،ت)، ص 10.

[5] – ل. ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط3، 1965، ج2، ص411.

[6] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 412.

المنطوق، وما يستوقفنا في هذا المقام هو جنس الخطابة؛ لنحذو بذلك حذو الجاحظ، الذي درس موضوع عيوب النطق في فلك فن الخطابة.

ولا نقصد بالخطابة نصوصا إبداعية، بل التنظير لهذه النصوص، ولارتباط عيوب النطق بنقصان خاص بعملية تقطيع الحروف، نتيجة خلل كائن -عموما- على مستوى جهاز النطق، الذي يعد أداة الخطيب الفعالة للتأثير في جمهور المستمعين، تركز بحثنا على شروط نجاح الخطبة والخطيب.

وبغية الظفر بنتائج مرضية، فقد توخينا سلك ثلاثة طرق:

- الوقوف على ما ألفه باحثو الهنود و اليونان والفرس من كتب تنظيرية لجنس الخطابة، وبما أننا نهدف من وراء هذه الصفحات، إلى إيضاح قضية التأثير والتأثر، فقد تركز اطلاعنا على ما ترجم منها إلى اللغة العربية.
- الوقوف على ما ترصدته كتب الأخبار والمصنفات الأدبية والتأريخية العربية، التي يحتمل أنها أشارت إلى شروط الخطبة والخطيب.
- التنقيب بين دراسات المحدثين عسى أن نعثر على ضالتنا.

1 - **الهنــود**:

ما ميّز الأدب الهندي القديم غلبة الطابع الديني الهندوسي عليه، فمضامين السامهيتا (الدواوين)، لا تعدو أن تكون ذات طبيعة دينية، بالإضافة إلى كون هذا الأدب ثريا في أجناسه، متنوعا في مواضيعه؛ فقد وجدت الحكم الموجزة (السوترا)، بجانب الأدب الملحمي وبعض القصص والأساطير[1]، وقديما أرجع البيروني (ت 440 هـ) السِّرَّ في ولع الهنود بالأشعار والمقدرة على نظمها، إلى حب النظام من جهة، ومخافة فساد وضياع تراثهم[2].

لم تحظ هذه الأجناس الأدبية الثرية، بدراساتٌ نقدية؛ فالبلاغة وقتذاك لم تستقل عن الأدب، إذ كانت عبارة عن أقوال متناثرة بين مضان المصنفات الأدبية، مثلما هو الحال في كتاب (البيان والتبيين)؛ إذ ساق أبو عثمان تعريف الهندي للبلاغة: «وقيل للهندي: ما البلاغة ؟ قال: وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة»[3]، ومما أورده أيضا: «وقال بعض أهل الهند:

---

[1] – لويس، رينو: الأدب الهندي، ترجمة: بهيج شعبان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (د،ط)،1955، ص3، ص8.
[2] – البيروني: في تحقيق ما للهند من مقولة، ص 14، ص105 .
[3] – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 64.

جماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، ومن البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاح أوعر طريقة، وربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الدرك، وأحق بالظفر»[1].

تجمعت النظرات البلاغية السابقة في صحيفة مكتوبة قدّمها بهلة الهندي لأبي الأشعث، -الذي قدمها بدوره للمترجمين-، وهذا نصها: «أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخيّر اللفظ، لا يكلّم سيد الأمّة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السّوقة، ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة، ولا يدقّق المعاني كل التدقيق، ولا ينقّح الألفاظ كلّ التّنقيح، ولا يصفّيها كلّ التصفية، ولا يهذّبها غاية التهذيب، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيماً أو فيلسوفاً عليماً، ومن قد تعوّد حذف فضول الكلام، وإسقاط مشتركات الألفاظ، وقد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة، لا على جهة الاعتراض والتصفح، وعلى وجه الاستظراف والتظرّف.

قـــال: ومن علم حق المعنى أن يكون الاسم له طبقاً، وتلك الحال له وفقا، ويكون الاسم له لا فاضلاً ولا مفضولا، ولا مقصّرا، ولا مشتركا، ولا مضمّنا، ويكون مع ذلك ذاكرا لما عقد عليه أول كلامه، ويكون تصفّحُه لمصادره في وزن تصفّحه لموارده، ويكون لفظه مونقاً، ولهول تلك المقامات معاودا، ومدار الأمر على إفهام كلّ قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم، وأن تواتيه آلاته، وتتصرف معه أداته، ويكون في التهمة لنفسه معتدلا، وفي حسن الظن بها مقتصدا، فإنه إن تجاوز مقدار الحقِّ في التهمة لنفسه ظلمها فأودعها ذلّة المظلومين، وإن تجاوز الحق في مقدار حسن الظن بها آمنها فأودعها تهاون الآمنين، ولكلِّ ذلك مقدار من الشغل، ولكلِّ شغلٍ مقدارٌ من الوهن، ولكل وهن مقدارٌ من الجهل»[2].

دلت الصحيفة الهندية على ضرورة اتصاف الخطيب بالبلاغة، ولن تكون فيه إلا باجتماع آلتها، والمتمثلة في سكون النفس وهدوئها؛ ذلك أن اضطراب الخطيب يؤدي لا محالة إلى ابتعاده عن البلاغة؛ إذ يكون عرضة لشتى العيوب من نطقية وبيانية، ومن جملة الشروط التي سنتها الصحيفة أيضا الدربة والمران على إلقاء الخطب؛ فاعتلاء الخطيب المنبر يعد هولا من الأهوال،

---

[1] – المصدر نفسه، الجزء السابق، الصفحة السابقة.

[2] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 67- ص 68.

كما ربطت الصحيفة بين سلامة الخطيب من شتى العيوب النطقية والبيانية بسلامة جهازه النطقي، ولعل هذا ما أشارت إليه جملة «وأن تواتيه آلاته، وتتصرف معه أداته»[1].

2 - اليـــونان:

تذوق مفكرو اليونان الكلام الجميل، واتخذ هذا التذوق صبغة عملية، فأضحت اللغة الوسيلة الأكثر نجاعة لتحقيق منافع الإنسان، الأمر الذي تطلب وجوب الإمساك بزمامها، وفي هذا الاتجاه حظيت الخطابة بأهمية قصوى، فأصبحت مطمح كل من يريد الارتقاء في السلم الاجتماعي، لذا عقدت مجالس الخطباء، وأنشئت المدارس لتصبح « أثينا في القرن الرابع مدينة مدارس البيان، كما كانت في الوقت نفسه مدينة مدارس الفلسفة »[2].

أحرز السوفسطائيون قصب السبق في التنظير لبعض جوانب الخطابة؛ يقول جورجياس (Gorgias) (ت 380 ق.م): « ... الحقيقة لا تكفي وحدها أن تكون محور الخطابة، بل المعول على الفصاحة التي تجعل من الخطيب عبقريا قادرا على الاستمالة وجذب الجماهير إليه »[3]. انتقص هذا الخطيب السوفسطائي من قيمة الحقيقة كمظهر من مظاهر الفضيلة أو الأخلاق، ليعلي بذلك من شأن الفصاحة لِما لها من أهمية في جذب المستمعين.

تمكن أرسطو من التنظير لفن الخطابة من خلال كتابه (الخطابة)، تحدث أرسطو عن ضرورة سلامة جهاز النطق، وضرورة استثماره من أجل الاتصاف بالفصاحة وإقناع المستمعين، يقـــول: «من غير المعقول، بل من سخرية الإنسان بنفسه، أن يستحي من الاستعانة بجوارحه، وأن يحـــرم الكلام، تلك الخاصية التي تميزه أكثر مما تميزه بقية جوارحه عن غيره من المخلوقات»[4]، ولن يـــتم للخطيب جذب المستمعين دون جودة الإلقاء والتنويع في النبرات الصوتية تبعا لتنوع الانفعالات[5]، لم يغفل أرسطو الأسلوب، وحدد لجماله شروطا هي: الصحة، الدقة والوضوح، تدور الشـــروط الأسلوبية المتعلقة بالصحة حول التصدي لمحاربة اللحن أيًّا كان نوعه، لذا توجب: صحة استعمال

---

[1] – المصدر السابق ، الجزء السابق، ص 67.

[2] – أندريه، إيمار، وجانين، أبوايه: تاريخ الحضارات العام (الشرق واليونان القديمة)، ترجمة: فريدم. داغر وفؤاد ج. أبو ريحان، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 1986، ص 399 .

[3] –سلامة، إبراهيم: بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1952، ص 26.

[4] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5] – أرسطو، طاليس: الخطابة، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن بدوي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (د،ط)، 1959، ص 204- ص 207 .

الكلمات، الفصل بينها وبين متعلقاتها، تسمية الأشياء بمسـميالها ومراعـاة قواعـد اللغـة[1].
اعتبارًا أن الذي يلحن في الكلام وذلك كما لم يستعمل ما يشاكل في كل واحد منها[2].

وما يدل على معرفة عملية بالقضاء على بعض عيوب النطق، ما سيق بشأن ديموستين (Démosthène) (ت 322 ق،م) فقد كان «رجلاً خاملاً ضعيف البنية خافت الصوت، ليست لحركته لباقة، ولا في لسانه طلاقة؛ فلما اعتزم الخطابة أخذ يقوي رئتيه وحنجرته بالصياح فوق رؤوس الجبال وعلى شواطئ البحار، يرفع صوته فوق صخب الأمواج، وتغلب على عاهة النطق بممارسة الكلام، وفي فيه حصى، وتعلم أصول اللباقة ورشاقة الحركة بالوقوف أمام المرآة، وهو يخطب حتى صار كبير الخطباء في كل فنون الخطابة»[3].

3 - **الفـرس**:

غلب على أدب الفرس الطابع الديني، فكثرت النصوص المكتوبة باللغة الفهلوية، ذات الطبيعة الدينية، فضلا عن هذا، انصرف اهتمام الفرس إلى إقامة التماثيل الضخمة، وبناء القصور الفخمة، أكثر مما اتجه إلى الشعر والأدب[4].

على الرغم من إشارة الجاحظ إلى كتاب (**كاروند**): «ومن أحب أن يبلغ في صناعة البلاغة،ويعرف الغريب،ويتبحر في اللغة، فليقرأ كتاب كاروند »[5]، فإن البلاغة لم تتبلور علما له منهجه ومصطلحاته، فقد كانت البلاغة عبارة عن آراء وملاحظات مبعثرة.

لم نعثر من بين شتات الملاحظات البلاغية الفارسية، إلا على نص دال على استيعاب بعض عيوب النطق « وقيل لبُزُرْجمِهْرَ بن البختكان الفارسيّ: أيُّ شيءٍ أستَر للعَيِّ ؟ قال: عقلٌ يجمِّله، قالوا: فإن لم يكن له عقلٌ، قال: فمالٌ يستره، قالوا: فإن لم يكن له مال قال: فإخوانٌ يعبِّرون عنه، قالوا: فإن لم يكن له إخوانٌ يعبرون عنه؟ قال: فيكون عيبا صامتا، قالوا: فإن لم يكنْ ذا صَمْت، قال: فموت خيرٌ له من أن يكونَ في دار الحياة»[6]. فبزُرْجمِهْرَ أيقن قبح العي للمتكلم،

---

[1] – المصدر السابق، ص 198- ص 200.
[2] – المصدر نفسه، ص 200.
[3] – عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة إعداد الخطيب، دار الشروق، ط3، 1987، ص 148- ص 149.
[4] – محمد حرب فرزات: مدخل إلى تاريخ فارس وحضارتها القديمة قبل الإسلام، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، (د،ط)، 1989، ص 146- ص 147.
[5] – الجاحظ: البيان والتبيين، ج3، ص 40.
[6] – المصدر السابق، ج1، ص 7- ص 8.

فذكر طرائق متنوعة من شأنها أن تستر قبحه، حتى ولو كانت إحداها موت العيي.

ثـــالثا – عيوب النطق من خلال الدراسات الطبيـــة:

لا يكاد يخلو تراث أمة من الأمم، من معارف طبية، حتى وإن كانت ذات صبغة شعبية، فلكل أمة نصيب من الطب، فهو ثمرة من ثمار فكرها، « تتفاعل فيه وجهتان: الوجهة التجريبية الحسية، والوجهة الاستقرائية التفسيرية»[1]، ولا يخلو هذا النصيب من الطب من سمات محلية من شأنها أن تطبعه.

1 – الهنـــود:

انتحى منتحلو طب الهنود صفة البساطة التي واكبت بساطة عيشهم وكفافه؛ لهذا اعتمدوا في معالجة أدوائهم على الأدوية المفردة لا المركبة، ورغم هذه البساطة، فقد تميّز طب الهنود بالاستقلالية والتميز فكان أطباؤهم متبوعين لا تابعين؛ فلا يكاد يخلو كتاب من الكتب التي أرخت للحضارات القديمة، أو ترجمت لأطبائها ومبدعيها من ذكر إسهامات أطباء الهند، فقد أفرد ابن أبي أصيبعة (ت 668 هـــ) الباب الثاني عشر وسمّاه: في طبقات الأطباء الذين كانوا من الهند، ترصد في هذا الباب أسماءهم وعناوين كتبهم وإفادة الرازي من أطبائهم، إذ قد نقل في كتابه الحاوي وفي غيره، عن جماعة من الهند[2]؛ هذا وجه من وجوه الإفادة من طب الهنود، يضاف إليه استقدام أشهر أطبائهم النطاسين البارعين، كما فعل يحي بن خالد البرمكي الذي اجتلب « منكة وبازيكر وقلبرقل وسندباد وفلان وفلان »[3].

لم تدل عناوين كتب طب الهنود –التي ترصدها كتابا ابن النديم (ت380هـــ) وابن أبي أصيبعة على معالجتهم موضوع عيوب النطق، غير أنّه لا يمكن الجزم بذلك؛ فما ترجم من كتب طب الهنود من اللغة الهندية إلى العربية، لا يمثل الطب الهندي كل التمثيل، فشتان ما بين الوضع (التأليف) والترجمة، وما يمكن الاستئناس به على أن للهنود دراية بموضوع البحث، ما أورده أبو عثمان: «وتقول الهند: لولا أن الفيل مقلوب اللسان لكان أنطق من كل طائر يتهيأ في لسانه كثير

---

[1] – بول، غليونجي: قطوف من تاريخ الطب، دار المعارف، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، ص 165 .
[2] – ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج3، ص 49 – ص 55.
[3] – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1،ص67.

من الحروف المقطعة المعروفة»[1]، تدل مقالة الهند على مدى إدراك أهمية عضو اللسان في النطق؛ إذ لما كان العضو (لسان الفيل) معطلا (مقلوبا) تعطلت معه الوظيفة (النطق بالحروف).

2 - اليونـــان:

راعى أرسطو الجانب الحيواني الذي يعد قاسما مشتركا بين الحيوان والإنسان؛ لينشئ ما يعرف بعلم التشريح المقارن؛ فبعدما شرّح في كتابه **أجزاء الحيوان**، وبعض أعضاء الصوت للحيوان، أسقط هذا التشريح على الإنسان، مستعينا في ذلك بعلم وظائف الأعضاء؛ فخِلقة الشفتين واللسان –لا الحصر– «مواتيه لحفظ الأسنان، ومذاقة الرطوبات من جهة، ولحال الكلام من جهة ثانية »[2]، ويؤكد أرسطو في السياق ذاته، على أن إصابة أيِّ عضو بتلف يحدث خللا بأداء الوظيفة الموكلة إليه: ف«اللسان اللين العريض، موافق لجودة الكلام؛ لأنّه يتقيد وينبسط، ويصير في كل ناحية من الفم بأنواع شتّى، فإذا كان اللسان عريضا مرسلا، كان قويا على جودة الكلام وحسنه[3]، أما إذا كان اللسان ضيقا غير مرسل، فقد يكون علة الإصابة ببعض عيوب النطق كاللثغة واللجلجة، يقول أرسطو: «فإن منهم من يكون ألثغ، ومنهم من تكون في لسانه آفة أخرى مثل اللجلجة وغيرها»[4]. أما في المقالة الثالثة من أجزاء الحيوان، فقد تحدث عن وظيفة وشكل الأسنان «فكيفية وكمية أسنان الإنسان، موافقة لبعض الكلام والتصويت، ولاسيما مقاديم الأسنان موافقة للتصويت بالهجاء أيضا»[5].

فسرّ أرسطو نوعا من أنواع عيوب النطق وهو اللثغة فذكر علة حدوثها عند الصبيان، ووصفها بأنها لثغة مؤقتة ناجمة عن عدم استواء بعض أعضاء النطق كضعف عضو اللسان مثلا «فأما الصبيان فليس يضبطون ألسنتهم، كما لا يضبطون شيئا آخر من أعضائهم حتى يستوي، ومن الصبيان من لا يقوى لسانه إلا بعد زمان كبير، ومنهم من يكون ألثغ، أو تعرض له ضرورة أخرى»[6].

---

[1] – المصدر السابق، الجزء السابق، ص 48.

[2] – أرسطو، طاليس: أجزاء الحيوان، ترجمة: يوحنا بن البطريق، تحقيق و شرح وتقديم: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت،ط1، 1977، ص 112.

[3] – المصدر نفسه، ص 113.

[4] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5] – المصدر نفسه، ص 118.

[6] – المصدر نفسه، ص 193- ص 194 .

كما كان لجالينوس أحد أقطاب مدرسة الإسكندرية (323 ق.م-302 ق.م) لمحات ذكية وإشارات لطيفة، ففي المقالة الثانية من كتابه (مختصر من كتاب الأخلاق لجالينوس) بيّن أنّ الناس متفاوتون فــ«بعضهم فصيح في كلامه، أي مبين في جميع أجزائه وحروفه، وبعضهم ألثغ وكلامه غير مبين»[1].

وفي السياق ذاته عثرنا على عناوين كتب، يفترض أن مؤلفيها عالجوا بشكل أوبآخر موضوع عيوب النطق، تتمثل هذه العناوين في: تشريح آلات الصوت - كتاب في الصوت - كتاب في رداءة التنفس - كتاب فيما يلزم الذي يلحن في كلامه (7 مقالات يضم مقالة الأصوات ونفي الآفات عنها)[2] .

وما يؤسف له حقا، أننا لم نعثر على الكتب السابقة، حتى نطلع على مضامينها، ومن ثمة الإفادة منها.

3 - **الفــرس:**

يبدو أن حظ الفرس من صناعة الطب لم يكن وفيرا مقارنة بأمتي اليونان والهنود؛ فأغلب نتاج الفرس كان سيرا وتراجم[3]، رغم هذا، اهتم الفرس بالطب؛ فقد أمر يحي بن خالد البرمكي بـــ تفسير كتاب سرد، وفيه علامات الأدواء ومعرفة علاجها وأدويتها وهو عشر مقالات[4]، دون دون أن ننسى تشجيع البرامكة على الإفادة من الطب الهندي إذ « اهتموا اهتماما كبيرا بالاستعانة بأطباء الهنود وحكمائهم، كما شجعوا نقل التراث الهندي الضخم إلى اللغة العربية »[5].

كما أنشأ الفرس بمدينة جند يسابور مدرسة طبية وبيمارستانين أنشأهما كسرى الأوّل، وجلب إليهما المعلمين من يونان[6]، ولا أدل على اهتمام الفرس بصناعة الطب من أن لفظة البيمارستان (بفتح الراء وسكون السين)، كلمة ذات أصل فارسي، مركبة من شقين هما: بيمار

---

[1] - عبد الرحمن، بدوي: دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1981، ص 200.

[2] - ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج1، ص 143، ص 146 ، ص 154.

[3] - جرجي، زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د، ط)، (د،ت)، ج3، ص 173.

[4] - ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج1، ص 50 -بتصرف-.

[5] - بقلم التحرير: "العلوم عند العرب"، مجلة عالم الفكر، المجلد 9،العدد 1، أبريل، مايو، يونيو، 1978، ص7.

[6] - محمد، عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1981، ص 61- ص 62.

وتعني مريض أو عليل أو مصاب، وستان بمعنى مكان أو دار[1].

نوّه القفطي (ت 646هـ) بحذق أطباء جند يسابور: « إن أهل جند يسابور من الأطباء فيهم حذق بهذه الصناعة، وعلم من زمن الأكاسرة »[2].

لعلنا لا نجانب الصواب إن أقررنا بعدم العثور على ماله علاقة بموضع عيوب النطق، سواء من قريب أو من بعيد، وعدم عثورنا عليها فيما تجمع لدينا من مادة مستقاة من المصادر أو المراجع، لا يعني بأية حال من الأحوال خلوا تاما للتراث الفارسي من مثل هذا الموضوع؛ فبالعودة (للبيان والتبيين) -بوصفه كتابا تقاطعت عنده الكثير من الثقافات المتنوعة- نعثر على مرويات فارسية؛ حذق رواتها بعض جوانب عيوب النطق؛ فبُزُرْجمِهْرَ بن البختكان الفارسيّ، فهِم معنى العيَّ، وتعدى فهمه إلى اقتراح حِيل للتخلص منه، كأن يجمّل العيي عيه بالعقل، أو يستره بالمال،أو يعبر إخوانه بدلا عنه،أو أن يلتزم بالصمت، وإلا، فموت العيي أستر له، من بقائه حيًّا[3].

---

[1] - المرجع السابق، ص 4.

[2] - المرجع نفسه، ص 62.

[3] - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 7- ص8.

المبحث الثاني : عيوب النطق في تراث العرب.

رغم العدميّة التي طبعت النتائج المستخلصة من مبحث عيوب النطق من خلال تراث الأعاجم، فإن هذه العدميّة ترقى إلى درجة التأكيد على أن دراسة موضوع عيوب النطق، لم يخصص لها كتاب مستقل تقريبا.

وتفاديا للنسبية التي وسمت نتائج المبحث الأول، وقصد الاقتراب قدر الإمكان من وجه الحقيقة، آلينا على أنفسنا أن ننقب عن موضوع البحث –من خلال هذا المبحث– بين جملة من العلوم؛ ذلك لأن الإطار الزمني يحيلنا في أقصى مداه على نهاية القرن الثالث الهجري؛ الذي لم يعهد جل علمائه الدراسة التخصصية بعدُ، بل وجدنا وقتذاك تداخل العلوم فيما بينها.

لهذا وسعنا من دائرة البحث لتتعدى حدود الدراسات اللغوية والبلاغية إلى دائرة الدراسات القرآنية؛ ذلك أن النص القرآني استقطب اهتمام العديد من الدارسين بشتى توجهاتهم العلمية: النحوية، الصرفية، الصوتية،...الخ، بل تمخض عن هذا الاهتمام، والعكوف على دراسة النص القرآني جملة من العلوم كعلم التجويد –لا الحصر–.

أولا – عيوب النطق في الدراسات اللغوية:

ما ميّز فكر العرب أثناء القرون الهجرية الأوّل هو الطابع الموسوعي؛ فقلما نجد كتابا خصصه مؤلفه لفن معين واحد دونما تداخل مع فنون أو علوم أخرى.

حتى نتمكن من إيفاء موضوع البحث حقه من الدراسة، آلينا على أنفسنا، وبحثنا عن إسهامات العرب القدماء في موضوع عيوب النطق، من خلال العناصر الآتية:

1 – السمات الأدائية المذمومة.
2 – عيوب النطق وعلم القراءات.
3 – ظاهرة اللحن.
4 – التنافر.
5 – الألفاظ الدالة على عيوب النطق.
6 – رسالة الكندي نموذجا.

1 - السمات الأدائية المذمومة:

تشعرنا اللغة العربية الفصحى، بأن متكلميها كانوا –منذ القدم– من طينة واحدة، وبيئة واحدة، لا تفرقهم سمات أدائية معينة، وينبئ واقع الأمر بخلاف ظاهره، فتلك اللغة لا تعدو أن تكون مزيجا لطيفا من اختيار أنيق للهجات هؤلاء وأولئك حدث بسبب احتكاك كثير من أفراد هذه القبائل في مواسم الحج والتجارة والأسواق الأدبية المختلفة.

و لم تحظ تلك اللهجات –وقتذاك– بتدوينها ودراستها في كتاب واحد، بل تناقلت شواهدها كتب المعجميين والأخبار والنوادر، وبظهور مستجدات ومعطيات فكرية وسياسية، اهتم العلماء العرب المتقدمون بمادة اللهجات عامة، التي غدت تسير بمحاذاة التأليف في لغات القرآن.

ومايهمنا منها هو ما اصطلح على تسميته بالسمات اللهجية المذمومة للغة العربية. فماهي هذه السمات؟ ومن الذين باشروها في سلوكهم اللغوي ؟ وهل لهذه السمات الأدائية صلة بعيوب النطق؟ يلخص الجدول الآتي[1] الإجابة عن السؤالين الأولين:

اللهجة وفق الترتيب الألفبائي	أماكن انتشارها أو القبائل المتحدثة بها	المبـدل	المبدل منه	الشـاهد	التعليل الصوتي أو الشرح
الاستنطاء	سعد بن بكر، هذيل، الأزد، قيس، الأنصار	النون	العين	إنّا أنطيناك	
التضجع	قيس	الكسرة	الفتحة	ما إخاف	– تباطؤ في الكلام وتراخ فيه – يكسر حرف المضارعة إذا كان ما بعده متحركا.
الرتة	العراق	الكسرة	الفتحة		التباطؤ والتراخي
الشنشنة	اليمن – تغلب	الكاف	الشين		
الطمطمائية	طيء، الأزد، حِمير	الميم	اللام	طاب امهوا، وصفا امجو	يقع الإبدال بين الميم واللام لأنهما من الأصوات المتوسطة أو المائعة.
العجرفية	ضبة				جفاء في الكلام.

[1] – رمضان، عبد التواب: فصول في فقه العربية، ص 116– ص 154 .

العجعجة	قضاعة، بعض بني حنظلة، بعض بني سعد	الجيم	الياء	تميمج	اتحاد الجيم والياء في المخرج، الغار أو سقف الحنك الصلب، كلاهما مجهور، الفارق بينهما أن الجيم تجمع بين الشدة والرخاوة، أما الياء فهي من المتوسطة التي فيها بعض الرخاوة.
العنعنة	تميم، قيس، أسد				نوع من المبالغة في تحقيق الهمز لا غير
الغمغمة	قضاعة				تدل على وصف لتقطيع أصوات مبهمة.
الفحفحة	هذيل	العين	الحاء		الحاء مهموسة، والعين مجهورة، فجهرت الحاء فأصبحت عينا.
الفراتية	الفرات				السرعة في الكلام، نتج عنها سقوط الحروف، وتقصير الحركات
القطعة	طيء				إسقاط المقطع الأخير من الكلمة، مثل يا أبا الحكا بدل يا أبا الحكم، قريب في معناه من اللخلخانية والفراتية والرتة.
الكسكسة	بكر، هوازن، ربيعة، مضر	السين	الكاف	إنكس	تحولت إلى صوت من الأصوات المزدوجة Affricata، تتحول الكاف المكسورة إلى تس في الكسكسة وتش في الكشكشة.
الكشكشة	ناس من بني أسد، ربيعة ومضر، بكر، ناس من بني عمرو بن تميم	الشين	الكاف	جيدش	" " "
اللخلخانية	العراق، أعراب الشحر وعمان				العجمة في الكلام، رجل لخلخاني مثل تختخاني، وهو كذلك تفسير: يعني سرعة في الكلام.
الوتم	اليمن	التاء	السين		كل من السين والتاء متناظران في الرخاوة والشدة، يتفقان في

					المخرج، وهما مهموسان مرققان، في حين أن السين رخوة احتكاكية، أما التاء فهي شديدة انفجارية.
الوكم	ربيعة، قوم من بني كلب، ناس من بكر بن وائل	الكسرة	الضمة		تأثرت ضمة الكاف بما قبلها من كسرة أو ياء، فقلبت كسرة لتحدث المماثلة أو الانسجام الصوتي.
الوهم	بنو كلب	الكسرة	الضمة		تأثرت ضمة الهاء بما قبلها من كسرة أو ياء، فقلبت كسرة لتحدث المماثلة أو الانسجام الصوتي.

وغير بعيد عن سياق اللهجات المذمومة، نجد سيبويه (ت 180هـ) قد قال بوجود حروف مستحسنة حصرها في ستة أحرف، وهي فروع من الحروف الأصول، التي بلغ عددها تسعة وعشرين حرفا، تتمثل الحروف المستحسنة في: «النون الخفيفة، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفخيم، يعني بلغة أهل الحجاز، في قولهم: الصلاة والزكاة والحياة»[1]، وسمّاها مستحسنة لأنها «كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار»[2].

وفي مقابل الحروف المستحسنة، عدّد سيبويه حروفا أخرى هي فروع من الأصول، وهي: « الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي [كالكاف، والجيم التي] كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء»[3]، وهي «غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر»[4].

ومما هو حريّ بالذكر، أن السمات الأدائية المذمومة التي حواها الجدول، لا تقدح البتة في فصاحة لهجة من اللهجات؛ فأكثر المواد اللغوية التي احتوتها بطون الكتب في اللغة والنحو،

---

[1] – سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق و شرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، (د،ت)، ج4، ص 432.

[2] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

[4] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

والمعاجم، تنسب إلى قبائل تميم وهذيل وطيء والحجاز.

أما فيما يخص العلاقة بين السمات الأدائية للهجات المذمومة وألفاظ عيوب النطق؛ فالسمات الأدائية خاصة بقبيلة معينة أو بطن من بطونها، أما عيوب النطق فتخص الأفراد لا الجماعات، ورغم أن السّمات الأدائية للهجات وصفت بالمذمومة، غير أن عيوب النطق أكثر ذمامة وقبحا؛ فالمصابون بها في أمس الحاجة إلى علاج ناجع، أما التميميون الذين يشتهرون بصفة لهجية، فلا يحتاجون إلى علاج من أجل القضاء على عنعناتهم؛ لأنّها سمة أدائية تسري في عروقهم مسرى الدم، ولا تزول إلاّ بزوالهم.

ومن جهة أخرى لم تسلم ألقاب الأداءات اللهجية المذمومة من التداخل مع بعض الألفاظ الدالة على عيوب النطق؛ فالرتة بوصفها سمة أدائية مذمومة تخص متكلمي العراق، تدل أيضا على عيب نطقي؛ وهذا ما نص عليه معجم من المعاجم: «عيب من عيوب النطق، وأمراض الكلام، وهو أمر فردي خاص ... فهو ليس إلا لثغة من اللثغ»[1]، كما تؤدي الغمغمة دلالة مشتركة بين أداء لهجي مذموم، وعيب نطقي مؤدّاه « أن تسمع الصوت ولا يتبين لك تقطيع الحروف »[2].

إضافة إلى الرتّة والغمغمة ينصرف معنى اللخلخانية إلى لكنة في الكلام وعجمة، وفي السياق ذاته أدرج **مصطفى فهمي العنة** (العنعنة) ضمن أمراض الكلام، ونص على « أن اللفظة نفسها تدل على سمة أدائية لهجية في قبيلة تميم »[3]، لعل هذا الخلط الحاصل بين العيب النطقي والسمة اللهجية ما حذا بالخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) إلى التصريح: « الذعاق بمنزلة الزعاق ... سمعناه فلا ندري ألغة هي أم لثغة؟»[4].

2 - عيوب النطق وعلم القراءات:

بقدر ما حرص علماء القراءات على قراءة القرآن بكيفيّات صحيحة ذات ضوابط علمية أقرها العلماء والمختصون، بقدر ما حذروا وترصدوا لكل الصور التي تؤذي قراءة القرآن لأنّها تخل بقدسيته بوصفه كتابا سماويا، ومن هذا المنطلق نشأ حرص علماء القراءات على دراسة عيوب النطق، مخافة تأثيرها على قارئ القرآن، وبغية إيجاد وسائل علاجية لها، أو الاحتيال بحيل

---

[1] – رمضان، عبد التواب: فصول في فقه العربية، ص 126- ص 127.

[2] – المبرد أبو العباس محمد بن يزيد: الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، والسيد شحاتة، القاهرة، (د، ط)، 1956، ج2، ص 221.

[3] – مصطفى، فهمي: أمراض الكلام، ص 228.

[4] – الخليل: كتاب العين، ج1، ص 148.

قصد التخفيف من وطأتها، ألفوا كتبا تحت هذا المنحى النبيل مثلما ترصده الدكتور غانم قدّوري الحمد، الذي ألف كتابين نفيسين يعودان إلى القرن الخامس الهجري[1]، كما ألف أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب القرطبي (ت 462هـ) كتابه (الموضح في التجويد)، عقد في آخره فصلا موجزا عن عيوب النطق.

كما ألف أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الله البغدادي المعروف بابن البناء (ت 471هـ)، كتابه الموسوم بـ (بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القرّاء، وإيضاح الأدوات التي بني عليها الإقراء)، كما قام علماء التجويد بتصنيف عيوب النطق كالآتي[2]:

أ – **أمراض الكلام**: وهي ناشئة عن خلل في آلة النطق وتنجم عنها عيوب مثل: **التمتمة، الفأفأة، الحبسة، اللثغة، الغنّة والخنة.**

ب – **عيوب الأصوات**: إنها ناجمة عن عادات نطقية منحرفة للمتكلم مثل الترعيد في محاذير المد، ومثل اللّكز الخاص بالهمز.

ج – **انحرافات النطق اللهجية**: مثل الكشكشة والتلتلة والطمطمانية والعنعنة.

كما سلط علماء القراءات الضوء على اللحن؛ فكان نصيبه وافرا من الدراسات القرآنية؛ فقد عدّ العلماء القراءة بغير تجويد لحنا، وعدّوا القارئ بها لحانا، وقسموا اللحن إلى **جلي وخفي**؛ أمّا الجلي فيخل إخلالا ظاهرا يشترك في معرفته علماء القراءة وغيرهم، أما الخفي فيخل إخلالا يختص بمعرفته علماء القراءة وأئمة الأداء[3].

لم يكتف علماء القراءات بدراسة العيوب السابقة، فقد عالجوا بالإضافة إليها ما يعرف بـ **عيوب الجوارح والهيئات**[4].

انتقل علماء القراءات بعد تصنيفهم العيوب السابقة، إلى اقتراح حلول علاجية؛ فقد عقد ابن البناء بابا في كتابه عنونه بـ (بيان العيوب عن وصف العوارض باللسان والحيلة في إذهاب بعضها من الإنسان)، نقله عن ابن المنادي.

---

[1] – غانم قدّوري الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمّار، عمّان، الأردن، ط1، 2003، ص 481.

[2] – المرجع نفسه، ص 483- ص 484 .

[3] – ابن الجزري، الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي: النشر في القراءات العشر، تصنيف ومراجعة: علي محمد الضباع، دار الفكر، بيروت، (د، ط)، (د،ت)، ج1، ص 211.

[4] – غانم قدّوري الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 483.

لا تخرج الحلول العلاجية المقترحة عن المكابدة والمعاندة وملازمة النفس الرياضة، والتكرار وحسن الاحتيال، حتى تتوارى تلك العيوب أو تخف وطأها «فإن جاهد ذلك بطول السعي وتكرير التثقيل فانتفع به، وإلاّ فَلاَبُدَّ لَهُ مِن الدنو إلى الصواب»[1].

وممّا أوصى به ابن الجزري (ت 833هـ) قارئ القرآن ضرورة إعطاء كل حرف حقه من حيث المخرج والصفة، كما أوصاه أن يعمل لسانه وفمه بالرياضة في ذلك إعمالا فيصير له ذلك طبعا وسليقة، كما أوصاه أن يحكم النطق بالحروف على حدة، ثم الحرف داخل التركيب «فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب حصّل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب»[2].

3 - ظاهرة اللحـــن:

كان العربي القح يتكلم العربية بفطرته، وكانت عربيته سليمة من شوائب اللحن؛ ونتيجة تضافر عوامل عديدة استشرى اللحن كالسيل الجارف؛ فمسَّ خاصة القوم وعامتهم؛ ليتحول بذلك إلى ظاهرة، وحتى نتمكن من فهم حيثياها، فلا بد من الإجابة عن جملة من الأسئلة، ما المصطلح العام الذي انتظم جميع الأخطاء اللغوية المرتكبة؟ وما تعريفه؟ متى انتقل اللحن من نطاق الأفراد إلى الظاهرة العامة؟ ما موقف الدارسين منها؟ هل توجد علاقة انفصام أم اتصال بين اللحن وألفاظ عيوب النطق ؟.

انتظم ارتكاب الأخطاء اللغوية مصطلح عام هو اللحن، الذي يدل في معناه الإجمالي على خروج المتكلم عمّا تعارف عليه مجتمع لغوي معين؛ سبقت هذا المعنى الإجمالي دلالات أخرى للحن، حصرها الأستاذ عبد العزيز مطر في: « الغناء – وترجيع الصوت والتطريب – أن تريد الشيء فتوري عنه أو ترمز إليه بقول آخر – الخطأ في اللغة – اللهجة الخاصة – الفطنة – معنى القول وفحواه »[3].

ما إن اختلط العرب بالأعاجم حتى استشرى اللحن فأصبح غير مقصور على الأفراد، بل تعدّاهم إلى جماعات مسّت ألسنة العامة والخاصة، ترصد ابن فارس اللغوي (ت 395هـ) لحن بعض الخاصة، قال: «المحدّث يحدّث فيلحن، والفقيه يؤلف فيلحن، فإذا نبها قالا: ما ندري ما

[1] - المرجع السابق، ص 484.

[2] - ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ص 215.

[3] - عبد العزيز، مطر: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (د، ط)، 1966، ص 19 - ص28.

الإعراب، وإنما نحن محدثون وفقهاء، فهما يسران بما يساء به اللبيب»[1].

لما كان اللحن يقدح فعلا في فصاحة اللغة اعتبارا أن الفصاحة في أصلها اللغوي تدل على خلوص في شيء، ونقاء من الشوب، فقد لقي اللحانون –سواء أكانوا من الخاصة أو العامة– ردود فعل لا تخرج في مجملها عن معاني الردع، النفور،، الاستهجان؛ يقول أحدهم: « اللحن في المنطق أقبح من آثار الجدري في الوجه»[2]؛ لعل هذا القول يمثل وجها من وجوه الفريق المتشدد؛ الذي يأبى أصحابه أن تسري إلى أوصال اللغة شائبة انحراف لغوي أو نقص، في حين وجد فريق آخر يتساهل أصحابه إلى حد ما في اللحن، فموقفهم من اللحن لا يخلو من المرونة، لكن كلا الطرفين يتفقان على ضرورة وضع حد فاصل يحول دون تسرب اللحن إلى اللغة العربية.

أما عن علاقة اللحن بعيوب النطق، فكلاهما يدل على المساس بمعنى الفصاحة؛ فالمباينة في المعنى حاصلة بين اللحن وعيوب النطق من جهة، ومعنى الفصاحة من جهة ثانية، ناهيك عن كون اللحن خروجا على مقياس الصواب اللغوي، الذي يحتكم إليه مجتمع لغوي ما، في حين نجد عيبا نطقيا كاللثغة مثلا، يخص أفراداً تعترض كلامهم بسبب عيب خِلقي يحتاج إلى الكثير من المكابدة والمران من أجل التخفيف من حدته، بالإضافة إلى أن اللحن يمكن أن يكون ظاهرة عامة؛ أما العيوب النطقية فمقتصرة على أفرادٍ مصابين بها، يستثنى من العيوب السابقة اللكنة التي ترتكز على مفهوم تجاذب المخارج والانتقال إلى مخرج الأساس اللغوي؛ فهي متفشية في ألسنة الموالي والمتعربين والمولدين، فهذه اللكنة تمس أساسا المستوى الصوتي للغة الثانية –دون إغفال بقية المستويات كالمستوى النحوي، الصرفي والدلالي...الخ.

4 - التنــــافــــر:

رسم اللغويون العرب القدماء حدودا واضحة لما يعد خفيفا أو ثقيلا على اللسان؛ فقد قالوا بكراهية توالي المثلين أو المتقاربين أو المتنافرين، في حين رحبوا بتوالي المتخالفين والمتناسبين، ولهذا مال المتكلم بالعربية إلى طلب الخفة ميلا بالسليقة، قصد تحقيق الانسجام الذي نجمت عنه ظواهر صوتية صرفية، كالإدغام و الحذف و التسهيل والإبدال ... الخ.

---

[1] – ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، : عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993، ص66.

[2] – الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص 170.

حذا باللغويين العرب القدماء إمعانهم النظر في تنافر الحروف وائتلافها داخل التركيب الصياغي إلى تقسيمها إلى مجاميع حرفية وفق معيار تدرجي في صفتي الاستحسان والاستهجان:

أ – **ما هو واجب الوقوع**: ينحصر في الحروف الذلقية: الراء، اللام، النون، والشفوية: الفاء، الباء، الميم[1]. ومما نص عليه الخليل (ت 175هـ) بشأن التآليف التي تنتظمها هذه الحروف: « فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من الحروف الذلق أو الشفوية، ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك، فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة، ليست في كلام العرب، لأنّك لست واجدا من يسمع في كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من الحروف الذلق أو الشفوية واحد أو اثنان أو أكثر»[2].

فوجوب وقوع الحروف الذلقية والشفوية ضمن الكلام العربي، مردّه – حسب الخليل ومن لف لفيفه– إلى طبيعتها الصوتية المتمثلة في خفة وسهولة النطق بها، فمخرجها هو ذلق اللسان والشفاه، يمتاز هذان المخرجان بالمرونة والليونة، وتضمنها خاصية سمعية تتمثل في حسن الجرس.

اتخذ الخليل من حروف الذلاقة والشفاه أساسا للتمييز بين الكلام العربي الأصيل، والمعرب، والدخيل.

ب – **ما يحسّن التركيب الصياغي إن وجد**: وتشمل الحروف الآتية:

1. **العين والقاف**: لا تدخلان على بناء إلاّ حسنتاه؛ علل الخليل ذلك بقوله: «لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جرسا »[3].
2. **السين والدال**: مردّ حسنهما إلى الليونة والوضوح؛ قال الخليل عن العين، القاف، السين والدال: « فإن كان البناء اسما لزمته السين والدال مع لزوم العين والقاف؛ لأن الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها، وارتفعت عن خفوت التاء، فحسنت وصارت حال السين بين مخرج الصاد والزاي كذلك »[4].

---

[1] – الخليل: كتاب العين، ج1، ص 12.
[2] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.
[3] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 13
[4] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 53- ص 54 .

جـــ – **ما يمتنع وقوعه مجتمعا**: يشمل المجاميع الحرفية الآتية:

– الحاء والهاء.

– الحاء والعين.

– الزاي والسين والصاد.

– القاف والكاف.

– القاف والجيم.

– الهاء والعين.

– العين والغين.

–العين والخاء.

– الضاد والكاف.

قال الخليل بشأن هذين الحرفين الأخيرين: « ألا ترى أن الضاد والكاف إذا ألفتا فبدئ بالضاد، فقيل: (ضك)، كان تأليفا لم يحسن في أبنية الأسماء والأفعال، إلا مفصولا بين حرفيه بحرف لازم أو أكثر، من ذلك الضنك والضحك وأشباه ذلك »[1].

فأساس امتناع المجاميع الحرفية السابقة يكمن في تقارب مخارجها وصفاتها تقاربا شديدا، فغالبيتها تخرج من حيِّز الحلق الذي يتصف بالصلابة لا الليونة.

وهو ما يدل على أنّ العرب القدامى، لم يقفوا في دراساتهم لحروف العربية عند مجرد الوصف الشكلي، بل تعدوه إلى استنطاق أسرارها، واستكناه صفاتها الذاتية، وهو ما أفاد البلاغيين في فهم جماليات النص. الذي لا يعدو في منطوقه ودلالته إلا مرتبة من مراتب التجلي اللغوي عموما.

[1] – المصدر السابق، الجزء السابق، ص 56.

5 – الألفاظ الدالة على عيوب النطق:

لعله لم يُفرد للألفاظ الدالة على عيوب النطق كتاب جامع لها، مستقل بها، إبان القرون الثلاثة الأولى الهجريّة، ومردّ ذلك حسب رأينا هو طغيان ما يعرف بالفكر الموسوعي لا التخصصي، أين وجدنا المصنفات المؤلفة أثناء تلك القرون تمتزج فيها مباحث علمية شتى، ومما يمكن لفت الانتباه إليه، أن هذا التراكم أو الامتزاج لا يمنعنا من التذكير بأننا وجدنا شتاتا من الألفاظ الدالة على عيوب النطق، الأمر الذي دعانا إلى طرح جملة من التساؤلات، ما هي هذه الألفاظ؟ وهل اكتسبت بالفعل شرعية أن تكون مصطلحات بكل ما تعنيه الكلمة؟ وهل هذه الألفاظ مشتركة تتلاقى في الكليات وتفترق في الجزئيات؟ أم يوجد بين الألفاظ مسائل خلافية لدرجة التنافر؟.

لقد تناثرت الألفاظ الدالة على عيوب النطق بين جملة من المصنفات؛ بعضها وجدناه بحكم ما استدعاه سياق الحديث، ونقصد بذلك على وجه الخصوص كتب مجاز وإعجاز ومعاني القرآن؛ فصاحب (مجاز القرآن) استدعته ضرورة الوقوف لشرح سورة طه، وبالضبط الآية السابعة والعشرين منها ﴿**وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي** ﴾**سورة طه، الآية 27** ، إلى أن يذكر لفظة تتعلق بعيوب النطق، فقدم مسبقا شرحها اللغوي؛ ثم أردفه بإيراد معناها بوصفه عيبا من عيوب النطق، يقول: «ويقال: اعتقد فلان لنفسه، ويقال: وفيت وأوفيت»[1]، وتبعه بقوله: «مجاز العقدة في اللسان كل ما لم ينطلق بحرف أو كانت منه مسكة من تمتمة أو فأفأة »[2].

يضاف إلى ما حواه المصنّف السابق من المؤلفات، ما اشتملت عليه كتب الأخبار والمختارات الأدبية؛ فالمبرد (ت 286هـ) وهو بصدد ذكر مقتطف من رسالة الفاروق –رضي الله عنه– إلى عبد الله بن قيس، استدعاه هذا المقام شرح لفظة تلجلج، شرحا لغويا، أتبعه بسوق معناه الخاص بعيوب النطق: «وقوله فيما تلجلج في صدرك، يقول: تردد، وأصل ذلك المضغة والأكلة يرددها الرجل في فمه، فلا تزال تتردد إلى أن يسيغها أو يقذفها، والكلمة يرددها الرجل إلى أن يصلها بأخرى، ويقال للعيي لجلاج وقد يكون من الآفة تعتري اللسان»[3].

---

[1] – أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي: مجاز القرآن، تعليق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار غريب للطباعة، ط2، 1988، ج2، ص 18.

[2] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد): الكامل في اللغة والأدب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د، ط)، (د، ت)، ج1، ص 12.

أما المصنّف الذي وجدنا فيه ضالتنا فهو المعجم العربي؛ اعتبارا أن الغاية الرئيسية للمعجمي هو جمع ألفاظ اللغة شاردها وواردها وبيان دلالاتها.

ولما كان معجم العين البادرة الأولى والفذة فيما يخص العمل المعجمي بالنسبة للتراث العربي الإسلامي، فقد تكفل صاحبه بجمع اللغة العربية من أفواه الأعراب الأقحاح وكذا الرواة، فأعمل فيها الفكر ليقوم بعدها بالتصنيف والتبويب وفق نظام التقليبات الحرفية.

ولامراء إن قلنا بأن معظم المعجميين العرب اقتفوا أثر الخليل سواء باقتباس ما تضمنته مدونته اللغوية من شواهد، أو باعتماد منهجيته، أو باتباع كلا الأمرين.

لا ننحى باللائمة على الخليل عندما وجدنا الألفاظ الدالة على معاني عيوب النطق، ضالة بين ثنايا مدونته اللغوية؛ ذلك أن هدف المعجمي هو الجمع والترتيب والتصنيف؛ فهو قد رتب ألفاظه على أساس التقليبات الحرفية، لا على أساس الحقول الدلالية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن ترتيب وتصنيف الألفاظ حسب حقل دلالي معين لم يظهر إلى الوجود إلا بعد قرنين لاحقين لعصر الخليل، مثلما نجده في كتاب فقه اللغة وأسرار العربية لأبي منصور الثعالبي (ت 430هـ) [1]، وكذا كتاب المخصص لابن سيِّده (ت 458هـ) [2].

وما دامت الألفاظ الدالة على عيوب النطق ضالة في معجم العين، فإننا عملنا على تصنيفها وترتيبها متبعين في ذلك التصنيف الذي ذكره خليل إبراهيم العطية[3]، وهو تصنيف ينصرف إلى:

- عيوب نطق ناجمة عن خلل فسيولوجي يُصيب عضوا أو آخر من أعضاء النطق.
- عيوب نطق ناجمة عن خلل في التأقلم مع مقام ما.
- عيوب نطق ناجمة عن تغيير في الأساس اللغوي للأعاجم.

وتفاديا للكثافة في سوق المواد المتعلقة بموضوع البحث، آلينا على أنفسنا بأن نكتفي بإيراد اللفظة ثم نسوق معناها الدال على العيب النطقي، مردفين إياه بتوثيقها.

---

[1] – الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل: فقه اللغة وأسرار العربية، منشورات، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د، ط)، (د، ت)، ص 72- ص 73.

[2] – ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي: المخصص، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د، ط)، (د، ت)، ص 112- ص 148.

[3] – خليل إبراهيم العطية: في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، الجمهورية العراقية، (د، ط)، 1983.

أولا: ألفاظ عيوب النطق الناجمة عن خلل فسيولوجي في معجم العين

اللفظـــة	معنـــاها الـــدال عليها	التوثيـــق	الجزء الصفحة
تَـــأْتَـــأَ	التأتأة في الصوت		145/8
تَعْـــتَعَ	أن يعيا الرجل بكلامه، ويتردد من عـــيٍّ أو حصر، ويقال ما الذي تعتعه ؟ فتقول: العي	قال الشاعر: هو أعشى هَمَذَانْ: يَتَعْتِعُ فِي الخَفَارِ إِذَا عَلَاهُ ويَعْثُرُ فِي الطَرِيقِ ويَسْتَقِيمُ	82/1
ثَعْثَـــعَ	حكاية كلام الرجل، يغلب عليه التاء والعين، فهي لثغة في كلامه		75/1
خَنْـــخَنَ	ألا يبين الكلام، فيخنخن في خياشيمه والخنة كالغنة كأن الكلام يرجع إلى الخياشيم.	قـــال: خَنْخَنَ لِي فِي قَوْلِهِ سَاعَةً وقَالَ لِي شَيْئًا فَلَمْ أَسْمَعِ	142/4
رَوَقَ	الرَّوَقُ: طول الأسنان وإشراف العليا على السفلى والنعت أروق	ويقال: الرَّوَقْ انثناء في الأسنان، مع طول تكون فيه مقبلة على داخل الفم	209/5
ظَـــأْظَـــأَ	وهو حكاية بعض كلام الأعلـــم الشـــفة العليا، والأهتم: الثنايا العليُ وفيه غنة.		174/8
عَتْعَـــتَ	تَعَتَّتَ فلان في الكلام تعنتا، تردد فيـــه، ولم يستمر في كلامه		82/1
غَنْـــغَـــنَ	صوت فيه ترخيم نحو الخياشيم		348/4
فَـــأْفَـــأَ	إذا كان الفاء يغلب على اللسان		407/8
لَثَـــغَ	الذي يتحول لسانه من السين إلى التاء		401/4
مَقْمَقَ	والمَقْمَقَةُ: حكاية صوت من يتكلم بأقصى حلقه.		31/5
هَـــتَّ	الهتّ: شبه العصر للصوت		349/3
هَتْـــهَتَ	والهتهتة والتهتهة مادة تَهَّ فـــي التـــواء اللسان		349/3
هَثْهَثَ	والهَثْهَثَةُ: بعض كلام الألثغ.	قال العجاج: وأُمَرَاءُ افْسَدُوا فَعَاثُوا وهَثْهَثُوا فَكَثُرَ الهَثْهَاثُ	350/3
هَتَـــمَ	الهَتْمُ: كَسْرُ الثنية أو الثنايا من الأصل.		36/4

ثـــانيا: الألفاظ الدالة على عيوب النطق الناجمة عن خلل في التأقلم مع مقام ما في معجم العين

اللفظـــة	معنـــاها الـــدال عليها	التوثيـــق	الجزء الصفحة
حَصَـــرَ	حَصَرَ حَصْرًا: أي عيّ فلم يقدر على الكلام، وحصر صــدر المــرء أي ضاق عن أمرٍ حصرًا		113/3
خَطَـــلَ	الخَطَلُ: خفة وسرعة	قال: أحْوَسُ في الظّلْمَاءِ بالرُّمْح خَطِل	217/4
رَثَّ	الرُّثَةُ: عجلة في الكلام		106/8
رَتَّـــجَ	وأُرتج على فـــلان: إذا أراد قـــولا وشعرا، فلم يصل إلى تمامه وأرتـــج عليه في المنطق، وفي كلامه رتـــج أي: تتعتعُ وإعيَاءُ		91/6
شَـــدَقَ	وتشدق في الكلام إذا فتح فاه		34/5
عَـــجَّ	العج: رفع الصوت		67/1
عَـــيَّ	وقد عيَّ عن حجته عيًّا، وعييت بهذا الأمر وعنه، إذا لم أهتـــد لوجهـــه، وأعياني الأمر أن أضبطه، والـــداء العياء الذي لا دواء له	قال العجاج: لاَ طَائِشٌ فَاقَ وَلاَ عَيِيُّ. وقال آخر: لَنَا صَاحِبٌ لاَ عَيِيُّ اللِّسَانِ فَيَسْكُتُ عَنَّا وَلاَ غَافِلُ	272/1
فَـــهَّ	رجل فهٌّ وفهيهٌ: إذا جاءت منه سقطة أو جهلة من العيِّ، ورجل فهٌّ: عيـــيٌّ عن حجيّه.		356/3
فَهَـــقَ	ورجل متفيهق: أي متفتح بالبذخ.	يقال: هُوَ يَتَفَيْهَقُ عَلَيْنَا بِمَال غَيره	370/3
قَعَـــرَ	والرجل يقعِّر في كلامه إذا تشـــدق وتكلم بأقصى قعر فمه		155/1
لَحَـــنَ	اللحنُ: ترك الصواب فـــي القـــراءة والنشيد، يخفف ويثقل	قال: فُزْتُ بِقِدْحَيْ مُعْرِبٍ لَمْ يَلْحَنِ	230/3
هَـــذَّ	والهذُّ: سرعة القطع وسرعة القراءة		349/3

ثـــالثا: الألفاظ الدالة على عيوب النطق الناجمة عن تغيير في الأساس اللغوي للأعاجم من خلال معجم العين

اللفظـــة	معنـــاها الـــدال عليها	التوثيـــق	الجزء الصفحة
رَطَــنَ	الرَطَانَةُ: تكلم الأعجمية		413/7
عَجَــمَ	والأعجم: الذي لا يفصح		237/1
عَفَــطَ	والرجل العُفَاطِي: هو الألكن الــذي لا يُفْصِــحُ وهو العفّاط		18/2

ما يمكن استنتاجه من خلال تفحص ما حوته الجداول السابقة أن دلالات الألفاظ الخاصة بعيوب النطق تلفها صفة العمومية والفضاضة الجوفاء؛ فصاحب العين حين شرح مادة عجم، يقول: «والأعجم الذي لا يفصح»[1]، ولعل مرد هذا الإيجاز والاختصار الذي طبع شرح اللفظة يعود إلى كونها مفهومة لدى أبناء المجتمع اللساني آنذاك، ومن جهة أخرى فهذا الأمر يحيلنا على فكرة أخرى، وهي أن صاحب العين يستقي وينتقي معاني ألفاظ عيوب النطق من خضم لغة الحياة العامة غالبا.

لكن على الرغم مما سبق، فإننا وجدنا ثلة من شروحات الألفاظ ترنو إلى أن تضفي عليها نوعا من الدلالة الخاصة، ومن أمثلة ذلك «الرطانة: تكلم الأعجمية»[2]، بيد أنها محاولات تظل قاصرة على أفراد، لم يقدر لها أن تنال حظا من الاتفاق والذيوع، يرقى بها إلى مستوى المصطلح العلمي.

وإنصافا للحقيقة نقول: إن معاني الألفاظ الدالة على عيوب النطق، وإن كانت في هذه المرحلة على قدر من الاضطراب والغموض، فإن محاولة الخليل في تحديد مفاهيمها هي الأساس الذي اعتمد عليه العلماء المتأخرون في تحديد مدلولات دقيقة لتلك الألفاظ .

وطلبا لوجه الحقيقة فلا بأس من توضيح معالم منهجية الخليل في تصيُّدِهِ لمعاني عيوب النطق. لقد استخدم الخليل طرائق متنوعة لشرح معانيها، منها:

---

[1] – انظر معنى لفظة عجم: جدول ص 53.

[2] – انظر معنى لفظة رطن: جدول ص 53.

- **التفسير بالمرادف**: مثل:« الرجل العُفَاطِيُّ: هو الألكن »[1].

- **التفسير بالسياق**: فقد تعوز المعجمي الإتيان باللفظة المرادفة، فيأتي باللفظة ضمن عبارة يفهم منها المعنى، من خلال السياق العام، مثل: « وأرتج على فلان: إذا أراد قولا وشعرا فلم يصل إلى تمامه »[2].

- **التفسير بالمقارب**: وهو أسلوب على قلته بعيد عن الدقة المطلوبة من ذلك: «والخنة كالغنة؛ كأن الكلام يرجع إلى الخياشيم »[3].

اعتمد الخليل في توثيقه لشواهد دلالات عيوب النطق على الشعر، فأغلب مواضع الاستشهاد من خلال الجداول السابقة، كانت شعرا؛ إذ استشهد صاحب العين عند توثيق (تعتع) ببيت لأعشى همذان، وببيتين آخرين للعجاج، عند توثيق لفظتي (هثهث، عيَّ)، كما وثق مادتي (خنخن، عيَّ) ببيتين من الشعر غير منسوبين.

وقد لا يتعدى عدم العزو أو النسب ثلاثة أمور:

- شهرة ناظمي البيتين أثناء عصر المعجمي.
- الاعتماد على ناقل ثقة.
- عدم حضور اسم الشاعر لكثرة ما ازدحم لدى المعجمي من أسماء.

أما عن النثر فقد خلت الجداول من الأمثال أو أَقوال الفصحاء تقريبا، يستثنى منها ما أورده الخليل من أقوال مقتضبة للعرب، عند توثيق مواد (روق، خطل، فهق، لحن)[4]، بل وجدنا شاهدا ينتظمه قول من أقوال العرب مثل قول الخليل عند توثيقه مادة (فهق): « يقال: هو يتفيهق »[5].

لقد سار التوثيق للمواد اللغوية السابقة على وتيرة واحدة هي:

ذكر اللفظة + ذكر معناها + توثيقها.

ما يجب الإقرار به أخيرا، هو أن الألفاظ الدالة على عيوب النطق، رغم اضطراب مدلولاتها وإضفاء صبغة العمومية والفضاضة الجوفاء عليها، فهي عربية النشأة والجذور، والأمر لا يحتاج إلى

---

[1] - انظر معنى لفظة عفط: جدول، ص53.

[2] - انظر معنى لفظة رتج: جدول ص52.

[3] - انظر معنى لفظة خنخن: جدول ص 51.

[4] -انظر معانيها: جداول، ص 51-ص52.

[5] - انظر معنى لفظة فهق: جدول ص52.

الإمعان في الاستدلال على عروبة هذه الألفاظ، وامتداد جذورها إلى زمن أقدم من زمن أبي عثمان الجاحظ.

6 - رسالة أبي يوسف الكندي نموذجا:

على الرغم من الأصالة التي أثبتناها للألفاظ الدالة على عيوب النطق من أنها ألفاظ ذات جذور عربية صميمة، لا تخلو دراستها من لدن بعض المفكرين العرب القدامى، من لمحات ذكية، إلا أن دراساتهم من جهة أخرى اتسمت بالتشويش والاضطراب؛ إذ وجدنا كثرة الترادف والتداخل على مستوى ألفاظ عيوب النطق، بسبب افتقارهم لضوابط منهجية صارمة.

غير أنّه بتوالي القرون، اتصفت دراسات موضوع عيوب النطق بالنضج، سواء على مستوى المنهجية أو النتائج المتحصل عليها مثلما هو الحال في كتاب (فقه اللغة وأسرار العربية) لأبي منصور الثعالبي، يضاف إليه معجم (المخصص) لابن سيده.

وقد بدا لنا من خلال تصفحنا لما احتواه الكتابان السابقان، مدى إدراك بعض المفكرين العرب القدامى لمعاني وشروحات الألفاظ الدالة على عيوب النطق يضاف إليه استيعاب دقيق لأعضاء جهاز النطق، والأدواء التي تصيب كل عضو من أعضائه ودرجات العيب النطقي.

وما هو جدير بالذكر أننا تمكنا من الاطلاع السريع على رسالة صغيرة الحجم، ألفها أبو يوسف الكندي (ت 252هـ)، في الموضوع نفسه، وقد عثر عليها البحاثة خليل إبراهيم العطية الذي ضمنها كتابه الموسوم بـ (في البحث الصوتي عند العرب)[1].

تقع الرسالة في ثمانية أبواب، هذه عناوينها:

- الباب الأوّل: أعضاء النطق عند الإنسان.
- الباب الثاني: صلة النطق بالحرف.
- الباب الثالث: عرض فيه الكندي للثغة، التي عرفها بأنها: « تغيير اللسان عن الحال الجاري المجرى الطبيعي »، وقد أرجع الكندي علة نشوء اللثغة إلى سببين هما التشنج والاسترخاء.
- الباب الرابع: وصف أصوات العربية.

[1] – خليل إبراهيم العطية: في البحث الصوتي عند العرب.

وقد وصفها الكندي -من خلال عينة من الأمثلة ساقها خليل إبراهيم العطية- وصفا ارتكز على حذق حركات أعضاء جهاز النطق، وما تنجم عن تلك الحركات من آثار سمعية، كالزمزمة الصادرة عن النطق بالزاي.

- الباب الخامس: أفرد الكندي هذا الباب، للأصوات التي تصيبها اللثغة، التي قسمها على فئتين من الأعمار:

1. **فئـــة الشيوخ:** حدد الكندي الأصوات التي تصيبها اللثغة لدى هذه الفئة بعشرة أصوات هي: الغين – السين – الشين – الكاف – الضاد – الجيم – الحاء – الزاي – القاف – والراء.
2. **فئـــة الأطفال:** لم يحدد الكندي الأصوات التي تصيبها اللثغة عند هذه الفئة، بل ذكر بأنها أصوات كثيرة، وعلل هذه الكثرة بأن: « الطفل لا يعلم أين ينبغي له أن يضع لسانه من الأماكن الواجبة النطق ».

- الباب السادس: أشار من خلاله إلى أسماء عيوب النطق وعدّد مظاهر اللثغة، وسمّى مراحلها.

الألثغ بالتاء ⟵ متمتم.

" بالجيم ⟵ مدمدم.

" بالراء ⟵ ذو العقل.

" بالقاف ⟵ ذو الحبس.

- الباب السابع: محاولة لمعالجة الألكن والأخن، وذكر الكندي سبب اللكنة بأنه: «غلط في آلة النطق – يعني اللسان ». أما « علة الأخن فإن النفس يسبق الخياشيم ».
- الباب الثامن: عرض فيه الكندي لوجهين متعلقين بما سمّاه النفس الناطقة في حالتي قوتها وضعفها، وثالث الوجهين: إما لزيادة آلة النطق وإما لنقصانها.

أظهر أبو يوسف الكندي من خلال رسالته، دراية فائقة مست كل جوانب الموضوع، بما في ذلك حديثه عن أعضاء جهاز النطق وكيفيات خروج الأصوات العربية وصفاتها، والانحـــراف الذي يمس بعض الأصوات من خلال اللثغة التي أجاد في تعريفهـــا وذكـــر ســـببي حـــدوثها: الاسترخاء والتشنج.

وكذا تعداده للأصوات التي تصيبها اللثغة عند الشيوخ، وتعليله لكثرتها لدى الأطفال.

كما أبرز الكندي بعض أنواع اللثغة، وعلتي الخنن واللكنة، ويزداد إعجابنا بما تضمنته هذه الرسالة المقتضبة، إذا ما عرفنا بأن مؤلفها توفي أثناء منتصف القرن الثالث الهجري، أين كانت

وقتذاك العلوم متشابكة، والمنهجيات متضاربة والمصطلحات -تجاوزا- متداخلة.

ثـــانيا - عيوب النطق في الدراسات البلاغيـــة:

امتازت أمة العرب، بفصاحة اللسان وجودة البيان، لذا نزل فيها القرآن الكريم بوصفه كتابا معجزا تحدى أفصح فصحاء العرب.

أشاد أبو عثمان الجاحظ بمقدرة العرب البيانية، فهو القائل: « وأنا أقول: إنه ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا آنق، ولا ألذ في الأسماع، ولا أشد اتصالا بالعقول السليمة، ولا أفتق للسان، ولا أجود تقويما للبيان، من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء، والعلماء البلغاء »[1].

ومن أوجه الدلالة على حسن بيان العرب وجودة لساهم، أن كان الشعر ديوانهم، وبتغير الظروف وتبدل الأحوال، ظهرت أجناس أدبية أخرى بجانب الشعر، كانت الخطابة إحداها، ولعل من أشهر قبائل العرب -التي بزت غيرها من القبائل في مضمار الخطابة -قبيلتي إيّاد وتميم اللتين أشاد الجاحظ بفضلهما الخطابي: « ولإيّاد وتميم في الخطب خصلة ليست لأحد من العرب؛ لأن رسول الله -ﷺ- هو الذي روى كلام قس بن ساعده وموقفه على جمله بعكاظ، وموعظته، وهو الذي رواه لقريش والعرب، وهو الذي عجب من حسنه، وأظهر من تصويبه، وهذا إسناد تعجز عنه الأماني، وتنقطع دونه الآمال »[2].

كان إسهام المعتزلة في جنس الخطابة وافرا؛ لأنهم كانوا مزودين بثقافة عربية أصيلة، وأجنبية دخيلة، فلطالما كانت الخطابة عند المعتزلة أداة لمقارعة ومساجلة خصومهم من أهل الملل والنحل الأخرى وهو ما يفترض وجود رصيد ضخم من الخطب والمناظرات، غير أن أهل السنة قد أتوا على إتلافها وحرقها، أثناء خلافة المتوكل، يقول عبد الحكيم بلبع: «من الأشياء التي يفقتدها الباحث بين آثار المعتزلة، ويفتش عنها فلا يكاد يجدها "الخطبة"، فإننا لم نعثر في كل ما وقعت عليه أيدينا من تراث المعتزلة، إلا على خطبتين فقط لواصل بن عطاء»[3].

أما فيما يتعلّق بالتقنين والتقعيد لجنس الخطابة؛ فلا نجد وثيقة جمعت كل شاردة وواردة

---

[1] – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 101.

[2] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 41

[3] – عبد الحكيم، بلبع: أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، ط2، 1969، ص 193.

لهذا الجنس من صحيفة بشر بن المعتمر (ت 226هـــ)؛ إذ تضمنت شروطا متعلقة بكل من فصاحة الكلمة؛:كالابتعاد عن التوعر والتعقيد: «وإيّاك والتوعر، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك»[1]، أما ما تعلق منها بفصاحة الكلام، فلابد من الملاءمة بين اللفظ ومعناه «ومن أراد معنى كريما، فليلتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما»[2]، في حين انصرفت فصاحة المتكلم إلى ضرورة اتصافه بالموهبة الفطرية، التي يجب أن يصقلها بالمران والتعلم.

أفاد المشتغلون بمسائل الفصاحة والبلاغة من الدرر القيمة التي تضمنتها الصحيفة السابقة، إلى درجة أن أشاد أحد الخطباء بفضلها كإبراهيم بن جبلة، الذي قال: «أنا أحوج إلى هذا من هؤلاء الفتيان»[3]، ولئن لم يشر بشر بن المعتمر في صحيفته إلى ماله علاقة بموضوع عيوب النطق، فلا نستبعد البتة أن يكون مدركا له.

تعدى إدراك أحد الخطباء لِكُنه عيوب النطق إلى التحايل للثغته، حتى لا يقدح في فصاحته، فقد وجد واصل بن عطاء (ت 131هـــ) في ثراء اللغة العربية منفذا للتخلص من لثغته التي أصابته في حرف كثيرا الدوران في اللغة العربية، وهو الراء، وذلك على مستوى خطبه المنطوقة لا «خطبه المحفوظة ورسائله المخلدة لأن ذلك يحتمل الصنعة»[4]، فاستحق بذلك أن يصير «لغرابته مثلا، ولطرافته معلما»[5]، لأنّه رام «إسقاط الراء من كلامه، وإخراجها من حروف منطقه، فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه، ويناضله، ويساجله، ويتأتى لستره، والراحة من هجنته، حتى انتظم له ما حاول، واتسق له ما أمل »[6].

---

[1] – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 95.

[2] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

[4] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 14.

[5] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

[6] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

ثالثا – عيوب النطق في الدراسات الطبيـــة:

لم تكن معارف العرب منذ العصر الجاهلي مقتصرة على غرر الكلام وقرض الشعر، بل قد شملت عباءتها معارف متصلة بالطب؛ ذلك لأن لكل شعب من الطب ما يستحقه، لأنّه ثمرة من ثمار فكره وتجاربه.

ركن نصيب العرب من الطب في أساسه إلى المداواة بالأعشاب وهذا أمر بديهي؛ لأن كل العلوم تفاعلت فيها الوجهتان: الوجهة التجريبية الحسية، والوجهة الاستقرائية التفسيرية وقد تناول العرب سعيا للتطبيب في أوّل الأمر، ما برّح بظاهر الجسم من جرح وكسر وصدع، وما أشبه ذلك، أمّا ما عداها فكان منذ الجاهلية يلجأ لدفعها إلى الكهانة والرقية والنذر والقربان. لم ينتقل الطب العربي الإسلامي من طور التجريب إلى طور التفسير والاستقراء، إلا بعد أن هضم العرب ما جاءت به عقول أطباء الحضارات الأخرى، وأضافوا إليها إضافات معتبرة؛ ليكتسي الطب العربي صبغة علمية؛ فأضحى بناء منظما من الحقائق المنسقة والمعممة؛ لعل من أشهر أطباء العصر العباسي؛ الشيخ الرئيس ابن سينا (ت 428هـــ).

عالج ابن سينا في كتابه الموسوم بـــ (كتاب القانون في الطب) مباحث ذات صلة بموضوع عيوب النطق؛ إذ عرّف بعض أعضاء جهاز النطق؛ فالفم هو «الوعاء الكلي لأعضاء الكلام في الإنسان، والتصويت في سائر الحيوانات المصوتة»[1].

أما اللسان فذو وظائف، فهو «من آلات تقليب الممضوغ وتقطيع الصوت وإخراج الحروف»[2].

ربط ابن سينا اللسان بأدائه العملية الكلامية فـــ «أفضل الألسنة في الاقتدار على جودة الكلام، المعتدل في طوله وعرضه المستدق عند أسلته، وإذا كان اللسان عظيما عريضا جدا، أو صغيرا كالمتشنج لم يكن صاحبه قديرا على الكلام[3].

ويبدو ومن خلال حديث ابن سينا عن أسباب وطرائق العلاج لبعض عيوب النطق، إدراكه لعضل الحنجرة وما تحتويه من أعصاب، وكذا إدراكه أهمية الدماغ في عملية الكلام.

---

[1] – ابن سينا، أبو علي الحسين بن علي: القانون في الطب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د، ط)، (د، ت)، ج2، ص 175.

[2] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

أرجع ابن سينا علّة منشأ التمتمة ونحوها إلى خلل في عمل الأعصاب المتصلة بعصبة اللسان « وإما أن تعاوقها ولا تواتيها بسهولة، فيكون التمتمة ونحـــو ذلـــك»[1]، وإذا حـــدث خلـــل على مستوى عصب آخر، انحبس عمله، فيحدث انحبـــاس في العمليـــة الكلاميـــة بالضـــرورة فـــ « العصبة تستقي القوة من عصب آخر، فينحبس إلى أن يتجه »[2].

أجمل ابن سينا أسباب ظهور عيوب النطق وكذا الخرس في جملة من الاحتمالات «إما تشنج وإما تمدد أو تصلب أو استرخاء أو قصر رباط أو تعقد عن جراحة اندملت أو ورم صلب، وقد يكون ذلك كما تعلم من رطوبة في الأكثر، وقد يكون من يبوسة و ... أورام وقروح تعرض في اللسان ونواحيه»[3].

كما تفطن ابن سينا إلى أهمية الدماغ؛ فبعض آفات الكلام والخرس تعود إلى «آفة في الدماغ، وفي مخرج العصب الجائي إلى اللسان المحرك له، وقد يكون في نفس الشعبة، وقد يكون في العضل أنفسها»[4].

كما لم يفت ابن سينا بأن هناك صنفا من عيوب النطق عارض مؤقت، مثلما هو الحال في اللثغة العارضة للأطفال؛ فالواحد منهم «إذا شبَّ واعتدلت رطوبته عاد فصيحا »[5]. يتحصل المصاب بالتعتعة على النتيجة ذاتها، إذا ما حدث ذوبان لرطوبة اللسان فـــ: « إذا عرض له مرض حار، انطلق لسانه لذوبان الرطوبة المتعتعة للسان المحتبسة في أصول عصبه »[6].

أما عن كيفيات معالجة عيوب النطق، حسب ما ذهب إليه ابن سينا، فلا تتعدى مداواتها بالأعشاب الطبية أو ترويض أعضاء النطق؛ فالصبي الذي بطأ عليه الكلام «وجب أن يدام تحريك لسانه ودلكه وتسييل اللعابات منه، وينفع في ذلك خصوصا إذا استعمل في دلكه العسل والملح الداراني، ويجمع ما قيل في علاج رطوبة اللسان، ومما يحرك لسانهم ويطلقه إجبارهم على الكلام »[7].

---

[1] – المصدر السابق، الجزء السابق، ص 176

[2] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 179.

[4] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

[5] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 177.

[6] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

[7] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

أما الذي امتنع عنه الكلام بسبب استرخاء اللسان « فيؤخذ شيء من الأوفريبون وكندس، ويدام دلك اللسان وأصله به، ويجب أن توضع هذه الأدوية وأمثالها على الرقبة أيضا، وقد يتخذ من هذه الأدوية وأمثالها حبوب تعجن بما يمنعها من سرعة الانحلال مثل اللاذن والعنبر والراتينج والصموغ اللزجة »[1].

أما عن المصاب بالحبسة الكلامية بسبب تعنيفه، اقترح ابن سينا للمصاب بها ضرورة أن «يعنف في تحريك عضل صدره وحنجرته تعنيفاً لا تحتمله تلك العضلة، فتعصى، فإذا يبس في أول كلمة ولفظة استرسل بعد ذلك »[2].

ويعد التهيؤ النفسي، والاستعداد الجسمي قبل الشروع في الكلام وجها من وجوه العلاج التي اقترحها الشيخ الرئيس على المصاب بالحبسة الكلامية ذات الطبيعة العرضية، يقول: « لا يستعد للكلام بنفس عظيم، وتحريك للصدر عظيم، بل يشرع فيه بالهويني فإنّه إذا اعتاد ذلك سهل عليه الكلام، واعتاد السهولة فيه »[3].

لم يكتف ابن سينا بالحديث عن عيوب النطق، من حيث أسبابها وطرائق علاجها، فقد راح يعدد أنواع عيوب الصوت، جاعلا لكل عيب صوتي فصلا، تتمثل عناوين الفصول في « فصل في الصوت القصير، فصل في الصوت الغليظ، فصل في الصوت الدقيق، فصل في الصوت المظلم الكدر، فصل في الصوت المرتعش »[4].

ذكر الشيخ الرئيس في كل فصل على حدة، أسباب نشوء العيب الصوتي، واقترح وصفة علاجية لا تخرج في مجملها عن الأشربة الملينة، الأغذية الملائمة؛ ممارسة الرياضة المناسبة، التهيؤ تهيؤا فعالا من أجل إخراج الصوت بالهويني، ناهيك عن ضرورة التزام المصاب بالاستحمامات.

---

[1] - ابن سينا، القانون في الطب، ج2، ص 177.

[2] - المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص179.

[3] - المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

[4] - المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 227-ص228.

الفصل الثاني:
معايير النطق بالأصوات اللغوية العربية

▪ **تمهيــد:**

تتأدى عيوب النطق على مستوى الحدث الكلامي، بمجرد تقطيع وحداته الدنيا، أو الصغرى المشكلة له.

ولّما كانت عيوب النطق تقع على طرف النقيض من الفصاحة بوصفها "تمام آلة البيان"[1]، عدّت عيوب النطق خروجا عن معايير النطق السليم.

لن تتضح هذه المباينة الحاصلة بين الطرفين المتناقضين إلاّ بفرد فصل يدور حول معايير نطق الأصوات اللغوية العربية، هذا الفصل توزعته ثلاثة مباحث هي:

- علم الأصوات الفونولوجي: اعتبارا أن عيوب النطق تتبدى أثناء تقطيع الوحدات الدنيا أو الصغرى لحدث كلامي ما، وعلاقة تلك الوحدات فيما بينها لتشكل نظاما وحداتيا صغيرا أو كبيرا.
- علم الأصوات النطقي: فهذا الفرع من علم الأصوات؛ يهدف إلى استكناه عملية إنتاج الصوت اللغوي، الموكول بالجهاز النطقي، وآليات عمل كل عضو من أعضاء هذا الجهاز.
- علم الأصوات السمعي: نتحدث من خلاله عن صفات الأصوات اللغوية، سواء أكانت صفات أساسية أو ثانوية.

يتفرع كل مبحث من المباحث الثلاثة السابقة إلى عناصر فرعية، عملنا على التأني في معالجتها قصد استخلاص كل ما يمت لمعايير الأصوات اللغوية العربية: إنتاجا (نطقا)، سماعًا، بناء، على أن تستثمر تلك المعايير في صفحات الفصل الأخير.

---

[1] -أبو هلال، العسكري: الصناعتين، ص7.

المبحث الأول : علم الأصوات الفونولوجي

منذ العصور الموغلة في القدم، شكلت دراسة نظام اللغة، إحدى المحطات التي توقف عندها الفكر الإنساني –سواء أكان لغويا أو غيره– بالدرس والتحليل.

فبداية من إسهامات لغويي الهنود إلى يومنا هذا، والدراسات تتوالى قصد استكناه غوامض نظام اللغة، وتفسير مبهماته، وقد تمخض عن تلك الدراسات، زخم هائل من الآراء والنظريات، شكل التباين إحدى خصوصياتها، ولا غرو في هذا، فاختلاف منطلقات ومناهج الدارسين من ناحية، وتعقد وصلابة طبيعة اللغة من ناحية ثانية، لكفيلة بتبرير ذلك التباين.

تحيلنا فكرة نظام اللغة، على أنّها ذات طبيعة متجانسة، ويكمن سر هذا التجانس في انتظام جزئياتها وعناصرها، ضمن علاقات متشابكة، لذا استعمل فرديناند دي سوسير (Ferdinand de Saussure) (1857-1913م) مصطلح نظام (Système) مائة وثماني وثلاثين (138) مرة في كتابه "دروس في الألسنية العامة"، للدلالة على تجانس اللغة وانسجام جزئياتها؛ يقول حلمي خليل: «فالمفهوم الأساسي عنده هو "النظام"، بل أسبقية النظام على العناصر المكونة له»[1].

ولو أردنا إحصاء عناصر اللغة وجزئياتها لما استطعنا إلى ذلك سبيلا، لا لشيء إلا لأنّها تمثل بكل بساطة مجالا مفتوحا، يقوّض العناصر اللغوية الدالة، أما العناصر غير الدالة فهي تنتظم داخل مجال مغلق غلقا تجريديا على حد تعبير محمود السعران الذي راعى التنوعات الأدائية للصوت الواحد[2].

عبر تشومسكي (Chomsky) عن هذا الانتظام اللغوي فقال: «يعبر عن اللامتناهي من المعاني بالمتناهي من الألفاظ »[3].

تنتظم اللغة بوصفها نظام الأنظمة على حد تعبير هاليدي (Halliday)[4]، أنظمة فرعية

---

[1] – حلمي، خليل: العربية وعلم اللغة البنيوي، دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د، ط)، 1995، ص 102.

[2] – محمود، السعران: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ط)، (د،ت)، ص 187.

[3] – عبد الرحمن، الحاج صالح: "مدخل إلى علم اللسان الحديث"، المجلد الثاني، العدد الأوّل، 1972، ص 54.

[4] – رمزي منير بعلبكي: معجم المصطلحات اللغوية، (إنكليزي، عربي)، دار العلم للملايين، مطبعة العلوم، (بيروت، (د، ط) ، (د،ت)، ص 493.

تشكل فيما بينها نظاما هرميا تمثل الوحدات اللغوية الصغرى قاعدته، والوحدات اللغوية الكبرى قمته، وتحليل اللغة إلى أنظمتها، منهجية قد أفرزتها ضرورة دراستها دراسة تحليلية مستفيضة؛ إذ من الصعب إن لم يكن من المستحيل دراستها وفق المنهج الوصفي التحليلي، دون النظر في دقائقها وجزئياتها، لقد أفضى تطبيق هذا المنهج إلى اختلاف بعض اللغويين في تحديد أنظمة اللغة، مثلما هو الحال -لا الحصر- عند سميح أبو مغلي، الذي جعل عناصر البناء اللغوي تنحصر في الأصوات، والتشكيل الصوتي، الصيغ الصرفية، الدلالة، التركيب، الإعراب، الأسلوب والكتابة أخيرا[1].

على الرغم من هذا الاختلاف، فقد أجمع جلُّ اللغويين على أن الأنظمة الفرعية للغة تنحصر في: النظام الصوتي، النظام الصرفي، النحوي والدلالي، ولكل نظام منها وحداته اللغوية وطرائق انتظامها الخاصة، مما يكسب كل نظام استقلالية ذاتية تجريدية؛ فإذا كان النظام الصوتي ينشأ من ائتلاف الأصوات هذه الأخيرة يتكفل بدراستها علم الأصوات، والأصوات بدورها تنتظم وفق علاقات ما لتشكل بناء الكلمة، الذي يهتم علم الصرف بدراسته، فإن النظام النحوي لن يكتسب كينونته إلا إذا ائتلفت الكلمات لتشكل جملا، يقوم علم النحو بدراسة خباياها، أما الكلمات فهي الأخرى تحتاج إلى ما يسبر أغوار معانيها، آنئذ يتكفل علم الدلالة بدراسة معانيها.

يحيلنا هذا العرض المبسط للنظام الهرمي للغة على عدّة اعتبارات لابد أن توضع في الحسبان، وهي:

أ - ارتباط أنظمة اللغة فيما بينها، ارتباطا عضويا عبر عنه تمام حسان بقوله: « واللغة منظمة ضخمة من الأجهزة المتكاملة المنسجمة، التي تعمل كلها في اتجاه واحد، ومنها الجهاز الصوتي والتشكيلي والصرفي والنحوي والمعجمي مثلها في ذلك مثل الجسم الإنساني، وما فيه من أجهزة متكاملة منسجمة أيضا، تعمل كلها على استدامة الحياة لهذا الكائن ومنها الجهاز الهضمي والعصبي والإفرازي »[2]. أذابت العلاقة التلاحمية بين الأنظمة اللغوية كل حدود الاستقلالية التجريدية.

ب - لما كانت اللغات مختلفة فيما بينها، تباينت أنظمتها الفرعية المشكلة لها، بل مسّ هذا التباين

---

[1] - سميح، أبو مغلي: في فقه اللغة وقضايا العربية، دار مجدلاوي، عمّان، الأردن، ط1، 1987، ص 69.

[2] - تمام، حسان: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 152.

تقطيع معانيها؛ يقول مارتينيه: «إذا كانت جميع اللغات تتفق في قبولها للتقطيع المزدوج، فإنها تختلف عن بعضها في طريقة تحليلها للخبرة البشرية، وفي استفادتها من الإمكانات التي توفرها أعضاء النطق، وبكلمة أخرى يمكننا القول بأن كل لغة تقطع بطريقتها الخاصة الأقوال وكذا الدوال »[1].

ج – لا يمكن إيلاء نظام لغوي ما أولوية على حساب نظام لغوي آخر، لأن كل نظام يعمل من أجل نظام آخر، وبواسطته أيضا، فضلا عن جدلية التأثير والتأثر التي يحتكم إليها كل نظام من أنظمة اللغة، ليتحقق ما يسمى بالتواصل اللغوي؛ يقول ماريوباي: « وإن الحدود بين هذه المستويات الأربعة غير واضحة تماما ومتشابكة، فأصوات اللغة مثلا تتأثر كثيرا بالصيغ والعكس كذلك صحيح، والصوت والصيغة كلاهما يتأثران –غالبا– بالمعنى، كذلك يوجد تبادل مطرد بين الصرف والنحو، كما هو الحال بالنسبة لبعض اللغات حين تستعمل واحدا منهما وتستغني عن الآخر، ولهذا فإن الصرف والنحو كثيرا ما يجمعان تحت اسم واحد هو التركيب القواعدي (Grammatical-Structure) »[2].

يدور بحثنا حول عيوب النطق، التي مهما اختلفت دواعي ظهورها على سطح الحدث الكلامي؛ فإنها تتخذ صورة الانحراف عن معيار النطق بالصوت اللغوي، ولن يتسنى لنا إدراك معياريته، إلا إذا حللنا النظام الصوتي اللغوي العربي إلى مجموعة محدودة من الأصوات اللغوية التي يتوسل بها الناطقون، للتعبير عما لا يحصى من المعاني، ودراسة هذه الأصوات على محك علم الأصوات؛ فليس « من السهل تعلم اللغة والسيطرة عليها، بل إتقانها، دون معرفة بأصواتها معرفة جيّدة، فإن عدّ الاختلاف في قواعد النحو خروجا عن المعيار السليم، والمقياس الصحيح، حكم بالمثل على الاختلاف في النطق، ومن ثم وجبت دراستها وجوب دراسة النحو والصرف؛ إذ السيطرة على اللغة لا تتم بدون دراسة أصواتها »[3].

تحيلنا الدراسة الصوتية التي نعتزم القيام بها في فصلنا هذا، على عدّة اعتبارات مهمة، لابد أن توضع في الحسبان وهي: ما الصوت اللغوي ؟ ما علاقته بكل من الحرف والخط ؟ يفضي بنا

---

[1] – أندري، مارتينيه: مبادئ اللسانيات العامة، ترجمة: أحمد الحمو، إشراف: عبد الرحمان الحاج صالح، وفهد عكام، وزارة التعليم العالي، الجمهورية العربية السورية، (د.ط)، 1985م، ص 22.

[2] – ماريو، باي: أسس علم اللغة، ص 44- ص 45.

[3] – كمال محمد بشر: علم اللغة العام، القسم2، الأصوات، دار المعارف، القاهرة، (د، ط)، 1971، ص 218.

هذا السؤالان إلى الحديث عن موضوع لا يقل وجاهة، ألا وهو اللغة المنطوقة مقابل اللغة المكتوبة.

يحاصرنا زخم هائل من الأصوات المتباينة؛ فجهاز النطق الإنساني وحده يمكن أن يصدر مالا يحصى من الأصوات التي لا يمكن حصرها أو تقديرها على وجه الدقة حتى الآن، لكن هل كل صوت يمكن أن نضفي عليه صفة اللغوية؟ إن كانت الإجابة بالنفي فما هي المقاييس التي يمكن الاستناد عليها للحكم على لغوية الصوت؟، أجاب محمود السعران عن ذلك فقال: «موضوع علم الأصوات اللغوية، هو الصوت الإنساني الحي، هذا الصوت الإنساني الذي هو نموذج متكامل من نماذج السلوك الاجتماعي، هذا الصوت يصدر عن «جهاز النطق الإنساني»[1].

فالصوت اللغوي لابد أن يستوفي شرطا أساسيا يخول له شرعية لغوية، وهو صدوره عن جهاز نطقي إنساني؛ بمعنى أن يكون صادرا عن مخارج وأحياز صوتية إنسانية؛ وهي ميزة تنفرد بها اللغة عما عداها من النظم العلاماتية التواصلية أضاف ماريوباي شرط تضمنه المعنى « ... فإن الأصوات الصادرة عن الجهاز النطقي يجب أن تكون ذات معنى، وتنقل رسالة محددة معينة من عقل إنسان إلى آخر ... »[2]، يضاف إلى ما سبق ضرورة انتظامها داخل سلسلة الكلام؛ لا أن تكون الأصوات اللغوية منعزلة منفردة، يقول دي سوسير: « فكثيرا ما غاب عن الدارسين، أن اللغة لا تقوم على مجرد الأصوات [منعزلة]، بل على امتدادات ما من الأصوات الملفوظة»[3]، يؤكد تمام حسان على صحة هذه المسلمة اللغوية «الصوت المفرد هنا كالنغمة الموسيقية المفردة، تتعين دلالته في محيطه العملي، كالكاف من "كتب"، وهي في بيئتها الصوتية من الكلمة، لا يمكن أن يستغنى عنها، ولو جعلنا الكلمة مكونة من التاء والباء فحسب، لانعدمت دلالة الكلمة على مدلولها الحرفي»[4].

فضلا عن ضرورة خضوع الصوت اللغوي لما سبق من شروط، فلابد أن يكون هذا الصوت قد اتفق أفراد المجتمع اللغوي الواحد على تداوله في لغتهم، تقول خولة طالب

---

[1] – محمود، السعران: علم اللغة، ص 98.

[2] – ماريو، باي: أسس علم اللغة، ص 38.

[3] – فردينان، دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، تعليق: صالح القرمادي وآخران، الدار العربية للكتاب، تونس، (د.ط)، 1985، ص 85.

[4] – تمام، حسان: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 114.

الإبراهيمي: «الإنسان يستطيع مبدئيا أن يصدر عددا لا متناهيا من الأصوات، ينتمي بعضها إلى منشئه اللغوي، وبعضها ليس له صلة بهذا المنشأ، فإن اللغوي يلاحظ عند تتبعه للظواهر اللغوية، أن كل لغة لا تنتقي إلا عددا محدودا من المخارج والصفات »[1].

في مقابل الصوت اللغوي -الذي حددناه في ضوء ثلاثة شروط سابقة، نجد الصوت غير اللغوي، الذي تحدث عنه قديما ابن سينا (ت 428هـ) في رسالته المعنونة بـ (أسباب حدوث الحروف)، وذلك في فصلين منها.

تحدث ابن سينا في الفصل الأوّل الذي عنونه بـ (في سبب حدوث الصوت)، عن أن الصوت غير اللغوي، إمّا أن يصدر عن قرع وهو «تقريب جرم ما إلى جرم مقاوم لمزاحمته تقريبا، تتبعه مماسة عنيفة لسرعة حركة التقريب وقوّتها»[2]، أو يصدر عن قلع، باعتباره تبعيد جرم ما عن جرم آخر مماس له، منطبق أحدهما على الآخر، تبعيدا ينقطع عن مماسته انقلاعا عنيفا لسرعة حركة التبعيد »[3].

أما في الفصل السادس الذي عنونه بـ (في أن هذه الحروف من أيّ الحركات الغير النطقية تسمع)، بين فيه أن أجساما ما تحدث أصواتا تنطبق من حيث أثرها السمعي على بعض الأصوات اللغوية «وأنت تسمع (العين) من كل إخراج هواء بعنف من مخرج رطب...»[4].

أما حديثا، تحدث محمود السعران عن المفارقة الحاصلة بين الصوت اللغوي ونظيره: «الصوت اللغوي يصدر عن جهاز النطق الإنساني، فهو يختلف عن سائر الأصوات التي تحدث عن أسباب أو أدوات أخرى، قد يحدث الصوت في العالم الطبيعي نتيجة لقرع جسم بجسم، أو احتكاك جسم بآخر، أو نفخ في جسم خاص أو لغير ذلك»[5].

---

[1] - خولة، طالب الإبراهيمي: "بعض الملاحظات حول الأصوات والحروف العربية"، أرطوفونيا: المجلة العلمية للجمعية الجزائرية للأرطوفونيا، جامعة الجزائر، 1994-1995، ص 190.

[2] - ابن سينا، أبو علي الحسين: أسباب حدوث الحروف، مراجعه وتقدّيم : طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (د، ط)، 1978، ص 8.

[3] - المصدر نفسه، الصفحة نفسها

[4] - المصدر نفسه، ص 26.

[5] - محمود، السعران: علم اللغة، ص 99.

1 - العلاقة بين الصوت اللغوي والحرف:

ينصرف المعنى اللغوي للصوت إلى كونه «الأثر السمعي الناتج عن ذبذبة مستمرة ومطردة لجسم من الأجسام»[1]، وتعريف اللفظ لغة: الطرح والرمي، «لفظ الشيء مِنْ فِيهِ، وبهِ: رماه وطرحه، فهو لاَفِظٌ وهي لاَفِظَةٌ»[2]، أما تعريف الحرف لغة فهو: «حرف كل شيء طرفه وشفيره وحده، ومنه حرف الجبل وهو أعلاه المحدد »[3].

أما التعاريف الاصطلاحية؛ فقد كانت متباينة بتباين وجهات نظر الباحثين، وبيان ذلك ما يأتي:

قال النحاة: إن اللفظ صوت لغوي يعتمد على مخارج بعض الحروف، ويسمى هذا الصوت لفظا؛ لأنّه أثر الهواء الملفوظ من داخل الرئة إلى الخارج[4]، يقول اللواء كلوت بكر: « الصوت هو اللفظ المشتمل على بعض الحروف الهجائية، وهو مخصوص بالنوع الإنساني »[5].

يحيلنا هذان التعريفان على معادلة ذات نمط رياضي:

فإذا كانت الألفاظ = الحروف، والألفاظ= الأصوات، فهل يمكن التسوية بين الحدين وهما: الحروف والأصوات ؟

استعمل أغلب النحويين واللغويين العرب القدماء مصطلح الحرف ليدلوا به على الصوت اللغوي من جهة، والرمز الخطي من جهة ثانية؛ فقد وظف سيبويه الحرف وأراد به ما يشتمل على الصوت والحرف، وقد بقي هذا المفهوم سائدا عند أغلب النحويين من بعده[6].

لقد توجه الأديب العربي أبو عثمان الجاحظ، التوجه نفسه لسيبويه؛ فهو القائل: «والصوت

---

[1] – كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د،ط)، 1985، ص127.

[2] – إبراهيم، أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، إشراف: حسن علي عطية، محمد شوقي أمين، مطابع دار المعارف، مصر، ط2، 1972، ج2، ص832.

[3] – ابن منظور: لسان العرب، ج2، مادة (ح رف)، ص838.

[4] – آمنة، ابن مالك: الحروف العربية، دراسة لغوية صوتية، إشراف: هادي نهر، رسالة ماجستير في فقه اللغة، معهد الأدب واللغة العربية، جامعة قسنطينة، 1982، ص 45.

[5] – ميرا اللواء كلوت، بكر: كنوز الصحة ويواقيت المنحة، ترجمة: الفقيه الرافعي محمد أفندي، المكتبة اليمنية، مصر، (د،ط)، (د،ت)، ص55.

[6] – هادي، نهر: "بين الحرف والصوت"، محاضرات في الصوتيات، نقلا عن: الحروف العربية، دراسة لغوية صوتية، ص 46.

هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا، ولا كلاما موزونا، ولا منثورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف »[1].

يميز الجاحظ بين نوعين من التصويت: أحدهما مطلق والآخر مقطع، هذا الأخير الذي ينتج صوتا لغويا يساوي الحرف في كونه قائما على مبدأ التقطيع أيضا فمادة الكلمة هي الحروف، والحروف أصوات متقطعة على وجه مخصوص.

في مقابل الطائفة السابقة نجد طائفة أخرى من اللغويين، قد اتخذت لنفسها رأيا مستقلا؛ فابن جني (ت 392هـ) ميّز تمييزا صريحا بين الصوت والحرف؛ يقول: «اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين، مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا»[2]، نستنتج من هذا النص أن الصوت ينتج عن ذبذبة الأوتار الصوتية، في حين أن الحرف ينتج عن تقطيع الصوت، يؤكد فهمنا هذا قوله: «الحرف حد منقطع الصوت وغايته»[3]، وغير بعيد عن هذا التصور يردف ابن سينا: «والحرف هيئة للصوت عارضة له، يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدّة والثقل تميّزا في المسموع »[4].

من خلال ما تقدم، يمكن الانتهاء إلى الاستنتاجات الآتية:

- أغلب علماء اللغة القدامى استعملوا مصطلح الحرف للدلالة على الصوت اللغوي حينا، ورمزه الخطي حينا آخر .
- بعضهم أدرك أن الحرف يختلف عن الصوت، في كون الصوت يمثل تصويتا مطلقا، أما الحرف فإنّه يمثل تصويتا متقطعا أي لغويا، علق رمضان عبد التواب على الاختلافات السابقة، فقال: «... أما القدماء من علماء العربية، فإنهم كانوا يستخدمون الكلمتين بمعنى واحد أحيانا أو يفرقون بينهما تفرقة تختلف عمّا نعنيه نحن بهما هنا »[5].

---

[1] - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 58.

[2] - ابن جني، أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، ترجمة وتحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشـــق، ط2، 1993، ج1، ص6.

[3] - المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 14.

[4] - ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، ص 10.

[5] - رمضان، عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1985، ص 84.

لو أردنا استكناه علاقة الصوت اللغوي بالحرف، على ضوء ما جاء به الدرس اللغوي الحديث نجد العلاقة مغايرة لما ورد عند القدامى من علماء اللغة؛ في جزئيات، ومتوحدة في جزئيات أخرى، وبيان ذلك:

- يشترك كل من الحرف والصوت في أن كليهما جزء من تحليل اللغة، لكن رغم هذا الاشتراك، فإن كل واحد منهما يتميز عن الآخر تميزا واضحا، فإذا كان الصوت أثر حركة عضلية تنتجها أعضاء جهاز النطق الإنساني، فإن الحرف قد يدل على عملية عضلية، سواء دل على رمز كتابي، أو مفهوم ذهني معنوي تجريدي، إن مثل الحرف عنوان مجموعة من الأصوات اللغوية يقول رمضان عبد التواب: « فالصوت هو ذلك الذي نسمعه ونحسه، أما الحرف فهو ذلك الرمز الكتابي، الذي يتخذ وسيلة منظورة للتعبير عن صوت معين، أو مجموعة من الأصوات لا يؤدي تبادلها في الكلمة، إلى اختلاف المعنى »[1]، ومما تجدر الإشارة إليه أن تلك الأصوات التي تنضوي تحت الحرف تشترك فيما بينها ولو نسبيا في كيفية النطق والمخرج، وأن تناوبها فيما بينها على مواقعها لا يؤثر على الوظيفة اللغوية، عكس ما يؤديه تناوب الحروف، يؤكد محمود السعران هذه الفكرة فيقول: « إن النونات المختلفة صوتيا في اللغة العربية لا تعارض أولا تقابل بينها، لأننا لا نستطيع أن نغير معنى كلمة بإحلال إحداها محل سواها، ولكن ثمة تفاعل في العربية بين التاء والدال مثلا لأننا نقول: (تاء) ثم نحل محل التاء دالا، ولا ندخل أي تغيير آخر على الكلمة، فنقول (داء) وهي من كلمات العربية، فالتاء فونيم والدال فونيم »[2].

وتتبدى تجريدية الحرف في عدم تحقق وجوده الموضوعي في الخارج، إلا في شكل واحد من أصواته، يقول تمام حسان: « أما الحرف فهو عنوان مجموعة من الأصوات يجمعها نسب معين، فهو فكرة عقلية، لا عملية عضلية، وإذا كان الصوت مما يوجده المتكلم، فإن الحرف مما يوجده الباحث »[3].

لا يتفطن السامع لإدراك الفروق بين الأصوات المجسدة لحرف واحد، إلا إذا نبه إلى ذلك، كما أن المتكلم ينطقها بصورة لا شعورية صحيحة، تنبع صحتها من كونها تنتظم داخل توزيع

---

[1] – المرجع السابق، ص 83- ص 84.

[2] – محمود، السعران: علم اللغة، ص 196.

[3] – تمام، حسّان: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 130.

تكاملي (Complimentary distribution)، على حد تعبير ماريوباي[1].

ويتجلى تميز الصوت عن الحرف، في كون الحرف وحدة تصنيفية يصنف على أساسها الزخم الهائل من الأصوات الصادرة عن أعضاء جهاز النطق الإنساني، لتختزل إلى مجموعة متناهية محددة من الحروف، لتتشكل أبجدية لغوية.

أدرك تمام حسان أن الحرف يقوم على مبدأ تصنيف الأصوات، يقول: « ومثل الأصوات والحروف، وعلاقة كل منهما بالآخر، مثل الطلاب والصفوف، فالطالب حقيقة مادية، والصف وحدة تقسيمية »[2].

استعان اللغويون العرب المحدثون بمصطلح (Phonèmes) للدلالة على مفهوم الحروف، و (Allophones) للدلالة على مفهوم الأصوات التي تمثل تنوعات موقعية لحرف واحد من حروف أبجدية لغة من اللغات[3].

2 – العلاقة بين الصوت اللغوي والخـــط:

يشترك كلاهما في صدورهما عن حركة عضلية؛ فالصوت اللغوي يصدر عن أعضاء جهاز النطق، في حين ينتج الخط عن توظيف اليد الإنسانية، كما أن الصوت اللغوي يحيلنا على اللغة المنطوقة، في حين يتعلق الخط باللغة المكتوبة.

لقد جرّ هذا التمييز، مفاضلة الخط على حساب الصوت اللغوي؛ يقول الجاحظ: «استعمال القلم أجدر أن يحض الذهن على تصحيح الكتاب، من استعمال اللسان على تصحيح الكلام»[4]. أيًّا ما كان موقف الدارسين العرب القدماء من اللغة المنطوقة أو المكتوبة، فالدرس اللغوي الحديث أجمع على أنّ اللغة المنطوقة هي الأصل، واللغة المكتوبة فرع ورمز وتمثيل لها، لكن تمثيل قاصر على أن يجسد كل مشمولات اللغة المنطوقة، يقول محمود السعران: « ... فالأصل في اللغة أن تكون كلاما، أن تكون "مشافهة"، أما الكتابة، أو لغة الكتابة فهي لغة أخرى تقصد إلى تمثيل الكلام المنطوق بطريقة منظورة، ... إن هذه الأشكال الكتابية، التي هي "الحروف"، كما

[1] – ماريو، باي: أسس علم اللغة، ص 90.
[2] – تمام، حسّان: اللغة العربية، معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د، ط)، 1979، ص 73.
[3] – ماريو، باي: أسس علم اللغة، ص 88.
[4] – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 58.

يقول إدوارد سابير، ثانوية بالنسبة إلى رموز الكلام الملفوظة، التي هي الأصوات، أي أن الأشكال الكتابية، هي "رموز الرموز"»[1]. يشرح رمضان عبد التواب تضليل الكتابة، وعدم دلالتها على أصوات الحرف الواحد « فإن الأجنبي الذي يتعلم اللغة العربية بواسطة الكتاب، لا يستطيع أن يدرك فروع "فونيم" النون في تلك اللغة مثلا، ولذلك فإنّه سينطقها، أو يحاول نطقها كلها بطريقة واحدة ...»[2].

ومن أجل القضاء على عجز الكتابة في تمثيل اللغة المنطوقة اقترح بعض الدارسين وضع أبجدية صوتية دولية، رأى أحمد مختار عمر بشأنها: « استخدام الأبجدية الصوتية الدولية في الكتابة، وهي أبجدية تمثل الصوت المنطوق خير تمثيل، وَتضعُ لكل صوت رمزا واحدا »[3]، لم تقض الأبجدية الصوتية الدولية على العجز نهائيا، وهو ما أشار إليه تمام حسان في قوله: « ولن يستطيع خير الباحثين دربة في استخدام هذا النوع من الكتابة، أن يتوخى إغفال بعض الظواهر، أو الغفلة عنها، كالسرعة في الكلام، ومدة السكتات، بين كل نطق وآخر في النص الواحد »[4].

انطلاقا من أن المعاني لا تتضح غوامضها إلا بمقابلتها بنقائضها، وحتى نتمكن من الإحاطة بموضوع البحث، عمدنا إلى دراسة الأصوات على محك علم الأصوات اللغوية، لنتمكن من استخلاص معايير الأصوات اللغوية العربية، ومن ثمة استثمارها في دراستنا لعيوب النطق.

يفضي بنا الصوت اللغوي في أبسط صوره على طرفي العملية الكلامية: أحدهما المتكلم وثانيهما: المستمع اللذان يشكلان دورة الخطاب التي تتجسد في ثلاثة جوانب هي:

أ – إنتاج المتكلم الصوت اللغوي بواسطة جهاز النطق الإنساني.

ب – خروج الصوت من فم المتكلم على شكل موجات منتشرة في الهواء.

ج – استقبال أذن السامع الموجات المنتشرة.

توجد الجوانب الثلاثة محصورة بين جانبين نفسيين؛ فقبل إنتاج الصوت اللغوي بواسطة آلة النطق (جهاز النطق)، فإن هذه الآلة تتلقى أوامرها من الجهاز العصبي الذي يعدّ مركز العمليات

---

[1] – محمود، السعران: علم اللغة، ص 55.

[2] – رمضان، عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 88.

[3] – أحمد مختار عمر: "الدراسات الصوتية وتعليم اللغة العربية"، مجلة وقائع تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، مكتبة التربية العربية لدول الخليج، المدينة المنورة، جمادى الأولى، الآخرة، رجب، 1401هـ، ص 84.

[4] – تمام، حسّان: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 128.

النفسية، ويلي جانب استقبال الموجات، جانب نفسي، يتمثل في تأويل تلك الأصوات بواسطة ما استقر من معان مدَّخرة في الجهاز العصبي.

وإقصاؤنا ذاينك الجانبين النفسيين من حقل الدراسة الصوتية، نلتمس له تبرير كمال محمد بشر؛ إذ يقول: « **الأوّل**: أن هذين الجانبين المشار إليهما جانبان نفسيان عقليان، واللغوي معني أول الأمر وآخره بالأحداث اللغوية المنطوقة بالفعل لا بمصادرها أو آثارها النفسية العقلية. **الثاني**: أن هذه العمليات النفسية العقلية عمليات معقدة وغامضة إلى حد نجعل الحكم عليها –من وجهة النظر اللغوية– حكما تعوزه الدقة والوضوح، هذا بالإضافة إلى أن اللغوي –بطبيعة حرفته– ليس مؤهلا للنظر في هذه الأشياء»[1].

كل جانب من الجوانب الثلاثة السابقة، يتكفل بدراسته علم مستقل نسبيا عن غيره؛ فجانب إنتاج الأصوات اللغوية يتكفل بدراسته علم الأصوات النطقي، أو الإنتاجي الفسيولوجي.

أما جانب انتشار الصوت في الهواء على شكل أمواج، فيهتم به علم الأصوات الفيزيائي -الأكوستيكي، الهوائي، أما علم الأصوات السمعي فيدرس الجانب الأخير.

أطلق العلماء المحدثون الغربيون على العلوم الثلاثة السابقة مصطلح فوناتيك (Phonétique)، ويقابله في اللغة العربية مصطلح علم الأصوات اللغوية، الذي يدرس الأصوات اللغوية، بوصفها مادة خاما؛ بمعنى وحدات منعزلة عن سياقها التركيبي؛ ليقابل فوناتيك علم الفونولوجي أو ما يسمى بعلم الأصوات التشكيلي أو الوظائفي، الذي يدرس الأصوات اللغوية داخل التركيب ومرتبطة بالمعنى، فالفونولوجي « علم يعتبر اللغة كتنظيم أو كمجموعة متناسقة من الأصوات ترتبط بعلاقات مجردة تكشفها عمليات عقلية صرفة، وقيم خلافية بحتة »[2].

وإفراد الفصل الأوّل لدراسة الأصوات اللغوية على محك الفوناتيك، ضرورة قد اقتضاها هدف البحث ومنهجه، ومن نافلة القول أن نبين تداخل كل من الفوناتيك والفونولوجي، «رجل الفونولوجيا لا يستطيع أن يقوم بعمله –الممثل أساسا في عملية التقنين والبحث عن قيم الأصوات في اللغة– دون اعتماد على مادة الفوناتيك، إن هذين العلمين يكمل أحدهما الآخر، ولا يعدو أن يكون الفرق بينهما فرقا في المنهج أو أسلوب الدرس أو خطواته »[3].

---

[1] – كمال محمد بشر: علم اللغة العام، القسم2، ص 10.

[2] – ريمون، طحان: الألسنية العربية، الألسنية 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981، ص 31.

[3] – كمال محمد بشر: علم اللغة العام، القسم2، ص 48.

المبحث الثاني : علم الأصوات النطقي.

يعد علم الأصوات النّطقي أقدم فروع علم الأصوات، إذ عرف عند الأمم البائدة، كالهنود، واليونان والرّومان، فضلا عن هذا فهو أكثرها انتشارا، وقد استمدّ سلطته من كونه يستند على الملاحظة الذّاتية والممارسة الشّخصية، فمهام هذا العلم كلّها مرتبطة بالمشخص القابل للمعاينة، ويمكن حصر تلك المهام والوظائف في إحاطته بتحليل ميكانيكية إصدار الأصوات من جانب المتكلم.

وبتقدّم الزّمن، تقدّمت المعرفة الإنسانية، التّي أثمرت نتائج باهرة في حقول العلوم التكنولوجية -لا الحصر- استثمر منها ما استثمر، بغية تطويره، لذا أصبح علم الأصوات النّطقي مرتبطا، بعلوم التشريح، الطب، والفسيولوجيا، إلى أن أضحى يراد منه مصطلح «علم الأصوات الفسيولوجي ».

إن نظرة عجلى من قارئ هذا الفصل، لتحيله حتما على أنّ علماء العربيّة القدماء، قد ضربوا بسهم وافر في هذا العلم، الأمر الذّي أذعن أولئك الباحثين الغربيّين إلى الاعتراف بفضلهم في هذا السّياق، يقول "**جان كانتينو**" ضمن صفحات كتابه (دروس في علم الأصوات العربيّة): «لقد كان قدماء النّحاة العرب، أوّل علماء الأصوات العربية، فنحن نجد في كتاب سيبويه ترتيبا صحيحا للحروف حسب مخارجها، وملاحظات هامّة حول صفات الحروف، وبحثا غزير المادّة في إدغام الحروف، ومعلومات صحيحة تتعلّق بمدى الحركات، وباعتلال جرسها وإشارات إلى مختلف الألسن الدّارجة وخصائصها الصّوتيّة ...»[1].

وعلى الرّغم من أنّ جورج مونين قد أقصى من تاريخه للسانيات جهود علماء العربيّة القدماء، فإنّه لم يستطع أن ينكر عليهم جهودهم في حقل الدّراسات الصّوتيّة؛ إذ يقول معلّقا على وصف الرّازي (ت 606هـ) للأصوات العربيّة: « وما من ريب، أنّنا لا نستطيع طوال أوائل العصر الوسيط، أن نشاهد في أوروبا حدثا مماثلا »[2].

رغم أنّ اعتراف "جان كانتينو" بالفضل كان مركّزا على مجهودات "سيبويه" الصّوتيّة، وأنّ اعتراف "جورج مونين" كان مسلّطا على ما جاد به فكر "الرّازي" الصّوتي، فإنّ هذين الاعترافين

[1] – البدراوي، زهران: في علم الأصوات اللغوية وعيوب النطق، ص 5.

[2] – جورج، مونين: تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ص 107.

لا يجب أن يفضيا بنا إلى القول بأنّ الدّراسة الصّوتية العربيّة كانت قائمة على مجهودات علماء فرادى، بل إنّ تلك الدّراسة قد تكفّلت بها حركة لغويّة نشيطة، امتد عطاؤها على مدى قرون متعاقبة.

سندرس علم الأصوات النّطقي -بحول الله- على أساس اعتبارين متكاملين:

- **الاعتبار الأوّل**: يدرس أعضاء النّطق، وصفها، بيان وظيفة كلّ منها، والطريقة التّي يعمل بها كل عضو على حدة.

- **الاعتبار الثاني**: وهو الأهمّ: نعرج من خلاله على أصوات اللغة العربية التّي تصدرها أعضاء جهاز النّطق، ثمّ تصنيفها فكيفيّة صدورها.

أوّلا: جهاز النّطق الإنساني:

لن نتعمّق في ذكر كلّ التفاصيل الخاصّة بأعضاء ذاك الجهاز، فذلك ما نحن في غنى عنه، لكن الذّي لا غنى عنه، هو ذكر أهمّ ما يتعلّق بتلك الأعضاء، مما من شأنه أن يساعدنا في فهم العمليّة النّطقية، وقبل الشّروع في ذلك، فلا بأس من الإشارة إلى الملاحظات الآتية:

- جلّ أعضاء جهاز النّطق ثابت، باستثناء اللّسان، والفكّ السّفلي والشّفتين، والوترين الصّوتيين، واللّهاة.

- إنّ تسمية مجموع تلك الأعضاء بجهاز النّطق، هي من قبيل التّوسع والمجاز لا غير، فاللّسان يقوم أساسا بدور التّذوّق، أما الأسنان فوظيفتها الأساسية هي القضم والطّحن، في هذا السيّاق يقول ديڤيد ابركرومي: «...فالكلام من الناحية الفسيولوجية وظيفته مموّهة (Averlaid)، أو -تكون أكثر دقّة- مجموعة من الوظائف المموّهة، فهو ينجز ما يمكن إنجازه من عمل عن طريق أعضاء ووظائف، عصبيّة كانت أو عضليّة، نشأت واستبقيت لأغراض مختلفة جدّا عن أغراضه الخاصّة »[1]، لكن قيام كلّ عضو من أعضاء جهاز النّطق بوظيفته الأساسية، لا يمنعنا من القول بأنّها أعضاء جدّ مكيّفة لأداء وظيفة النّطق، يصرّح "عبد الرّحمن أيّوب" قائلا: « يرون الآن أنّ أعضاء النّطق، بالشكل الذّي هي عليه، قد هيئت للقيام بعمليّة

[1] – ديفيد، ايركرومي: مبادئ علم الأصوات العام، ترجمة وتعليق: محمد فتيح، مطبعة المدينة، ط1، 1988، ص 35.

الكلام بمقدار ما شكلت للقيام بعمليّة (التّنفس) وتناول الغذاء»[1].

على الرّغم من إثبات الإحصائيات، وجود فروق طفيفة بين أعضاء نطق الشّعوب المتباينة، وهو الرّأي الذّي ساد بين علماء الأجناس، فإنّ تلك الفروق « ... ليست ذات قيمة جوهريّة من وجهة النّظر اللّغويّة؛ أي في إنتاج الكلام ... اللّهم إلاّ إذا كان هذا الاختلاف يمثّل عاهة أصليّة، أو طارئة، كانشقاق الشّفتين أو انسداد المسالك الأنفيّة، إنّ الجهاز النّطقي (وخاصّة الأوتار الصّوتية، والفراغات الرّنينية)، ذو كفاءة عالية، تجعل مثل هذا الاختلاف التّشريحي عديم الأهميّة»[2].

دراستنا لأعضاء جهاز النّطق الإنساني، لابد أن تكون جارية على التّصنيف الآتي:

أ – أعضاء التنفس، التي ينبعث منها هواء الزّفير، الذّي يتطلّبه إنتاج معظم الأصوات اللّغويّة.

ب – الحنجرة التي تمدّ بقية أعضاء الجهاز، بمعظم الطاقة الصّوتية.

ج – التّجاويف فوق المزماريّة، التّي تقوم بدور حجرات الرّنين.

1 - أعضاء التّنفس: لن ندرس كل ما يمتّ لعمليّة التّنفس بصلة، بل سنسلّط الضّوء على الرّئتين والقصبة الهوائيّة.

أ – **الرئتـــان**: عبارة عن جسم مطاط، لا يستطيع الحركة بذاته، بل يتحرك تمدّدا وانكماشا بواسطة الحجاب الحاجز، والقفص الصّدري، وتكمن الأهميّة الصوتية للرّئتين، في أنّهما خزان ينبعث منه هواء الزّفير، الذّي يعدّ المادّة الخام، لإنتاج الصّوت، علّق أحد اللّغويين المحدثين على أهميّة ذاك الهواء، فقال: « هل تستطيع أن تدلني على أحد يستطيع أن يستغل النّفايات بطريقة أجدى وأكثر كفاءة وأهميّة، من استعمال الإنسان لنفايات عمليّة التّنفس »[3].

ب – **القصبة الهوائيـــة**: هي قناة مكوّنة من غضاريف عضليّة ناقصة الاستدارة من الخلف، تتصل الغضاريف فيما بينها بنسيج مخاطي، أكسبها مرونة، مكنتها من إتباع حركة

---

[1] – عبد الرحمن، أيوب: الكلام إنتاجه وتحليله، مطبوعات الجامعة، جامعة الكويت، ط1، 1984، ص 27.

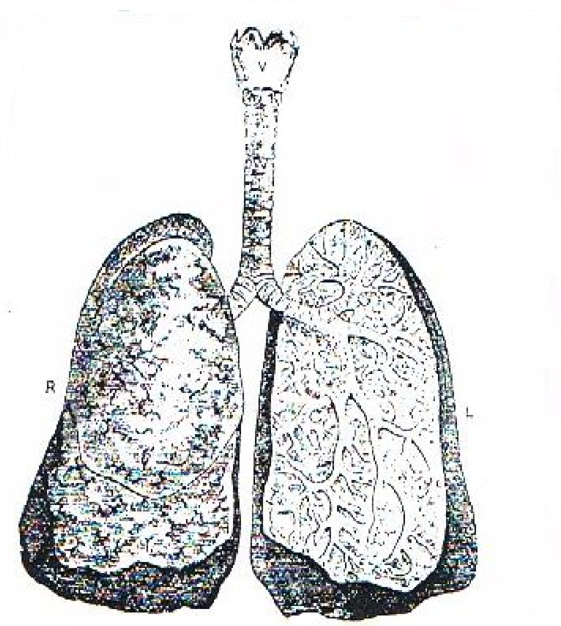
[2] – المرجع نفسه، ص 25- ص 26.

[3] – نايف، خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، 1978، ص 254.

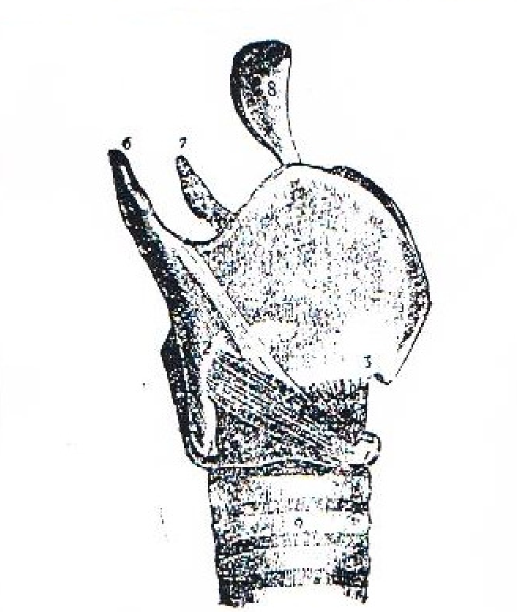
الحنجرة علوا وهبوطا، وتتصل القصبة الهوائية بالرّئتين؛ لأنّها تتشعّب إلى شعبتين يمنى وتتصل بالرّئة اليمنى، ويسرى وترتبط بالرّئة اليسرى، وتكمن الأهمّيّة الصّوتيّة لهذا العضو، فيما برهنت عليه البحوث الحديثة من « أنّها تستغل في بعض الأحيان كفراغ رنان، ذي أثر بيّن في درجة الصّوت، ولاسيما إذا كان الصّوت عميقًا »[1].

وفيما يأتي نقدّم رسمين توضيحيين للعضوين السّابقين[2]:

شكل (1): الرئتان اليمنى واليسرى



شكل (2): القصبة الهوائية



2 - **الحنجــرة**: تقع فوق أعلى القصبة الهوائية مباشرة، والحنجرة تشبه صندوقا يتألّف من ثلاثة غضاريف؛ الغضروف العلوي، ناقص الاستدارة من الخلف، وعريض بارز من الأمام، موجود عند صنف الرّجال، ويعرف بتفاحة آدم، أمّا الغضروف الثاني فكامل الاستدارة، والثالث مكوّن من قطعتين غضروفيتين موضوعتين فوق الجزء الخلفي للغضروف الثاني،

[1] – إبراهيم، أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1971، ص 17.

[2] – مصطفى، فهمي: أمراض الكلام، ص12.

يلتصق بالغضروف الأعلى الوتران الصّوتيان اللّذان يمتدان أفقيا من الخلف إلى الأمام، ويلتقيان عند تفاحة آدم، أمّا الفراغ بين الوترين فيخترقه غضروف ملحق يسمّى المزمار، تغطيه من الأعلى قطعة لحميّة، ليتشكل ما يسمّى بـــ "لسان المزمار"، هذا العضو لا دخل له في إصدار الأصوات بصورة مباشرة، بل وظيفته لا تتعدّى، حماية طريق التّنفس أثناء البلع، لقد أجمع القدماء والمحدثون على عدّ الحنجرة من أعضاء النّطق المهمّة؛ لاشتمالها على الوترين الصّوتيين.

أ – **الوتران الصّوتيان**: يشبهان شفتين تتوضّعان بصورة متناظرة على يمين ويسار فرجة مثلثية وسطى تدعى بالمزمار، الذّي يتّسع عند الشّهيق، ويضيق عند الزّفير، يتقلص بتقلّص بعض الألياف العضليّة، يوجد على أعلى الوترين، زوج آخر من الأوتار يدعى بالأوتار الصّوتية الكاذبة، التّي لا علاقة لها بعمليّة التّصويت، ويعدّ الوتران الصّوتيان من أعضاء النّطق المتحرّكة، تحرّكها، حدّده "كمال محمد بشر" بأربعة أوضاع متباينة هي:

1– الوضع الخاصّ بالتّنفس: قد ينفرج الوتران الصّوتيان انفراجا ملحوظا، فيمرّ هواء الزّفير من خلالهما، بدون أن يعترضه حائل، وينتج عن هذه الحالة ما يسمّى بالصّوت "المهموس".

2– وضعهما في حالة تكوين نغمة موسيقيّة: قد ينطبق الوتران الصّوتيان انطباقا جزئيا، يسمح لهواء الزّفير أن يفتحهما أو يغلقهما، ومن ثمّ يصدر ما يعرف بالذّبذبة التي تحدث بدورها نغمة موسيقية تختلف في الدّرجة والشّدة، تسمّى الأصوات في هذه الوضعيّة "بالمجهورة".

3– وضعهما في حالة الوشوشة: لا يعير علماء الأصوات الوشوشة أهميّة؛ لأنّها لا تدخل في نطاق موضوع تخصّصهم، لكن مع ذلك نقول إنّ الوشوشة تنتج عند انطباق الوترين انطباقا جزئيا، يمنع الوتران هواء الزّفير عن إحداث ذبذبة بسبب تصلبهما.

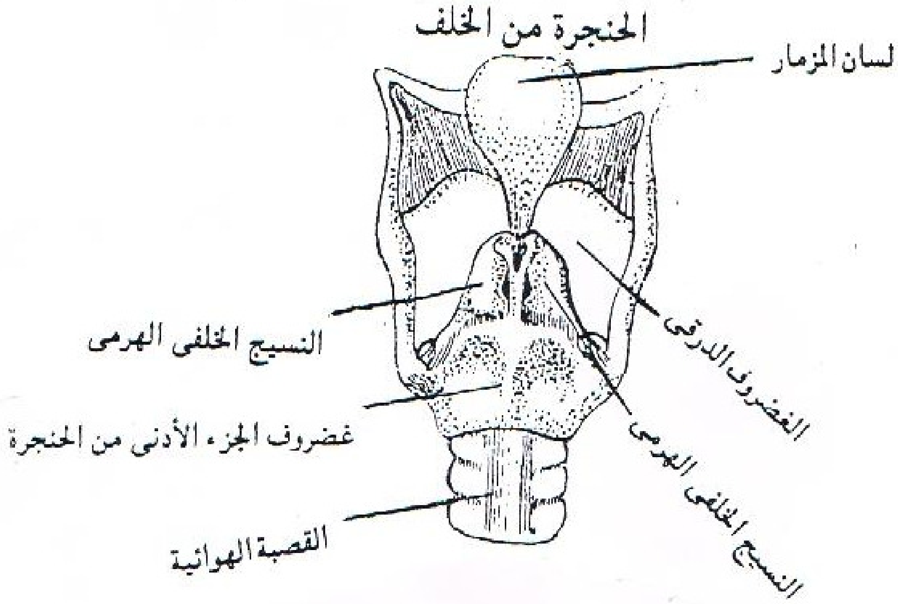
4– وضعهما في حالة تكوين همزة القطع: قد ينطبق الوتران الصّوتيان انطباقا كلّيا، فيقفان حائلين مرور هواء الزّفير الدّاخلي، ومرور هواء الشّهيق الخارجي، برهة من الزّمن، لكن ما إن تنقضي تلك المدّة، حتّى يحدث صوت انفجاري بسبب اندفاع الهواء، أطلق على ذلك الصّوت اسم "همزة القطع"، لأنّها قطعت الطريق كليّة أمام الهواء[1].

وإليك الآن رسم تبسيطي للحنجرة وكذا الوترين الصّوتيين [2]:

[1] – كمال محمد بشر: علم اللغة العام، القسم2، ص 86.

[2] – أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص 103.

الشكل رقم (3): الحنجرة من الخلف



شكل رقم (4): رسم تبسيطي للوترين الصوتيين وهما مفتوحان



ب – **التّجاويف فوق المزماريّة:** تتألّف من:

1. تجويف الحلق. 2. تجويف الفم. 3. تجاويف الأنف.

1– تجويف الحلق: يقع بين ملتقى طرق التّجويف الفموي، والتّجاويف الأنفيّة وكذا الحنجرة، تكمن أهميّته الصّوتيّة في أنّه فراغ رنّان يضخّم الأصوات الصّادرة من الحنجرة، فضلا عن أنّه مخرج لبعض الأصوات اللّغويّة، أدرك علماء العربيّة القدماء هذا التّجويف، وقسّموه إلى ثلاثة أقسام: أقصى الحلق، وسط الحلق، أدنى الحلق[1].

شكل رقم (5): رسم توضيحي لسقف الحلق في حالة الارتفاع والانخفاض



2– تجويف الفم: هو غرفة رنين تضيق أو تتّسع تبعا للأجزاء التّي تشكله لاسيما اللسان، ويحاصر هذا التّجويف الشفتان، ومن الجانبين باطن اللّحيين، ومن الخلف فتحة الحلق، ومن أعلى سقف الحنك بأجزائه، أمّا من أسفل فيحده الفك السّفلي، واللّسان من فوقه، والأعضاء المشكلة لهذا التّجويف هي:

أ – **الشفتــان:** عضلتان مرنتان متحرّكتان في أوضاع شتّى، كما أنّهما ظاهرتان، ممّا سمح لهما بأن تكونا مكوّنا هامّا من مكوّنات القناة البصريّة، أثناء عمليّة التّواصل، لاسيما عند انتشار الضّوضاء، فضلا عمّا سبق فهما من عضلات الوجه التعبيرية، اللّتين تؤدّيان معاني الابتسامة، الفرح، الاحتقار، النّدم ... الخ.

1 – البدراوي، زهران: في علم الأصوات اللغوية وعيوب النطق، ص 55.

وتكمن أهميّتهما الصّوتية في أنّهما تشاركان في تشكيل مخارج لأصوات لغويّة، « وهو ما لاحظه أبو الأسود الدّؤلي، فقد استعان بهما على رسم الحركات العربيّة، كما استعان بهما في عصرنا الحديث دانيال جونز، حيث استخلص عدّة حركات مفردة ومزدوجة، قدّرت بأربعة وعشرين صوتا، وتعرف باسم الحركات المعياريّة »[1].

ب – **الأسنـــان:** من أعضاء النّطق الظاهرة، والثابتة في الآن نفسه، ولاسيما الأسنان العليا، وتكمن أهميتها، في إنتاج الأصوات بمشاركة أعضاء أخرى كاللّسان والشّفة السّفلى، أدرك الجاحظ قديما أهميّتها، التّي ربطها بمدى اكتمال عددها أو نقصانه، الأمر الذّي ينجم عنه إغلاق أو إبانة في كلام العربي، وهذا ما سنقف عنده بالدّراسة المتأنية في الفصل الثّالث من بحثنا هذا بحول الله.

ج – **اللّســـان:** يتشكل من حيث بنيته من عدد لا يحصى من الألياف العضليّة، قسم منها، مكّن هذا العضو من التّحرّك في جميع الاتّجاهات؛ لأنّه لا يرتبط بقاعدته، لقد مكّنته حركته المرنة من الاتّصال بأيّة نقطة في الفم، فَكَيَّفَ بذلك الصّوت اللّغوي، اعتبارا لكلّ ما سبق، علّق "ماريوباي": « ... اللّسان يعتبر فقط أهمّ عضو من أعضائه »[2]، ولعل هذا ما جعل اللّغات تسمّى بالألسنة، ويقسّم اللّسان إلى:

1. أقصى اللسان أو مؤخره: وهو الجزء المقابل للحنك اللّين.
2. وسطه أو مقدّمه: جزء يقابل الحنك الصلب.
3. طرف اللّسان: هو جزء يقابل اللثة، وهناك أجزاء أخرى للسان هي نهايته أو ذلقه، ولكن هذا الجزء في الواقع يعدّ داخلا فيما سمّيناه بطرف اللّسان، وهناك جزء آخر يسمّى أصل اللّسان.

د – **الحنـــك:** ويرادفه الحنك الأعلى، وسقف الحنك، أو سقف الفم، يتصل به اللّسان في أوضاع مختلفة، ممّا تنتج عنها أصوات متباينة المخارج، ويقسم الحنك إلى أربعة أقسام هي:

1. مقدّم الحنك أو اللثة بما في ذلك أصول الأسنان العليا: يشكل جزءا بارزا من الطبق،

---

[1] – المرجع السابق، ص 62- ص 63.

[2] – ماريو، باي: أسس علم اللغة، ص 38.

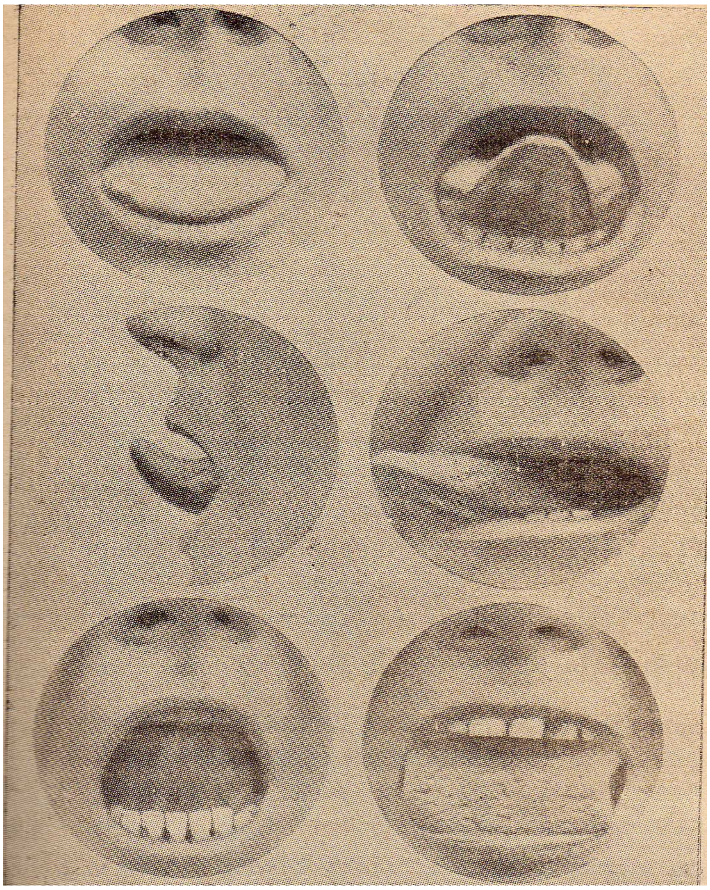
واللثة من أعضاء النّطق الثابتة.

2. وسط الحنك أو الغار: جزء صلب محدّب ومحزّز، وثابت، تتدرج صلابته حتّى تصل إلى أقصى الحنك.

3. أقصى الحنك (أو الحنك اللين أو الطبق): هو جزء متحرّك فقد يرتفع ليمس في أقصى ارتفاعه الجدار الخلفي للفراغ الحلقي، ليمنع مرور هواء الزّفير عن طريق الأنف، يسمّى الصّوت آنئذ فمويّا، أمّا إن انخفض، فإن هواء الزّفير، يتسرّب من الأنف ويكون الصّوت في هذه الحالة أنفي المخرج، وينتهي الحنك اللّين بالقسم الرّابع وهو اللّهاة.

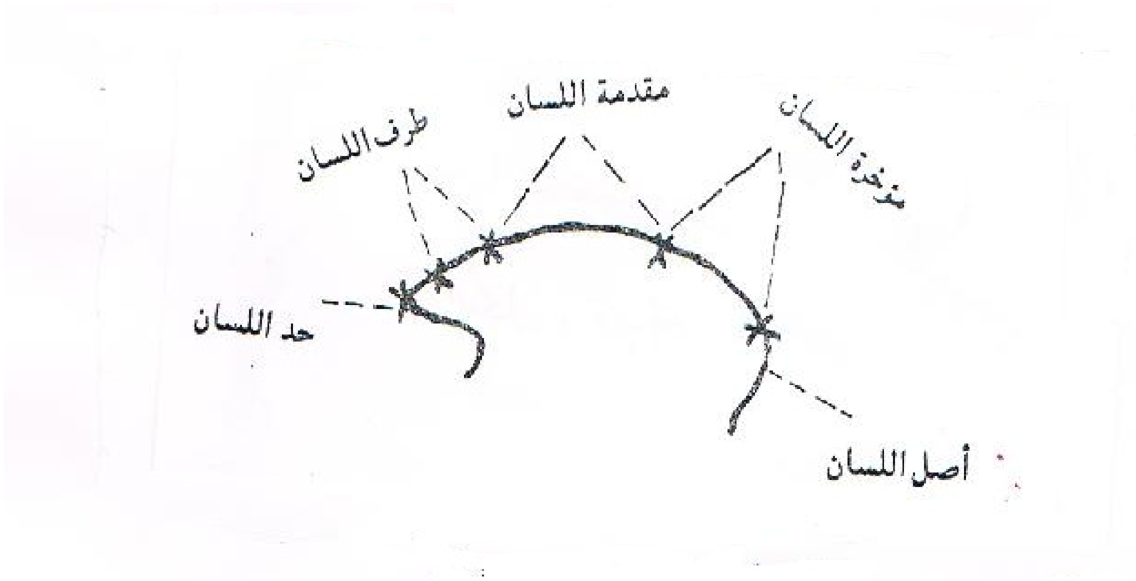
4. اللّهـــاة: زائدة لحميّة متدليّة إلى الأسفل، عالقة بالطرف الخلفي للحنك الليّن.

شكل رقم (6): حركات اللسان في أوضاع مختلفة[1]

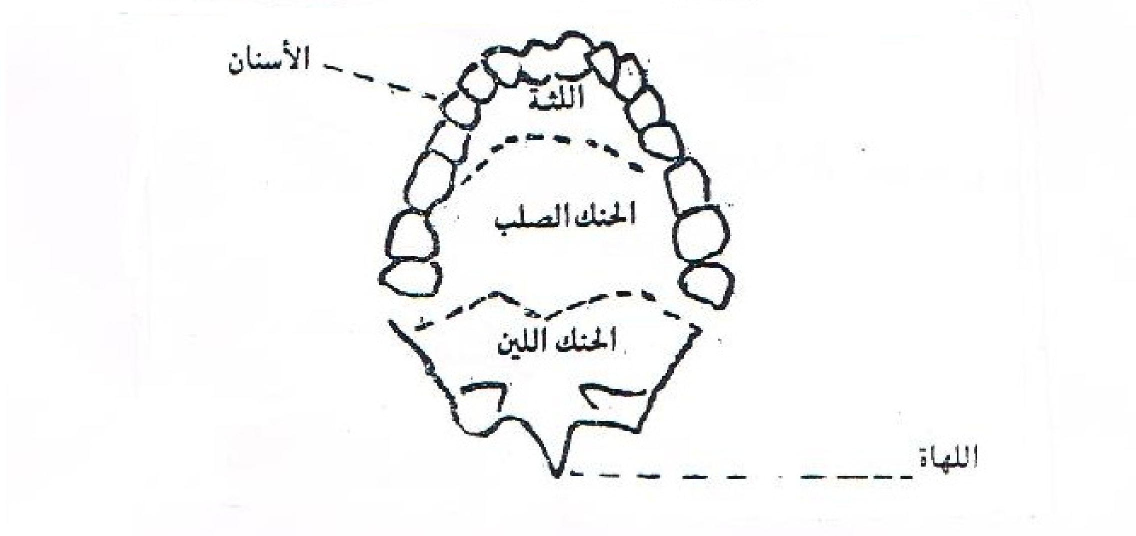


[1] – مصطفى، فهمي: أمراض الكلام، ص 14.

شكل رقم (7) : أجزاء اللسان[1].



شكل رقم (8): أقسام سقف الفم[2].



ب- 3- تجاويف الأنف: يبلغ عددها سبعة تجاويف، تمتاز بثبات الشكل والحجم والرّنين، وتكمن قيمة هذه التجاويف في إصدار صوتي الغنة وهما: النّون والميم، اللّذين يصدران باندفاع الهواء من خلال تلك التّجاويف، عندما ينخفض الحنك اللّين، فيفتح الطريق أمام هواء الزّفير، ليمرّ عن طريق الأنف، محدثا ذينك الصّوتين.

---

[1] - أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص 108.

[2] - المرجع نفسه، ص 106.

سبق أن ذكرنا في موضع سابق، أنّ علماء العربيّة القدماء، قد ضربوا بسهم وافر في علم الأصوات النّطقي.

ولّما كان هذا العلم، شأن بقية العلوم، ينبني على مرتكزات تأسيسية لقاعدة صلبة، فقد كان المنطلق إدراكا واعيا من لدنهم، لما يسمّى بجوارح النّطق، التي أوردها جان كانتينو في كتابه (علم أصوات العربيّة) بالكيفية الآتية:

- الرّئة، قصبة الرّئة، طبق رأس القصبة، الحلق أو الحنجرة وقد عرفتا عندهم بمصطلح الحلقوم أيضا.
- قسّموا الحلق إلى: أقصى، وسط، أدنى.
- الخيشوم – اللّهاة – الأنف – المنخر – الخيشوم.
- قسّموا الحنك إلى: أدنى الحنك أو الغار الأعلى– الحنك الأعلى.
- قسّموا اللّسان إلى: عكدة أو عكرتة اللّسان أي أصله، وأقصى اللسان – وسط اللسان – ظهر اللسان – حافة اللسان – طرف اللسان إذا كان يابسا عند النّطق بحروف الصّفير، سمّوه "**الأسلة**". أماّ إذا كان رخوا عند النطق بحروف التّكرير والانحراف، فأطلقوا عليه مصطلح **ذلقا** أو **ذولقا**.
- قسّموا الأسنان إلى ثنايا ورباعيّات وأنياب وأضراس[1].

كلّ عضو من أعضاء جهاز النّطق الإنساني، لا يعمل منعزلا عن بقية الأعضاء السّابقة، بل لا يتحقّق وجوده الفعلي في أداء مهمّة التّصويت اللّغوي، إلاّ بمشاركة غيره له؛ لأنّ الكلام ليس نشاطا بيولوجيا بسيطا، وإلاّ لكانت الحيوانات ناطقة، فالكلام نشاط متسق لا يوجد إلا بحركية منتظمة بين المخ، والجهاز العصبي، وأعضاء النّطق، والسّمع.

حتى نتمكّن من معرفة عمل تلك الأعضاء بصورة متآزرة، فلا مناص من الوقوف بالدّراسة على كيفية إنتاج الصّوت اللّغوي.

[1] – البدراوي، زهران: في علم الأصوات اللغوية وعيوب النطق، ص 63- ص 64.

ثـــانيا: إنتاج الصّوت اللّغــوي:

يعدّ النّطق بالصّوت اللّغوي، عملا متآزرا، تقوم به أعضاء معيّنة من أعضاء جهاز النّطق الإنساني، التّي تتلقّى عبر الأعصاب المتحرّكة أوامر بتنفيذ العملية النّطقية، التّي يرسلها المخ باعتباره مركزا قياديا.

وإن بدا النّطق للمتكلم عمليّة بسيطة، فهي جدّ معقّدة من وجهة نظر الباحث اللغوي، ويكمن تعقّدها في تعقّد العمليات التّي تحققه؛ فعندما يستعدّ المرء للنّطق، يستنشق هواء الشّهيق المحمّل بالأوكسجين، فتتقلّص عضلات البطن ثمّ عضلات القفص الصّدري، وبعد امتلاء الرّئتين بهواء الشهيق، بعد طردها لهواء الزّفير، المحمّل بثاني أوكسيد الكربون، يأخذ هواء الزّفير في الصّعود نحو الأعلى، صعودا متدرّجا، عبر قناة القصبة الهوائية، فإلى الحنجرة رأسا، أين يتحوّل هواء الزّفير إلى هواء مزماري، يتّجه هذا الأخير مباشرة إلى التّجاويف فوق المزماريّة، هناك يتلوّن بلوينات خاصّة، فتتحدّد هويّة الصّوت اللّغوي من خلال ثلاث عمليّات:

- قد يلتقي عضو من أعضاء النّطق المتحركة بآخر منها، أو بأحد الأعضاء الثابتة، فيكبح آنئذ هواء الزّفير ليتحدّد بذلك مخرج الصّوت، وتمتدّ مواضع النّطق على طول الحنجرة وصولا إلى فتحة الفم أو فتحتي الأنف، مما يطبع تلك المواضع بصفة التعدّد ممّا ينتج عنه تعدّد في الأصوات، بهذا الصّدد يقول ماريو باي: «ولا توجد لغة في العالم تستعمل أكثر من 60 صوتا من مئات الإمكانيات الصّوتية التي يمكن للجهاز النطقي للإنسان أن ينتجها»[1].

لقد قابل أفراد المجتمع اللّغوي الواحد، ذاك التعدّد، بالتّواضع على اختيار عدد معيّن من مواضع النّطق، التّي تمتدّ على نقاط تحكمية –لهواء الزّفير– متباعدة، بغية سهولة أداء الأصوات اللغوية، وقدرة استيعابها.

– يحدث تأثير أعضاء النّطق المتحرّكة على مجرى هواء الزّفير، بأن تغلق فتحة الفم أو فتحتا الأنف، غلقا تامّا، ثمّ ينطق بصوت ذي كيفية نطق انفجارية، وقد يكون الغلق طفيفا ممّا يسمح للهواء بالنّفاذ، لتصبح كيفيّة النّطق بالصّوت احتكاكيّة.

- يعترض مجرى الهواء الوترين الصّوتيين، فيحدث نتيجة ذلك ذبذبة يصدر عنها صوت

---

[1] – ماريو، باي: أسس علم اللغة، ص 87.

مجهور، أو تنعدم ذبذبات الوترين الصّوتيين ليكون الصّوت النّاتج عن ذلك مهموسا.

وبعد إجراء تصنيفي للأصوات العربيّة نعمد إلى دراسة الصّوامت وفق مراعاة جوانب ثلاثة هي:

- طريقة النّطق.
- موضع النّطق.
- وضع الأوتار الصّوتية.

أمّا دراستنا للصّوائت، فتدرس وفق اعتبارات أخرى، يمكن التعرّف عليها لاحقا -بحول الله-.

بعد انتهائنا من دراسة إنتاج الصّوت اللّغوي، ننتقل توا إلى محطة دراسية موالية، وهي تصنيف أصوات اللغة العربيّة وأوّل عقبة قد صادفتنا ونحن بصدد دراسة ذاك التّصنيف هي اضطراب المصطلحات فقد جرت عادة اللّغويين على اختلافهم حول تداول كلّ واحد منهم، المصطلح الذّي يراه مناسبا من وجهة نظره، ممّا أفرز زخما هائلا في عدد المصطلحات المعبّرة عن مفهوم واحد، وهذا ما تلمسناه؛ فقد استعمل إبراهيم أنيس في كتابه (الأصوات اللّغويّة) مصطلحي الأصوات السّاكنة مقابل أصوات اللين، في حين استخدم كمال محمّد بشر في قسم الأصوات من كتابه (علم اللغة العام) الأصوات الصامتة، والحركات، وقد وظّف أحمد مختار عمر في مؤلّفه (دراسة الصّوت اللّغوي)، الأصوات السّواكن، والعلل ولقد حذا تمام حسّان حذو الخليل بن أحمد الفراهيدي، حينما استعمل في كتابه (اللغة العربيّة: معناها ومبناها)، مصطلحي أصوات صحيحة نظير أصوات علّة.

ورفعا لأيّ لبس بإمكانها أن توقعنا فيه المصطلحات السّابقة، فقد آثرنا اعتماد مصطلحي الأصوات الصّامتة مقابل الصّائتة، في فصلنا هذا، محتذين في ذلك حذو محمود السعران، الذّي استعملهما في كتابه (علم اللّغة، مقدمة للقارئ العربي).

لقد أفضت نظريّة الأصول التّي تبنّاها علماء العربيّة القدماء، إلى اهتمامهم بالأصوات الصّامتة -باعتبارها أصولا- على حساب الأصوات الصّائتة -بوصفها فروعا- لكن هذه المفاضلة لم تؤدّهم إلى إعطاء تعاريف دقيقة، ولا إلى إقامة حدود فاصلة تخصّ خصائص الصّنفين، اللّهم إلاّ بعض اللّمحات الذّكيّة المتفرّقة، التي لا نعدم فيها عنصر الصّحة، الذّي تبدى في أقوال عالمين عظيمين، هما: الخليل بن أحمد الفراهيدي، وأبو الفتح عثمان بن جنّي.

يتجلّى إدراك الخليل للفوارق بين ما سمّاه الحروف الصحاح من جهة، والحروف العلل من جهة ثانية، في قولين اثنين:

«وقال الليث: قال الخليل: في العربية تسعة وعشرون حرفا، منها خمسة وعشرون حروفا صحاحا، لها أحيازا ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة»[1]، ويردف قائلا في موضع آخر: الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنّها في الهواء»[2].

يحيلنا قول الخليل على أن أساس تصنيف أصوات اللغة العربية إلى صحاح وعلل، يكمن في اختلاف طبيعتيهما، فالعلل تتميّز عن الصّحاح في أنّ العلل تنتج عن مرور هواء الزّفير بحريّة، لكن ما يعاب على الخليل هو إدراجه صوت الهمزة ضمن العلل، في حين أنّه صوت صامت حنجري انفجاري.

أمّا ابن جنيّ، فقد أدرك بحسّه اللّغوي المتميّز خصائص الأصوات الصّائتة التّي تميّزها عن نظيرها الصّامتة، يتّضح ذلك في فصله المعنون بـــ (ذوق أصوات الحروف)، الذي أدرجه ضمن صفحات كتابه الموسوم بـــ (سرّ صناعة الإعراب)، ففي موضع من ذاك الفصل نجده يقول: «فإن اتّسع مخرج الحرف حتى لا يقتطع الصوت عن امتداده واستطالته، استمر الصوت ممتدّاً حتى ينفذ، فيُفضي حسيراً إلى مخرج الهمزة، فينقطع بالضرورة عندها، إذ لم يجد مُنقطعاً فيما فوقها، والحروف التي اتّسعت مخارجها ثلاثة: الألف، ثم الياء، ثم الواو »[3].

يفضي بنا هذا النّص، إلى أنّ كيفيّة مرور الهواء، هي الفيصل بين الأصوات الصّامتة والصّائتة؛ فإذا كانت هذه الأخيرة (الألف الياء والواو)، تنتج عن مرور الهواء، دون أن يعترض سبيلها عائق، فإنّ نظيرها الصّامتة (مثّل لها بالهمزة) تصدر عن إعاقة تامّة لسبيل مرور الهواء، أو تضييق يسمح بسماع احتكاك، وبهذا يكون ابن جني قد انفرد بميزة تميّز بها على الخليل: إذ لم يدرج "ابن جني" الهمزة ضمن الأصوات الصّائتة كما فعل الخليل، بل أدرجها ضمن الصّوامت.

وإن بدا أنّ العالمين قد أهملا الحركات القصيرة، التّي تدرج ضمن الأصوات الصّائتة، فذاك اعتبارا أنّها من مشمولاتها، فما الحركات القصيرة إلاّ أبعاض حروف المدّ على حدّ تعبيرهما، في

---

[1] – الخليل: العين، ج1، ص 57.

[2] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 7– ص 8.

هذا السّياق يعلّق كمال محمّد بشر: « ولكن ينبغي أن نعلم أنّ هذا الذّي نسبوه لهذه الحروف المديّة وهي الحركات الطّوال ينطبق برمّته على الحركات القصيرة الفتحة والكسرة والضّمة، فهذه الحركات القصيرة –كما صرّحوا هم بذلك أكثر من مرّة– أبعاض الحركات الطويلة أو حروف المدّ، وما يتّصف به الكلّ ينسحب على الجزء بداهة»[1].

وإن كان الخليل وابن جنّي، قد اتّفقا على إيضاح خاصيّة الأصوات الصّائتة وهي حريّة جريان هواء الزّفير، فإنّهما قد أومآ إلى خاصية الجهر، التّي لا تقلّ أهميّة عن سابقتها، وهذا ما تضمنته سطور النّصوص السّابقة. وبهذا تكتمل الخاصيتان اللّتان تميّزان الصّوائت عن الصّوامت.

أما تصنيف أصوات اللّغة العربيّة على ضوء ما جاء به الدّرس الصّوتي الحديث، فقد امتاز بالعمق والوضوح، ولا غرو في هذا، فاستعانة الدارسين المحدثين بالعلوم التّي تعتمد على مبدأ التّكميم وما تتطلبه تلك العلوم من آلات حديثة، قد مكنهم من إكمال ما انتهى إليه الدّرس الصّوتي العربي القديم.

تصنّف أصوات اللّغة العربيّة –كما أسلفنا– إلى صنفين متميّزين هما: الصّوامت (Consonnes)، والصّوائت (Voyelles)ومراعاة الطبيعة الصّوتية لكلا الصّنفين، هي الأساس الذّي اعتمد عليه، في ذلك التّصنيف، الذّي يتّضح في الآتي ذكره:

يعرف الصّوت الصّامت في الكلام الطبيعي بأنّه مجهور أو مهموس، وينتج عن اعتراض مجرى الهواء اعتراضا كاملا، أو جزئيا من شأنه أن يسمع احتكاكا مسموعا، «ويدخل في الأصوات الصامتة تلك الأصوات التي لا يمر الهواء أثناء النطق بها من الفم، وإنما يمر من الأنف كالنون والميم، وكذلك الأصوات التي ينحرف هواؤها فلا يخرج من وسط الفم وإنما يخرج من جانبيه أو أحدهما كاللام »[2].

أمّا الصّوت الصّائت فله طبيعة صوتية مخالفة لسابقه؛ فهو صوت مجهور، يصدر عن جريان الهواء في مجرى الحلق والفم والأنف، دون أن يعترض سبيله حائل، وقد يحدث تضييق، لكن لا يسمح بحدوث احتكاك مسموع.

اختلاف كيفيتي مرور الهواء عند النّطق بالصّوامت والصّوائت، يفضي بنا إلى أخذ الجانب

---

[1] – كمال محمد بشر: علم اللغة العام، القسم2، ص 104.

[2] – محمود، السعران: علم اللغة، ص 6.

السّمعي لكليهما بعين الاعتبار؛ فالصّوائت -رغم تفاوقها فيما بينها في درجات الوضوح السّمعي- أكثر وضوحا في السّمع من الصّوامت عندما تنطق « بنفس "الطول" و "الارتكاز" و"الدّرجة"»[1].

وممّا هو حريّ بالذّكر أنّ وضوح سمع الصّوائت، نجد تبريرا له في تسميتها؛ فبعض علماء العربيّة القدماء قد أطلقوا عليها مصطلح "الحركات"، لأنّها كما يقول ابن جنيّ: « تقلق الحرف الذّي تقترن به، وتجتذبه نحو "الحروف التي هي أبعاضها" »[2].

أمّا تسمية بعض المحدثين لها بالصّوائت فمراعاة لوضوحها السّمعي أيضا؛ فالصّوائت مشتقة من صات، في هذا الشأن يقول "ابن منظور": « وقد صَاتَ يَصُوتُ ويَصَاتُ صَوْتًا، وأَصَاتَ، وَصَوَّتَ به كُلُّهُ: نَادَى. ويُقال: صَوَّتَ يُصَوِّتُ تَصْوِيتًا، فَهُو مُصَوِّتٌ، وذلك إذا صَوَّتَ بإنسانٍ فدَعاهُ. ويقال: صَاتَ يَصُوتُ صَوْتًا، فهو صَائِتٌ، معنَاهُ صَائِحٌ »[3].

من خلال كلّ ما تقدّم، يمكن استنتاج ما يأتي ذكره:

- كلّ الأصوات الصّائتة مجهورة.
- كلّ صوت مهموس فهو صامت.
- الصّوائت أشدّ وضوحا في السّمع من الصّوامت.

وتشمل الصّوائت العربيّة ما يأتي:

1 - ثلاثة أصوات للصّوائت الطويلة: الألف - الياء - الواو.

2 - ثلاثة أصوات للصّوائت القصيرة: الفتحة - الكسرة - الضّمة.

- صوتين لأشباه الصّوائت: الياء في مثل يترك، الواو في مثل ولد.

أمّا الصّوامت فتمثّل: همزة القطع، الباء، التّاء، الثّاء، الجيم، الحاء، الخاء، الدال، الذال، الراء، الزّاي، السّين، الشين، الصّاد، الضّاد، الطاء، الظاء، العين، الغين، الفاء، القاف، الكاف، اللاّم، الميم، النّون، الهاء.

بعد الانتهاء من هذا التّصنيف، ننتقل توا إلى دراسة الصّوامت العربية بالنّظر إليها من زوايا ثلاث:

---

[1] - المرجع السابق، ص 150.

[2] - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 26- ص27.

[3] - ابن منظور: لسان العرب، ج4، مادة (ص، و، ت)، ص2521.

- طريقة النّطق.
- موضع النّطق.
- وضع الأوتار الصّوتيّة.

1 - الصّــوامت العربيـــة:

1- أ- طريقـــة النّطق:

إذا كانت الصّوامت ذات طبيعة صوتية موحّدة، فهي تختلف فيما بينها في بعض الجزئيات الصّوتية، التّي تميّز صوتا صامتا عن غيره، سواء من حيث طريقة النّطق، أو موضعه، أو وضع الأوتار الصّوتية، ممّا أوجب دراسة كلّ صوت على حدة، -إلا إذا اقتضت الضرورة الخروج عن ذلك- على الرّغم من تصنيف اللّغويين المحدثين لها ضمن مجموعات —غالبا-، وهي:

أ – الصّوامت الانفجارية.

ب – الصّوامت الاحتكاكية.

ج – صوامت أخرى:

ج – 1. صوامت أنفية غناء.

ج – 2. صامت منحرف.

ج – 3. صامت مكرّر.

ج – 4. صوامت انفجارية احتكاكية (مركبة)*.

أ – **الصّوامت الانفجارية**: وتصدر نتيجة انحباس الهواء المندفع من الرئتين، انحباسا مؤقتا، ثمّ بضغط من الهواء ينفجر هذا الأخير محدثا صوتا انفجاريًا، وهذا النّوع من الأصوات قد اصطلح علماء العربيّة القدماء على تسميته بالصّوت الشديد، ويقابله مصطلح انفجاري (Plosive) عند علماء الأصوات المحدثين.

وتتضمّن هذه المجموعة الصّوائت الآتية: الباء، الدّال، التّاء، الطاء، الضّاد، الكاف، القاف، وهمزة القطع **.

* – استفدنا في هذا التصنيف من الكتب الآتية: الأصوات اللغوية – علم اللغة – وعلم اللغة العام، القسم2، الأصوات، ومن كتاب: دراسة الصوت اللغوي.

** – ذكر سيبويه الجيم وحذف الضاد، انظر: الكتاب، ج4، ص 434.

1. **البـــاء:** ينحبس الزّفير الصّاعد من الرّئتين نحو الأعلى انحباسا مؤقتا في موضع الشفتين اللّتين تنطبقان انطباقا محكما، لا يسمح للهواء باختراقهما،آنئذ يرتفع الحنك اللّين سادّا فتحتي الأنف على مجرى الهواء، وبعد مدّة، وبضغط من الهواء، تنفرج الشفتان محدثتان صوتا انفجاريًا.

2. **الدّال – التاء – الطاء – الضاد:** تشترك الأصوات الأربعة في كيفية التّحكم في مجرى الهواء؛ إذ يرتفع طرف اللّسان بأصول الثنايا العليا، ويرفع الحنك اللّين فلا يمرّ الهواء إلى الأنف، وبضغط من الهواء لمدّة زمنية ما، ينفصل العضوان انفصالا فجائيًا، ممّا يحدث أصواتا انفجاريّة، وتختلف الطاء عن الأصوات الثلاثة –رغم اتّفاقها معها في طريقة النّطق– في « أنّ شكل اللّسان عند النّطق بالطاء يتقعّر وسطه، وهذا هو ما أراده نحاة العرب "بالإطباق" »[1].

3. **الكـــاف:** ينحبس الهواء بالتقاء أقصى اللّسان بأقصى الحنك الأعلى، الذّي يرفع ليمنع مرور الهواء إلى الأنف، وبضغط من الهواء لمدّة زمنية قصيرة، ينفصل العضوان، ممّا يحدث صوتا انفجاريا.

4. **القـــاف:** ينحبس الهواء مؤقتا، باتصال أقصى اللّسان بأدنى الحلق، بما في ذلك اللّهاة، ويرتفع الحنك اللّين ليمنع الهواء من المرور عبر الأنف، وبضغط من الهواء ينخفض أقصى اللسان، ممّا يحدث صوتا انفجاريا.

ولا يخفى على الملاحظ لطريقة نطق الكاف والقاف مشابهة بينهما « فلا فرق بين القاف كما ننطق بها، وبين الكاف إلاّ في أنّ القاف أعمق قليلا في مخرجها »[2].

5. **الهمـــزة:** (المحققة أو همزة القطع): يندفع الهواء من الرئتين، فعند وصوله إلى الحنجرة ينحبس نتيجة انطباق فتحة المزمار انطباقا تامّا، تمنع تسرّب الهواء إلى الحلق، وبضغط من الهواء تنفتح فتحة المزمار فجأة ممّا يحدث صوتا انفجاريًّا، وما من شكّ في أنّ انغلاق فتحة المزمار انغلاقا تامّا وفتحها فجأة، يتطلب جهدا عضليّا من قبل النّاطق بصوت الهمزة المحققة « وانحباس الهواء عند المزمار انحباسا تامّا، ثم انفراج المزمار فجأة عملية تحتاج إلى جهد عضلي قد يزيد على ما يحتاج إليه أي صوت آخر مما يجعلنا نعدّ الهمزة أشقّ الأصوات »[3].

---

[1] – محمود، السعران: علم اللغة، ص 155.

[2] – إبراهيم، أنيس: الأصوات اللغوية، ص 87.

[3] – المرجع نفسه، ص 90.

ما يمكن استنتاجه من خلال كلّ ما تقدّم، أنّ طريقة النّطق بالصّوت الصّامت الاحتكاكي، تتطلّب:

- اتصالا محكما بين عضوين، ينتج عنه وقف لمسار الهواء المندفع من الرئتين.
- انفصال العضوين، انفصالا مفاجئا، يصدر عنه صوت انفجاري.
- اختلاف أشكال مجرى أهواء عند النّطق بالصّوامت الانفجارية، فشكل مجرى الهواء عند النّطق بصوت "الباء" هو الشفتان، في حين أنّ شكل مجرى الهواء عند النّطق بالهمزة، هو فتحة المزمار المتضمنة في الحنجرة.

ب – **الأصوات الاحتكاكية**: عند انطلاق الهواء من الرئتين، يصادف تضييقا في مواضع معيّنة من جهاز النّطق، لكن ذاك التّضييق يسمح بعبور الهواء ممّا ينتج عنه صوت ذو احتكاك مسموع « وكل صوت يصدر بهذه الوسيلة، اصطلح القدماء على تسميته بالصّوت الرّخو، وهذه الأصوات يسمّيها المحدثون بالأصوات الاحتكاكية (Fricatives)»[1].

تشمل الصّوامت الاحتكاكية ما يأتي: «الفاء، الثّاء، الذّال، الظاء، السّين، الزّاي، الصّاد، الشّين، والخاء، والغين، والحاء، والعين، والهاء»[2].

1. **الفـــاء**: ينتج عن ضغط الشّفة السّفلى على الأسنان العليا، ضغطا غير محكم، ممّا يسمح للهواء بالنّفاذ من خلالهما، محدثا احتكاكا مسموعا،ساعد على سماعه غلق الحنك اللّين منفذ الأنف حتّى لا يتسرّب الهواء.
2. **الثـــاء**: يوضع طرف اللّسان بين أطراف الثنايا العليا والسّفلى بصورة تسمح بمرور الهواء عبر منفذ ضيّق محدثا بذلك احتكاكا مسموعا، بعد أن أغلق الحنك اللّين طريق الأنف أمام الهواء.
3. **الـــذّال والظّـــاء**: يصدر الصّوتان بطريقة واحدة، نتيجة اندفاع الهواء المارّ بالحنجرة، ليتّخذ مجراه في الحلق والفم، حتّى يتشكّل صوت الذّال من التقاء طرف اللّسان بأطراف الثنايا العليا، هنا يضيق المجرى محدثا احتكاكا قويّا، نتيجة ملامسة طرف اللّسان للأسنان العليا. إلا أن الاستثناء الذّي نسجّله عند نطق الظاء، هو وضع اللّسان، الذّي يرتفع مؤخره تجاه أقصى الحنك، ويرجع إلى الخلف قليلا محدثا الإطباق بسبب تقعّر وسطه « ولذلك اعتبر القدماء

---

[1] – المرجع السابق، ص 24.
[2] – كمال محمد بشر: علم اللغة العام، القسم2، ص 151.

الظاء أحد أصوات الإطباق »[1].

4. **السّين – الزّاي – الصّاد**: تنطبق بالطريقة نفسها؛ إذ يندفع الهواء عبر الحنجرة، ويأخذ مجراه في الحلق والفم، هنالك يتصل طرف اللّسان بالثنايا السّفلى أو العليا، يشكل ذلك الاتصال ضيقا في المجرى، يمرّ عبره، الهواء محدثا احتكاكا مسموعا، يدعمه التقاء الأسنان العليا بالسّفلى، ولوضوح الاحتكاك المسموع بنطق هذه الأصوات سمّاها علماء العربيّة القدماء أصوات الصّفير، في حين اصطلح إبراهيم أنيس على تسميتها بالأصوات الأسليّة؛ «لأنّها تنطق من أسلة اللّسان أي أوّله»[2]، ورغم توحد كيفية نطق الأصوات الثلاثة، فإنّ اللسان عند النّطق بالصّاد يتّخذ شكلا مغايرا للنّطق بالصّوتين الآخرين، إذ يرتفع مؤخّر اللّسان اتّجاه الحنك الأعلى ويرجع قليلا إلى الخلف.

5. **الشيـــن**: يتّخذ الهواء المندفع من الرئتين مجراه الاعتيادي، إلى أن يصل إلى الفم، هنالك يرتفع ذلق اللّسان وطرفه نحو مؤخّر اللّثة، بينما يرتفع ما تبقى من أجزاء اللّسان نحو الحنك الأعلى، كما تتقارب الأسنان السّفلى والعليا بدرجة أقلّ عند النّطق بصوت السّين، كما لا يتأتى النّطق بهذا الصّوت إذا اشتدّ انفتاح الفم.

6. **الخـــاء والغيـــن**: ينطق كلا الصّوتين بطريقة واحدة؛ إذ يرتفع أقصى اللسان إلى أقصى الحنك، وهناك يضيق المجرى فينفذ الهواء عبره، محدثا احتكاكا مسموعا.

7. **الحـــاء والعيـــن**: «العين يتكوّن حيث يتكوّن الحاء، وكما يتكوّن الحاء»[3]،ويتمّ إنتاجهما،عند الفراغ الحلقي، أعلى الحنجرة، عن طريق تقريب جذر اللّسان (أصله) من الجدار الخلفي للحلق، فيترك منفذا لعبور الهواء الذّي يحدث احتكاكا مسموعا.

8. **الهـــاء**: يندفع الهواء عند النّطق بهذا الصّوت محدثا احتكاكا مسموعا، هو أشبه بخفيف يسمع في أقصى الحلق أو داخل المزمار، ويتّخذ اللّسان عند النطق به « أي موضع من المواضع، التّي يتّخذها في نطق "الصّوائت" »[4]. في حين يتّخذ « الفم عند النّطق بالهاء وضعا يشبه الوضع

---

[1] – إبراهيم، أنيس: الأصوات اللغوية، ص 48.

[2] – المرجع نفسه، ص 74.

[3] – محمود، السعران: علم اللغة، ص 178.

[4] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الذّي يتّخذه عند النّطق بأصوات اللّين »[1].

لعلّ ما يمكن استنتاجه بخصوص الصّوامت الاحتكاكية، ما يأتي ذكره:

- تنتج الصّوامت الاحتكاكية بواسطة التقاء عضوين من أعضاء النّطق، يشكّل الالتقاء مضيقا ينفذ عبره الهواء محدثا احتكاكا مسموعا.
- اختلاف أشكال مجرى الهواء عند النّطق بالصّوامت الاحتكاكية، فشكل مجرى الهواء عند النّطق بصوت "الفاء" هو الشفة السّفلى والأسنان العليا، أمّا شكل مجرى الهواء عند النّطق بالخاء هو أقصى اللسان المرتفع إلى أقصى الحنك.
- إذا كان النّطق بالصّوامت الانفجارية يمتاز بالصّفة "الآنية" فإنّ النّطق بالصّوامت الاحتكاكية يتصف بـــ "الاستمرارية" لقد تفطّن قديما "سيبويه" إلى كلا الصّفتين وهو بصدد تعريف الصّوت الشديد –الذي يقابله في العصر الحديث مصطلح الانفجاري– الذي قال بشأنه: « .... وذلك أنّك لوْ قلت أَلْحَجْ ثم مددت صوتك لم يجرّ ذلك »[2]، فهذه العبارة تدلّ دلالة واضحة على أنّ الصّوت الشديد يمتاز بالآنية، أمّا دلالة الصّوت الرّخو على الاستمرارية فتتضح في العبارة الآتية: « .... وذلك إذا قلت الطس وانقض، وأشباه ذلك، أجريت فيه الصوت إن شئت »[3].

ج – **صوامت أخرى:**

أ. **الصّوامت الغناء (الأنفية)**: تصدر عن حبس الهواء حبسًا تامًا في موضع ما من مواضع الفم، آنئذ يبحث عن موضع آخر للنّفاذ، وبضغط من الهواء يرتخي الحنك اللّين ليتسرّب الهواء عبر الأنف « ومن أمثال "الصّوامت" الغناء الميم والنّون »[4].

- **الميـــم**: يندفع الهواء من الرئتين، مارًا عبر الحنجرة إلى أن يصل الهواء إلى الفم، هنالك يهبط أقصى الحنك فيسدّ مجرى الفم، آنئذ يتّخذ الهواء من التّجويف الأنفي مجرى له،

---

[1] – إبراهيم، أنيس: الأصوات اللغوية، ص 88.

[2] – سيبويه: الكتاب، ج4، ص 434.

[3] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 435.

[4] – محمود، السعران: علم اللغة، ص 168.

« محدثا في مروره نوعا من الحفيف، لا يكاد يسمع »[1].عندئذ تنطبق الشّفتان تمام الانطباق، في حين « يتخذ اللّسان وضعا محايدا »[2].

– **النّـــون:** يتّخذ الهواء من الحلق مجرى له، عندئذ، يهبط أقصى الحنك الأعلى فيسدّ الفم، لينفذ الهواء بذلك عبر التّجويف الأنفي، محدثا نوعا من الحفيف لا يكاد يسمع.

ب. **الصّامت المنحرف** (**الجانبي**): يتّخذ الهواء مجراه في الحلق، محدثا عقبة في وسط الفم، باتصال طرف اللّسان بأصول الثنايا العليا، ويرفع الحنك الأعلى، فلا ينفذ الهواء عبر التّجويف الأنفي، بل يعبر عبر أحد جانبي الفم أو كليهما محدثا نوعا ضعيفا من الحفيف يتجسّد في صوت "اللاّم".

واللام في اللغة العربية نوعان: مرققة ومغلظة « والفرق بين اللاّم المرققة والمغلظة هو في وضع اللّسان مع كلّ منهما؛ لأنّ اللّسان مع المغلظة يتّخذ شكلا مقعّرا كما هو الحال مع أصوات الإطباق»[3].

ج. **الصّامت المكرّر**: يندفع الهواء من الرئتين مارّا بالحنجرة ثم يتّخذ مجراه في الحلق، والفم، هنالك تتتابع طرقات طرف اللّسان على حافة الحنك ممّا يلي الثنايا العليا، ممّا يؤدّي إلى غلق وفتح المجرى مرّات متتالية، فينتج بذلك صوت "الرّاء" المسمّى بالمكرّر الذّي تفطن ابن جنيّ إلى تكراره حينما قال: « ومنها المكرر وهو الراء، وذلك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللّسان يتعثر بما فيه من التكرير»[4]، وتتميّز الرّاء المكررة عن الراء "المستلة"؛ إذ تنتج عن «طرقة واحدة من طرف اللّسان على اللّثة»[5].

وتنقسم الرّاء كاللاّم إلى قسمين مرققة ومفخمة، ويكمن الفرق بين نوعي الرّاء في « أن الرّاء المفخمة تعدمت الناحية الصّوتية أحد أصوات الإطباق »[6].

د. **الصامت الانفجاري الاحتكاكي** (**أو المركب**): يصل الهواء المندفع من الرّئتين إلى الفم، أين يلتقي وسط اللّسان بوسط الحنك الأعلى، التقاء شبه محكم؛ إثرها ينفصل العضوان انفصالا

---

1 – إبراهيم، أنيس: الأصوات اللغوية، ص 45.
2 – محمود، السعران: علم اللغة، ص 169.
3 – إبراهيم، أنيس: الأصوات اللغوية، ص 64.
4 – ابن جنيّ: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 72.
5 – محمود، السعران: علم اللغة، ص 172.
6 – إبراهيم، أنيس: الأصوات اللغوية، ص 66.

بطيئا، محدثا ما يسمّى بـــ "الجيم العربيّة الفصيحة"، وإن أدرج علماء العربية القدماء هذا الصّوت ضمن الأصوات الشديدة (الانفجارية)، التّي يجمعها قولنا أجدت طبقك فإنّه يمتاز بطبيعة مزدوجة تجمع بين الانفجاري (الشديد) وبين الاحتكاكي (الرّخو)، وهذا ما عبّر عنه "محمود السّعران" بقوله : « والصّامت الانفجاري الاحتكاكي، نوع من الانفجار، يحدث في تكوينه أن يتبع إطلاق الانفجاري مباشرة بالاحتكاكي المقابل له، أي بالاحتكاكي الذّي يتكوّن في نفس الموضع الذي يتكوّن فيه الانفجاري »[1].

2 - أشبـــاه الصّـــوائت*:

تمتاز هذه الأصوات بطبيعة مزدوجة؛ إذ تجمع بين خصائص الصّوائت والصّوامت معا؛ فبالنّظر إلى موضع اللّسان عند إنتاجها، فهي قريبة الشبه بالصّوائت، وبالنّظر إلى الحفيف الضّعيف الذّي يسمع من نفاذ الهواء عبر مضيق اتصال العضوين فتشبه الصّوامت، وهذا ما حذا باللّغويين المحدثين إلى الكشف عن طبيعتها الانتقاليّة أو الانزلاقية؛ فأعضاء النّطق تبدأ بتكوين صائت ضيق، ثمّ ما تلبث أن تنتقل بسرعة إلى تكوين صائت أشدّ بروزا.

تنطبق الخصائص السّابقة على صوتين من أصوات اللّغة العربيّة هما: الواو في مثل (وقع)، والياء في مثل (ينجح).

- **الـــواو**: تتخذ أعضاء النّطق وضعا مناسبا لنطق نوع من الضمّة [U]. ثم يترك هذا الوضع بسرعة إلى وضع صائت آخر، وتنتج الواو عن اقتراب أقصى اللّسان بأقصى الحنك، وتكمل استدارة الشفتين، ويرفع الحنك اللين ليسدّ طريق الأنف حتّى لا يعبر الهواء، آنئذ يسمع حفيف ضعيف هو صوت (الواو) الذّي لا يتميّز عن الضمّة « إلا في أنّ الفراغ بين أقصى اللسان وأقصى الحنك في حالة النطق بالواو أضيق منه في حالة النّطق بالضمة (U) »[2].

- **اليـــاء:** يتّخذ اللسان عند النّطق بها، موضعا يقرب عند النّطق بصوت (i)، ثم ينتقل منه بسرعة إلى موضع صائت آخر « أشدّ بروزا، ولا يدوم وضع الصّائت الأوّل زمنا

---

[1] - محمود، السعران: علم اللغة، ص 166- ص 167.

* - اختلف اللغويون المحدثون في تحديد هذا المصطلح، رغم أن مصطلحاتهم الموظفة تؤدّي المفهوم نفسه، وظف إبراهيم أنيس مصطلح « أشباه أصوات اللين »، وظف أحمد مختار عمر، مصطلح « نصف العلة »، في حين استعمل كمال محمد بشر « أنصاف الحركات »، أما محمود السعران فقد وظف "أشباه الصوائت".

[2] - إبراهيم، أنيس: الأصوات اللغوية، ص 42.

ملحوظا»[1]؛ إذ يرتفع وسط اللسان تجاه الحنك الصّلب، وتنفرج الشفتان، ويرفع الحنك اللّين ليسدّ الطريق إلى الأنف حتّى لا ينفذ منه الهواء.

1 - ب – **موضع النّطق:** لا تقتضي دراسة أصوات العربية، الاكتفاء بالحديث عن طريقة نطقها وحسب، بل التماسا للدّقة لابدّ أن تتبع تلك الدّراسة بالإحاطة بأمكنة إنتاج تلك الأصوات، أو ما يصطلح عليه اللغويون المحدثون بـــ "مواضع النّطق" التي يقابلها عند علماء العربية القدماء مصطلحات مترادفة هي مخارج الحروف أو محابسها أو مجاريها أو أحيازها، وإن كان مصطلح مخارج أكثر تداولا.

واعتبارا أنّ المخرج حسب تعريف ابن يعيش (ت 643هـــ) «هو المقطع الذّي ينتهي الصّوت عنده»[2]، فإن المواضع تختلف؛ فقد يكون الموضع نقطة محدّدة أو مساحة من مساحات أعضاء النّطق، وقد ينفرد صوت ما بموضع ما لوحده مثلما هو الحال عند نطق صوت "القاف" ذي الموضع اللّهوي، وقد يشترك صوتان أو أكثر في موضع واحد، وإن كان القدماء قد رتبوا الحروف حسب مخارجها الصّوتية، مبتدئين بأصوات أقصى الحلق (ع، ح، هـــ) منتهين بالأصوات الشفوية (ف، ب، م)؛ إذ لم يشأ الخليل باعتباره شيخ اللّغويين: «أن يبدأ بحروف الشفتين لأنّ الابتداء بها في نظره مخالف للوضع الطبيعي»[3]، فإنّنا سنضطرّ إلى عكس التّرتيب، لنجعله تنازليا من الشفتين وصولا إلى أقصى الحلق، وذلك نزولا عند هدف الدّراسة، الذي يتمثل في ضرورة الإلمام بأكبر قدر ممكن من صحة نطق الأصوات اللغوية العربية، قصد إدراك مدى انحراف عيوب النطق عن هذه الصحة، التي قد نستأنس بها، من أجل الاقتراب من فكرة تقويم عيوب النّطق إن أمكن ذلك، ولن يتحقّق هذا إلاّ بالتماس السّبيل الأسهل وهو التّرتيب الذّي اعتزمنا تبيانه ههنا.

1 - **موضع الشفتين:** تنطبق الشفتان العليا والسّفلى على بعضهما البعض، لتمنعا بذلك الهواء من العبور، إثرها يتسرّب بينهما محدثا صوتي الباء والميم، سمّاهما ريمون طحان بـــ "الشفوية المزدوجة" (Bilabiale) [4].

---

[1] – محمود، السعران: علم اللغة، ص 180.
[2] – ابن يعيش، موفق الدين بن علي: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، (د، ط) ،(د، ت)، ج10، ص 124.
[3] – مهدي، المخزومي: الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986، ص 99.
[4] – ريمون، طحان: الألسنية العربيةI، ص 46.

2 - **الموضع الشفوي الأسناني**: (Labiodentale): يلتقي باطن الشفة السّفلى مع أطراف الثنايا العليا، التقاء يترك بينهما منفذا ضيّقا جدّا ينفذ عبره الهواء محدثا صوت الفاء.

3 - **موضع ما بين الأسنان**: (Interdentale): تتصل الثنايا السّفلى بالثنايا العليا، ويتوسّطهما طرف اللسان، لينتج من هذا الموضع كلّ من الثاء والذال والظاء.

4 - **موضع الأسنان واللثة**: (Apicale Alvéolaire): ينطبق طرف اللّسان على باطن الثنايا العليا، كما يلتقي مقدم اللّسان باللثة، فإن كان الاعتماد قويّا والتّقارب كاملا نتجت أصوات الضاد، والدال والطاء، والتاء، وإن كان الاعتماد ناقصا ينجم عنه منفذ تسرّب الهواء عبره محدثا أصوات الزّاي والسّين والصّاد.

5 - **الموضع اللّثوي**: (السائل) (Alvéolaire Liquide): يلتقي طرف اللسان باللثة، فإن كان التّقارب تامّا، احتجز الهواء ليتحوّل إلى مجرى الأنف، آنئذ ينتج صوت النّون، أمّا إن سمح للهواء بالنّفاذ على حافتي اللّسان أو على إحداهما، حدث صوت اللاّم الجانبي، أمّا إن تكرّر التقاء طرف اللّسان على اللثة على شكل ضربات متتالية نتج صوت الراء المكرر، لقد تفطن علماء العربية القدماء لوجود علاقة بين أصوات النّون، اللاّم، الرّاء التي جعلوها تصدر من مخرج واحد هو ذلق اللّسان[1].

6 - **المخرج الغاري**: (الأمامي) (Prépalatale): عنده يلتقي مقدّم اللسان وجزء من وسطه بمقدم الغار، فإن حدث الالتقاء التّام نتج صوت الجيم، أمّا إن تشكل مضيق عند التقاء العضوين نتج صوتا الياء والشين.

7 - **الموضع الطبقي**: (Vélaire): يتصل أقصى اللّسان بالطبق، فإن كان الاتصال تامّا نتج صوت الكاف، وإن شكل ذلك الاتّصال منفذا يتسرّب عبره الهواء أصدر صوتا الغين والخاء.

8 - **الموضع اللّهوي**: يتّصل أقصى اللّسان اتصالا تامّا بزائدة لحمية ينتهي بها الطبق وتسمّى اللّهاة، وبعد برهنة وبضغط من الهواء على العضوين ينفصلان ويتسرّب الهواء عبرهما محدثا صوت القاف، وقد سمّى ريمون طحان موضعه بـــ الغاري الخلفي (Postpalatale) [2].

---

[1] – إبراهيم، أنيس: الأصوات اللغوية، ص 63.

[2] – ريمون، طحان: الألسنية العربية I، ص 47.

9 - **الموضع الحلقي**: (Pharyngale): تتقارب جدران وسط الحلق، فتشكل منفذا يضيق عنده مجرى الهواء ليتسرب عبره، محدثا صوتي العين والحاء.

10 - **الموضع الحنجري**: (Laryngale): تشتمل الحنجرة على الوترين الصّوتين، فإن التحما ثمّ انفصلا انفصالا فجائيا، نتجت الهمزة المحققة، أمّا إن حدث مجرّد تقارب نتج صوت الهاء.

تلك هي مخارج أصوات اللّغة العربية، حسب ما أقرّه الدّرس اللّغوي الحديث، وحسب ما أسفرت عنه تحريات معامل الأصوات الحديثة، ليختلف، بدرجات متفاوتة عمّا جاء به الـــدّرس اللغوي العربي القديم، وهذا ما نتبيّنه من خلال الجداول سواء منها ما خصّ ترتيب الحـــروف أو مخارجها.

جدول مقارنة ترتيب الحروف العربية ترتيبا صوتيا تصاعديا عند القدماء وتنازليا عند المحدثين[1].

الخليـــل	سيبويـــه	ابن جنـــيّ	المحدثون
ع	ء	ء	ء
ح	ا	ا	هـــ
هـــ	هـــ	هـــ	ع
خ	ع	ع	ح
غ	ح	ح	غ
ق	غ	غ	خ
ك	خ	خ	ك
ج	ك	ق	ج
ش	ف	ك	ش
ض	ض	ج	ي
ص	ج	ش	ل
س	ش	ي	ر
ز	ي	ض	ن
ط	ل	ل	س
د	ر	ر	ص
ت	ن	ن	ز
ظ	ط	ط	ت
ذ	د	د	ط
ث	ت	ت	د

[1] – آمنة، ابن مالك: الحروف العربية، دراسة لغوية صوتية، ص 98.

ر	ص	ص	ظ
ل	ز	ز	ث
ن	س	س	ض
ف	ظ	ظ	ذ
ب	ذ	ذ	ف
م	ث	ث	ب
و	ف	ف	و
ا	ب	ب	م
ي	م	م	
ء	و	و	

جـــدول مخـــارج الحروف عند القدمـــاء[1].

العضــو المصوت	سيبويـــه ق 2 هــ	ابن جنـــي ق 4هــ	المفصل للزّمخشري مع شرح ابن يعيش 643 هــ	ابن الجزري 833هــ النشر في القراءات العشر
أقصى الحلق	ء، هــ، ا	ء، هــ، ا	ء، هــ، ا	ء، هــ،
وسط الحلق	ع، ح	ع، ح	ع، ح	ع، ح
أدنى الحلق	غ، خ	غ، خ	غ، خ	غ، خ
أقصى اللسان اللهاة	ق	ق	ق	ق
ظهر اللسان أقصى الحنك اللهاة	ك	ك	ك	ك
ظهر اللسان وسط الحنك	ج، ش، ي	ج، ش، ي	ج، ش، ي	ج، ش، ي
حافة اللسان وما يليه من الأضراس	ض	ض	ض	ض
حافة اللسان ما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية	ل	ل	ل	ل
حافة اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا	ن	ن	ن	ن
ظهر اللسان وانحرافه قليلا إلى الأمام	ر	ر	ر	ر
جانب طرف اللسان وأصول الثنايا	ط، د، ت	ط، د، ت	ط، د، ت	ط، د، ت

[1] – المرجع السابق، ص 99- ص 100.

جانب طرف اللسان وفويق الثنايا	ز، س، ص	ز، س، ص	ز، س، ص	ز، س، ص
ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا	ظ، ذ، ث	ظ، ذ، ث	ظ، ذ، ث	ظ، ذ، ث
باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا	ف	ف	ف	ف
ما بين الشفتين	ب، م، و	ب، م، و	ب، م، و	ب، م، و
من الخياشيم	ن الخفيفة	ن الخفيفة	ن الخفيفة	ن الخفيفة

مخـــارج الحروف عند المحدثيـــن*[1]

الشفتـــان	ب، م، و	شفوي
الشفة السّفلى وأطراف الثنايا العليا	ف	شفوي أسناني
توسّط اللسان بين الثنايا السّفلى والعليا	ث، ز، ظ	أسناني
الأسنان واللثة طرف ومقدم اللّسان	ض، د، ط، ت، ز، س، ص	أسناني لثوي
طرف اللسان واللثة	ن، ل، ر	لثوي
الغار ومقدّم اللسان	ج، ش، ي	غاري
أقصى اللسان والطبق	ك، غ، خ	طبقي
أقصى اللسان واللهاة	ق	لهوي
الحلق	ع، ح	حلقي
الحنجرة	هـــ، ء	حنجري.

1 - ج: **وضع الأوتار الصّوتية (cordes vocales)**: حتى تمتاز دراستنا لأصوات اللغة العربيّة بالشمولية والعمق، فلا مناص من الأخذ بعين الاعتبار عمل الأوتار الصّوتية؛ فعلى أساسها يمكن أن تصنّف الأصوات تصنيفا يخالف التصنيفين السّابقين، اللّذين ارتكز أحدهما على طريقة النّطق، وثانيهما على موضعه.

تشتمل الحنجرة على الوترين الصّوتيين تعلوهما فتحة المزمار، فعندما تنقبض هذه الفتحة، يلتقي الوتران الصّوتيان، لكن التقاءهما لا يحول دون مرور الهواء، الذي يهتزّ له الوتران الصّوتيان

* – لم ندرج في هذا الجدول مخرج الألف (وسط الحنك ووسط اللسان)؛ لأنّه ينتمي للصوائت لا الصوامت، في حين ركزنا في هذا الجدول على مخارج الصوامت وأشباه الصوائت فقط

[1] –أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص275.

اهتزازات منتظمة تصدر صوتا "مجهورا" (Sonore) « تختلف درجته حسب عدد هذه الهزات أو الذبابات في الثانية، كما تختلف شدته أو علوّه حسب سعة الاهتزازة الواحدة»[1].

وتنحصر الأصوات العربيّة المجهورة في: الباء، الجيم، الدّال، الذال، الراء، الزاي، الضاد، الظاء، العين، الغين، اللاّم، الميم، النّون، الواو، الياء، ولبعض تلك المجهورات نظائرها المهموسة على التّرتيب الآتي: الثاء، التّاء، السين، الطاء، الحاء، الخاء، وبعض المجهورات لا مهموس لها مثل: الباء، الجيم، الرّاء، الظاء، اللاّم، الميم، النّون[2].

أمّا عندما تنبسط فتحة المزمار، يرتخي الوتران الصّوتيان وتتسع الفتحة ليعبر الهواء حرّا، دون أن يهتزّ لعبوره الوتران، ويسمّى الصوت آنئذ "مهموسا" « ولكن المراد بهمس الصّوت هو صمت الوترين الصّوتيين معه، رغم أنّ الهواء في أثناء اندفاعه من الحلق أو الفم يحدث ذبذبات يحملها الهواء الخارجي إلى حاسة السّمع فيدركها المرء من أجل هذا »[3].

والأصوات العربية المهموسة هي: التّاء، الثاء، الحاء، الخاء، السّين، الشين، الصّاد، الطاء، الفاء، القاف، الكاف، الهاء، الهمزة، ومن الأصوات المهموسة مالا مجهور لها مثل: الشين، الصّاد، الفاء، القاف، الكاف، الهاء.

ورغم ما يوحي به قرب تعادل عدد الأصوات العربيّة المجهورة بالمهموسة، فإنّ الحقيقة التّي يجب أن تستقر في الأذهان هي أنّ الكثرة « الغالبيّة من الأصوات اللغويّة في كلّ كلام مجهورة، ومن الطبيعي أن تكون كذلك وإلاّ فقدت اللغة عنصرها الموسيقى ورنينها الخاصّ الذّي نميزّ به الكلام من الصّمت والجهر من الهمس والإسرار »[4].

2 - الصـــوائت العربيّـــة:

سبق أن ذكرنا في الصّفحات السّابقة، اهتمام علماء العربيّة القدماء بالأصوات السّواكن (الصّوامت) على حساب العلل (الصّوائت)، باعتبار هذه الأخيرة -حسب آرائهم- عوارض ثانوية، لا شأن لها في تركيب البنى اللّغوية، ولعلّ الذّي دعاهم إلى انتحاء هذا المنحى كون « الكتابة العربيّة صوّرت الصّوت السّاكن أو الصّامت بواسطة الحرف ورمزت له برموز معيّنة

---

[1] – إبراهيم، أنيس: الأصوات اللغوية، ص 20.
[2] – المرجع نفسه، ص 22.
[3] – المرجع نفسه، ص 21- ص 22.
[4] – المرجع نفسه، ص 21.

دون الالتفات إلى الأصوات المصوّتة التي اعتبرها كعوارض تطرأ على جوهر الحرف »[1].

وفضلا عن اهتمام اللّغويين المحدثين بالصّوامت، فقد أعادوا الاعتبار للصّوائت، التّي تمتاز عن سابقتها (الصّوامت) بكثرة الدّوران داخل الكلام وكثرة الوضوح السّمعي، وأيّ انحراف عن النّطق بها يبعدها عن المعيار الصّحيح « لهذا كلّه اضطرّ المحدثون في تجاربهم أن يستنبطوا مقاييس عامّة لأصوات اللّين، بها تقاس أصوات اللين في كلّ لغة وتنسب إليها، ولم يتّخذوا في هذه المقاييس لغة خاصّة يجعلونها أساسا، بل اتّخذوا تلك المقاييس من عدّة لغات مشهورة »[2].

وتنتج الصوائت عن اندفاع الهواء الصّادر من الرئتين في مجرى مستمرّ خال من العوائق أو الحوائل، ويكتسي اللّسان والشفتان أهميّة بالغة في نطق الصّوائت؛ إذ « هما العضوان الأساسيّان اللّذان لهما دخل في تغيير شكل الممرّ الهوائي في حالة الصّوائت »[3].

وحتّى نتمكّن من الكشف عن العمليّات النّطقيّة المنتجة للصّوائت، فلا بد من دراستها انطلاقا من زوايا ثلاث هي:

أ – مواضع أعضاء النّطق.

ب – مدى انفتاح الجهاز الصّوتي.

جـ – عمل بعض مجهرات الصّوت أو مكبّراته التي تمدّنا بصفات نطقها

أ – **مواضع أعضاء النّطق**: يتدّخل موضع اللّسان داخل الفم، وحركة الشّفتين، في تحديد أنواع الصّوامت؛ فعند صعود الجزء الأساسي من اللّسان نحو مقدّم الحنك، أو هبوطه نحو أسفل الفم، تنتج صوامت أدنى حنكية أو أماميّة (Antérieures)، وبتجمع اللّسان عند مؤخرة الحنك تحدث أصوات اللّين الخلفية (Postérieures)، وحينما يشغل اللسان موضعا بين الموضعين السّابقين، تصدر الصّوائت المتوسّطة أو المركزيّة (Centrales, Médianes)، وباستدارة الشفتين تتشكل فرجة تختلف ضيقا واتساعا محدثة صوائت مستديرة (arrondiés)، وقد تنفرج الشّفتان لتتّخذ بذلك شكل انفتاح أفقي تنتج عنه صوائت

---

[1] – ريمون، طحان: الألسنية العربية I، ص 37- ص 38.

[2] – إبراهيم، أنيس: الأصوات اللغوية، ص 31.

[3] – محمود، السعران: علم اللغة، ص 183.

منفرجة (Etirées)[1].

ب – **درجات انفتاح أعضاء الجهاز الصّوتي:** يتوقف تباين درجات الصّوائت العربيّة على مدى انفتاح أو انغلاق الأعضاء المنتجة للصّوائت (الشفتين واللّسان خاصّة)؛ فعند صعود اللّسان نحو الحنك يضيق المجرى في الفم فتنتج صوائت ضيّقة (Fermées)، وبتمدّد اللّسان في قاع الحنك يتّسع الفراغ بين اللّسان والحنك فتصدر عنه صوائت متّسعة (Ouvertes)[2].

لم يكتف محمود السّعران بالإشارة إلى نوعي الصّوائت المتّسعة والضّيقة، بل تعدّاهما إلى أنواع أخرى، نجملها في قوله « تصنّف (الصّوائت) إلى ضيّقة ونصف ضيّقة (شبه ضيّقة) ونصف مفتوحة (شبه مفتوحة) ومفتوحة وذلك حسب درجة رفع اللّسان »[3].

لا يحقّ لنا أن نغفل بعد هذا، دور الشّفتين في إحداث التّباين بين الصّوائت العربيّة، فقد تضم الشفتان لينتج عنهما الصّائتان: الضمّة القصيرة والطويلة، وقد تفتحان بصورة محايدة لتصدر عنهما الفتحة القصيرة والطويلة، أمّا إذا انفرجتا، صدر صوت الكسرة القصيرة والطويلة.

ج – **صفـــات النّطـــق:** تتدخّل بعض أعضاء النّطق لتضفي على الصّوائت بعض خصوصيات (الصفات) الصّوتيّة؛ إذ تتصف صوائت بعض اللّغات بالغنّة نتيجة عمل مجهرات الصّوت الأنفية لكن ما تمتاز به صوائت اللغة العربيّة هو تباينها من حيث المدى الصّوتي النّاتج عن امتداد الهواء المشكّل للصّوائت.

وعلى ضوء مدى ذلك النّفس، واعتبارا لحركات ومواضع أعضاء نطق الصّوائت، شمل النّظام الصّوتي العربي صنفين من الصّوائت: أحدهما قصير ويضمّ: الفتحة – الكسرة والضمّة، وثانيهما طويل ويشمل الفتحة الطويلة – الكسرة الطويلة – الضّمة الطويلة *.

من علماء العربيّة القدماء، الذّين تفطنوا إلى العلاقة بين الصّوائت القصار، والطوال، إمام اللّغويين الخليل الذّي قال: « الفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو »[4]، أمّا

---

[1] – ريمون، طحان: الألسنية العربية I، ص 39– ص 40.

[2] – المرجع نفسه، ص 41 .

[3] – محمود، السعران: علم اللغة، ص 184.

* – اصطلحنا على هذه التسمية، تجنبا للخلط بين الصوائت (الألف – الياء – الواو)، وأشباه الصوائت (الياء والواو).

[4] – الخليل: العين، ج1، ص 6.

ابن جني فقد أورد بشأن تلك العلاقة ما نصه: « اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المدّ واللّين، وهي الألف والياء والواو، فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاثة وهي الفتحة والكسرة والضمة ... وقد كان متقدّمو النحويين يسمّون الفتحة الألف الصّغيرة، والكسرة الياء الصّغيرة، والضّمة الواو الصّغيرة ... ويدلك على أنّ الحركات أبعاض لهذه الحروف أنّك متى أشبعت واحدة منهنّ حدث بعدها الحرف الذّي هي بعضه »[1]، أمّا الرّازي فلم يزد على ما أورده سابقه، حينما أورد ما فحواه: الحركات أبعاض المصوّتات، والدّليل عليه أنّ هذه المصوّتات قابلة للزّيادة والنّقصان، ولا طرف في جانب النّقصان إلاّ هذه الحركات، ولأنّ هذه الحركات إذا مدّت حدثت المصوّتات[2].

يتضح من الأقوال الواردة أعلاه إدراك قائليها الفرق بين الصّوائت الطويلة والقصيرة، الذّي لا يعدو أن يكون فرقا في الكمية، وهذا ما أثبته الدّرس الصّوتي الحديث « فكيفية النّطق بالفتحة وموضع اللّسان معها يماثل كلّ المماثلة كيفية النّطق بما يسمّى ألف المدّ، مع ملاحظة فرق الكميّة بينهما »[3]، ومن جهة أخرى فـــ « الفرق عادة بين الفتحة الطويلة والقصيرة هو أنّ الزّمن الذّي تستغرقه الأولى ضعف ذلك الذّي تستغرقه الثانية »[4].

وحتى نكون على بيّنة من الفروق بين الصّوائت العربية قصيرها وطويلها على السّواء، فلا مفر من دراسة كلّ صائت على حدة [*].

1 – **الفتحة القصيرة:** تنتج عن ارتفاع طفيف جدّا في مقدّم اللّسان، وتراجع طفيف جدّا في الشفتين، ويرافق إنتاجها اهتزاز الوترين الصّوتيين، وتتّخذ الفتحة القصيرة هذه الوضعيّة إذا وردت بعد صامت من الصّوامت المستفلة، وتسمى هذه الفتحة بالفتحة القصيرة المرققة، ومن صفاقما أنّها صوت منفرج قصير، صائت أمامي، غير أغن، ومن أمثلة هذا النّوع من الفتحة، فتحات الفعل نَجَحَ، أمّا إذا وردت بعد صامت من الصّوامت المستعلية وهي: (الصّاد، الضاد، الطاء، الظاء، الغين، القاف، الفاء)، أو بعد الصّامت المكرّر (الرّاء) فإنّ

---

[1] – ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 17– ص 18.

[2] – الرازي، قمر الدين: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، المطبعة البهية المصرية، مصر، ط1، 1938، ج1، ص 30.

[3] – إبراهيم، أنيس: الأصوات اللغوية، ص 38.

[4] – المرجع نفسه، ص 155.

[*] – انظر محمد، الأنطاكي: المحيط في أصوات العربية، ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت، ط3، (د، ت)، ج1، ص 34– ص 38.

مؤخّر اللّسان يرتفع قليلا نحو الحنك، لتصدر فتحة قصيرة مفخمة، من صفاتها أنّها صائت خلفي، منفرج ونمثل لهذه الفتحة بفتحات الفعل صَبَرَ.

2 – **الفتحة الطويلة:** «مخرجها الجوف كلّه، ولكن يتدخّل اللّسان والشفتان في إخراجها، ينخفض اللّسان إلى أسفل مع انسحاب طرفه قليلا عن الأسنان السّفلى، وتتسع مع ذلك فتحة الشفتين»[1].

وتشارك الفتحة الطويلة الفتحة القصيرة في جميع صفاتها وأحكامها إلاّ في طول النّفس الذّي يستغرق لإنتاجها، ويزداد طول الفتحة الطويلة إذا وليها الإدغام مثل حَمّال، أو تبعتها الهمزة، كـــ صحرَاء، فالألف في حمّال وألف صحراء، كلّ منهما أطول من ألف كلمة قَفَا.

3 – **الكسرة القصيرة:** تنتج عن ارتفاع اللّسان إلى الغار من غير أن يحبس الهواء، وتنفرج الشفتان ليجري الهواء في ممرّ الفم كما يسدّ مجرى الأنف سدّا تامّا، ويرافق إنتاج الكسرة القصيرة اهتزاز الوترين الصّوتيين، ونتيجة لكلّ هذا تتحدّد صفات هذا الصّائت كونه أساسيّا، مجهورا، غير أغن.

4 – **الكسرة الطويلة:** تشارك القصيرة في صفاتها وأحكامها، لكنها تمتاز عن القصيرة في الكمية أو المدّة الزّمنية التّي يستغرقها الهواء لإصدارها؛ إذ تبلغ طول الكسرة الطويلة ضعف الكسرة القصيرة في هذا الصّدد يقول: مهدي المخزومي: « أبعد المحدثون في الدّقة، حتى جعلوا نسبة الألف والواو والياء إلى الفتحة والضمّة والكسرة نسبة 2 إلى1 »[2]، ويزيد طول الكسرة الطويلة إذا وليتها همزة أو إدغام. وتختلف الكسرة الطويلة (الياء) باعتبارها صائتا طويلا عن شبه الصّائت (الياء) إذا أتبع هذا الأخير بحركة من أيّ نوع، وإذا وقعت ساكنة وقبلها فتحة[3].

فضلا من هذا، فارتفاع اللّسان عند نطق شبه الصّائت أكثر درجة من حيث ارتفاعه عند نطق الكسرة الطويلة، وذاك الارتفاع الزّائد يضيق من تجويف الفم، ممّا يحدث حفيفا مسموعا.

5 – **الضمة القصيرة:** تصدر عن ارتفاع مؤخّر اللّسان نحو مؤخّر الحنك الأعلى من غير إحداث

---

[1] – مهدي، المخزومي: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص 108.

[2] – المرجع نفسه، ص 107.

[3] – كمال محمد بشر: علم اللغة العام، القسم2، ص107.

حبس للنّفس، ويرافق إنتاجها اهتزاز الأوتار الصّوتية، كما تتشكل فرجة عند استدارة الشفتين تسمح بمرور الهواء عبرها ودون ملامستها، تختص الضمة القصيرة بصفات محدّدة كونها صائتا خلفيا، منضما (ضم الشفتين) أو مستديرا، غير أغن.

6 - **الضمة الطويلة**: تتصف بنفس صفات وأحكام الضمة القصيرة، لكن الضمة الطويلة تساوي ضعف طول الضمة القصيرة، ويزداد طولها إذا وليتها همزة أو إدغام.

تختلف الضمّة الطويلة (الواو) عن شبه الصّائت (الواو) كون الفرجة المشكلة بين الشفتين أكثر اتّساعا عند النّطق بالصّائت منها عند النّطق بشبه الصّائت، ممّا يحدث حفيفا مسموعا عند النّطق بشبه الصّائت. ويمتاز هذا الأخير عن الواو الصّائتة، بضرورة اتباع الواو شبه الصّائتة بحركة من أي نوع وأن تكون ساكنة وقبلها حركة.

ما من شك في أنّ الدّرس اللّغوي الحديث، قد أثمر نتائج باهرة في حقل الدّراسة الصّوتية، ما كانت أن تتحقق له، لولا تلك النّقلة العملاقة التي عرفها الدّرس الصّوتي، منذ اعتماده على الملاحظة الذاتية، التي أساسها الأذن المدربة، قديما، وصولا إلى استعانته بالتكنولوجية المتطورة حديثا، في هذا الصّدد يعلّق "عبد الرحمن الحاج صالح "، قائلا: « اللّسان البشري يعدّ اليوم من الظواهر التي يمكن أن تحلّل عناصره الصّوتية بالآلات الالكترونية ويمكن أن تبصر ذبذباتها وأشباحها الفيزيائية والفيزيولوجية بالآلات الرّاسمة وأن تقاس بدقة فائقة مقاديرها كسرعة تردّد الذبذبات وسعتها وشدتها فتشخص بذلك أنواع الأداء الصّوتي بمقاييس موضوعية؛ وأنّه يمكن أن تسجل بالأشعة السّينية، الحركات الفيزيولوجية المحدثة للحروف الجامدة منها والمصوتة من الحنجرة إلى الشفتين وما بينهما »[1].

لقد أثمرت هذه النّقلة من –ضمن ما أثمرت– فروعا للدّراسة الصوتية، كعلم الأصوات الآلي، علم الأصوات الفيزيائي، علم الأصوات السّمعي، ولّما كانت دراستنا لعلم الأصوات اللغوية تهدف إلى التعرف على معايير الأصوات اللّغوية –إنتاجا وسماعا– كان لزاما أن نستأنس بعلم الأصوات السّمعي من أجل التعرف على صفات الأصوات اللّغوية، الأساسيّة منها والثانوية على حدّ سواء.

[1] – عبد الرحمن، الحاج صالح: مدخل إلى علم اللّسان الحديث (4)، ص 25.

المبحث الثالث : علم الأصوات السمعي.

لئن كان علم الأصوات النطقي يختص بدراسة كيفية صدور الأصوات اللغوية عن أعضاء جهاز النطق الإنساني، وكان علم الأصوات الفيزيائي يهتم بدراسة الأصوات اللغوية، المنطلقة من فم المتكلم، وانتشارها في الهواء، على شكل اهتزازات فيزيائية، فإن علم الأصوات السمعي، يتحدد اختصاصه فور استقبال الأذن لتلك الاهتزازات أو التموجات الصوتية.

يحيلنا علم الأصوات السمعي على حاسة السمع، التي أجمع المفكرون قديما وحديثا، على إيلائها أولوية كبرى فـــ « قد سمى أفلاطون حاسة السمع والبصر، بحاستي الروح؛ لأنّ بهما تدرك أشياء كثيرة، وبهما تكون المخالطة والمشاركة، والاحتراس من الأشياء المضرة »[1]، وبشأنها قال ابن خلدون « السمع أبو الملكات اللسانية »[2].

تتبدى مزايا حاسة السمع في أمور منها:

-لا تقل أهمية السامع في العملية الكلامية، عن أهمية دور المتكلم.

- أسبقية السمع على الكلام، من حيث النمو والنشأة.
- تدرك حاسة السمع الأصوات من مسافات بعيدة.
- تقوم حاسة السمع بوظيفتها ليلا ونهارا في الظلام والنور.
- تمد حاسة السمع المخ بذبذبات يحللها إلى معان[3].

لقد اعتمد الدرس الصوتي القديم، سواء أكان غربيا أو عربيا على الأذن المدربة، باعتبارها حاسة السمع الطبيعية، فكانت النتائج باهرة لا يمكن تجاهلها، أما العلماء المحدثون فقد نظروا بعين الريبة إلى أذن الإنسان؛ لأنّهم رأوا في الاعتماد عليها قصورا عن استقصاء كل جزئيات الصوت اللغوي، من حيث سماعه؛ لذا توسلوا بآلات سمعية اصطناعية، تكمل ذاك القصور، ليتأسس ما يعرف بعلم الأصوات السمعي، الذي وقف إزاءه اللغويون المحدثون بين معارض، مشكك ومؤيد.

لم يعارض الفريق الأوّل وجود علم الأصوات السمعي، إنما انحصرت معارضتهم في استعانة البحث الصوتي بهذا العلم، الذي طالبوا بإقصائه من حقل الدراسة الصوتية، اعتبارا للصعوبات

---

[1] – ميرا اللواء كلوت، بكر: كنوز الصحة ويواقيت المنحة، ص 47.
[2] – ابن خلدون: تاريخ العلامة ابن خلدون، ص 1056- ص 1057.
[3] – إبراهيم، أنيس: الأصوات اللغوية، ص 14.

الآتي ذكرها:

- «لا تكون للصور السمعية قيمة، إلا إذا كان السامع قادرًا بواسطتها على أن يصير بدوره متكلما ..

- انتشار الموجات الصوتية على طبلة الأذن، ووقع هذه الموجات على أعضاء السمع، شيء لا يمكن إدراكه إلا بوساطة أجهزة خاصة، وحتى مع هذه الأجهزة الخاصة –لو وجدت– نجد أنفسنا نحن اللغويين عاجزين عن إدراك العملية السمعية إدراكا تحليليا أي إدراكا علميا.

- عملية السماع هذه، لا يمكن التحكم فيها، فليس الإنسان بقادر على وقف هذه العملية واستئنافها حين يشاءُ على عكس عملية النطق.

- ما يجري في الجهاز السمعي ... بعيدة المنال بالنسبة للعين المجردة »[1].

- أما الفئة الثانية فقد شككت في فائدة علم الأصوات السمعي؛ لأنّه « لم يحقق حتى الآن تقدما كبيرا »[2].

في مقابل الرأيين السابقين، نجد وجهة نظر مغايرة لهما، قد تبناها جملة من اللغويين المحدثين، فقد ذهبوا إلى ضرورة الاستعانة بنتائج هذا العلم؛ لأنّ أهميته من أهمية حاسة السمع « فقد رأينا أن نفرد له مبحثا مستقلا، لأن هناك ما يمكن أن يقال تحت هذا العنوان، ولأن أهمية دور السامع في العملية الكلامية لا تقل عن أهمية دور المتكلم »[3].

أولا: صفات الأصوات اللغويـــة:

على الرغم من استثمار علماء اللغة المحدثين ما جاءت به العلوم الحديثة، التي ترتكز على أرقى الأجهزة التكنولوجية، فإن جل نتائجهم التي انتهوا إليها، لم تفند نتائج البحث الصوتي العربي القديم، اللهم إلا بعض الجزئيات منه، لهذا لا نستغرب إذا ما عثرنا على اعتراف بفضل علماء العربية القدماء، يقول فيرث (Firth): « لقد نشأت الدراسات الصوتية، ونمت في أحضان

---

[1] – عبد العزيز عبده قلقيلة: لغويات، دار الفكر العربي، القاهرة، (د،ط)، (د،ت)، ص 137– ص 138.

[2] – أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص 45.

[3] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

لغتين: العربية والسنسكريتية »[1].

يتضح فضل علماء العربية القدماء من خلال مقاربة بين أفكارهم وأفكار علماء اللغة المحدثين، بخصوص صفات الأصوات اللغوية العربية، وتنحصر في الآتي:

1 - الشدة والرخاوة والتوسط:

يقصد علماء العربية القدماء بمصطلح **الشّدة** تمام انحصار الصوت عند إسكاته، قال ابن جني: إنك لو قلت الحق والشط، ثم رمت مدّ الصوت في القاف والطاء لكان ممتنعا »[2]، ويمكن جمع الحروف الشديدة في قولنا: أجدت طبقك، ومن حروف أجدت طبقك خمسة تسمى أحرف القلقلة إذا كانت ساكنة، يجمعها قولنا قطبجد، ويقابل مصطلح **الشدة** في الدرس الصوتي الحديث، مصطلح الانفجار[*]، والأصوات الانفجارية ثمانية: الباء – التاء – الدال – الطاء – الظاء – الكاف – القاف – الجيم.

أما معنى الحرف **الرخو** عند أسلافنا، فكما عرّفه ابن جني: « والحرف الرخو هو الذي يجري فيه الصوت »[3]، أوضح ذلك بأمثلة وهو يعلق: « لو قلت المس، والرش، والشح، ونحو ذلك، فهذا الصوت جاريا مع السين والشين والحاء »[4].

ويذكر سيبويه الحروف الرخوة: ومنها (الرَخْوَةُ) وهي: «الهاء، والحاء، والغين، والخاء، والشين، والصاد، والضاد، والزاي، والسين، والظاء، والثاء والذال والفاء»[5]، ويقابل مصطلح الرخاوة عند اللغويين المحدثين، مصطلح الاحتكاك[*] والحروف الاحتكاكية هي: الثاء، الحاء، الخاء، الزاي، السين، الشين، الصاد، الظاء، العين، الغين، الفاء.

لقد عثر أسلافنا على حروف تجمع بين خصائص الشدة والرخاوة؛ فهي بين تمام الجري وتمام الانحصار، عرفها ابن جني: «والحروف التي بين الشديدة والرخوة ثمانية وهي: الألف، والعين

---

[1] – سميح، أبو مغلي: "جهود علماء العرب في دراسة الأصوات اللغوية"، الفيصل، مجلة ثقافية شهرية، جمادى الآخرة، (1406هـ)، آذار (مارس) 1986، السنة 9، عدد 108، ص 21.

[2] – ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 70.

[*] – انظر معنى مصطلح الانفجاري، ص 91 من هذا البحث.

[3] – ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 70.

[4] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5] – سيبويه: الكتاب، ج4، ص 435.

[*] – انظر مفهوم مصطلح الاحتكاكي، ص 93 من هذا البحث.

والباء، والميم واللام، والنون، والراء والواو»[1].

أما علماء اللغة المحدثون فاصطلحوا على تسميتها بالانفجاري الاحتكاكي (المركب)[*].

2 - الجهر والهمس:

يقصد علماء العربية القدماء بمصطلح الجهر قوّة اعتماد الصوت على مكان خروجه، فيمتنع جريان النفس معه، نتلمس هذا المفهوم في قول سيبويه: « حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومَنَعَ النفس، أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد [عليه]، ويجري الصوت »[2].

يبلغ عدد الحروف المجهورة عند سيبويه: تسعة عشر حرفا هي: «فالهمزة، والألف، والعين، والغين، والقاف، والجيم، والياء، والضاد، واللام، والنون، والراء، والطاء، والدال، والزاي، والظاء، والذال، والباء، والميم، والواو[3]، أما الحرف المهموس عند علماء العربية القدماء فهو حرف أضعف اعتماد الصوت على مكان خروجه، فيجري معه النفس، يقول سيبويه: «وأما المهموس، فحرف أضعِف الاعتماد في موضعه، حتى جرى النفس معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فردَّدتَ الحرف مع جري النفس، ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه»[4]، ويبلغ عدد الحروف المهموسة عند سيبويه، ومن نحا نحوه، عشرة حروف هي: فالهاء، والحاء والخاء، والكاف، والشين، والسين، والتاء، والصاد والثاء والفاء.

لقد خالف علماء اللغة المحدثون علماء العربية القدماء الرأيّ بخصوص مفهومي المجهور والمهموس اللذين يتوقفان على ذبذبة الوترين الصوتيين في المجهور وانعدامها في المهموس[*].

3 - الإطباق (التفخيم) والانفتاح (الترقيق):

حدد علماء العربية القدماء مفهوم الإطباق، بانحصار الصوت بين اللسان وما يحاذيه من الحنك، نتيجة لانطباق اللسان على الحنك، يقول ابن جني معرفا الإطباق: « أن ترفع ظهر لسانك

[1] - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج4، ص 69.

[*] - انظر مفهوم مصطلحي (الانفجاري، الاحتكاكي) (المركب)، ص96 من هذا البحث.

[2] - سيبويه: الكتاب، ج4، ص 434.

[3] - المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

[4] - المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

[*] - للوقوف على مفهومي المجهور والمهموس عند اللغويين المحدثين نحيلك على ص112 من هذا البحث.

إلى الحنك الأعلى مطبقا له»[1]، ويبلغ عدد الحروف المطبقة كما حددها أسلافنا بأربعة حروف هي: الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، أما الخليل فقد سمى الحروف المطبقة بالمستعلية، في حين أطلق وصف الإطباق على الميم وحدها[2]، أما علماء اللغة المحدثون فقد سووا بين مفهومي الإطباق والتفخيم « فالتفخيم أو الإطباق، وصف لصوت لا ينطق في الطبق وإنما ينطق من مكان آخر، وتصحبه ظاهرة عضلية في مؤخر اللسان »[3]. والأصوات المطبقة (المفخمة) عند اللغويين المحدثين هي نفسها عند علماء العربية القدماء.

فرّق تمام حسّان بين مصطلحي الإطباق (Vélarisation) والطبقية (Velar articulation) فهو القائل: «فالطبقية ارتفاع مؤخرة اللسان، حتى يتصل بالطبق، فيسد المجرى، أو يضيقه تضييقا، يؤدي إلى احتكاك الهواء بها في نقطة التقائهما، فهي إذن حركة عضوية مقصودة لذاتها، يبقى طرف اللسان معها في وضع محايد. أما الإطباق فارتفاع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق، بحيث لا يتصل به، على حين يجري النطق في مخرج آخر غير الطبق، يغلب أن يكون طرف اللسان أحد الأعضاء العاملة فيه»[4].

أما مفهوم الحروف المنفتحة أو المرققة فقد حدده سيبويه بقوله: «والمنفتحة: كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنّك لا تطبق لشيء منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى»[5]، وتنطق الأصوات المنفتحة أو المرققة عند علماء الأصوات المحدثين بانخفاض مؤخرة اللسان.

4 - الاستفال والاستعلاء:

تتصف الأصوات بهاتين الصفتين تبعا لوضعية اللسان من الحنك الأعلى، فإذا صعد اللسان نحو الحنك الأعلى اتصفت الأصوات بالاستعلاء، أما إذا انخفض اللسان عن الحنك الأعلى وصفت الأصوات بالاستفال، يعرف رضي الدين الاستراباذي (ت 686هـ) الحروف المستفلة بقوله:

---

[1] - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 70.

[2] - مهدي، المخزومي: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص 123.

[3] - رمضان، عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 38.

[4] - تمام، حسان: مناهج البحث في اللغة، دار المعارف، القاهرة، (د، ط)، 1955، ص 89.

[5] - سيبويه: الكتاب، ج4، ص 436.

« ... ما ينخفض معها اللسان ولا يرتفع وهي كل ماعدا المستعلية »[1].

أما الحروف المستعلية فهي التي تنتج عن صعود اللسان نحو الحنك الأعلى، ويحددها ابن جني بقوله: « فأربعة فيها مع استعلائها إطباق، وقد ذكرناها، وأما الفاء والغين، والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها، وهي سبعة: الغين، الفاء، القاف، الصاد، والطاء، والضاد، والظاء»[2].

يؤكد اللغويون المحدثون على أن الاستعلاء أو التفخيم لا يعدو أن يكون كل منهما صفة تقوي الصوت اللغوي، يقابلهما الاستفال والترقيق.

5 - الذلاقة والإصمات:

ترتبط هاتان الصفتان بسهولة نطق الأصوات العربية، أو تعذر النطق بها، فقد لاحظ الخليل ومن سلك مسلكه، أن بعض الحروف أكثر انطلاقا على اللسان، من بعضها الآخر، ويجمع تلك الأصوات قولنا (مر بنفل)، فثلاثة منها تسمع من تحرك ذلق اللسان، وهي: الراء واللام والنون، وثلاثة أخرى تسمع من تحرك الشفتين وهي: الفاء والباء والميم.

لا ترتبط ذلاقة تلك الأصوات بمخارجها وحسب، بل بسهولة نطقها، وهذا ما أوضحه إبراهيم أنيس بقوله: « فذلاقة اللسان كما تعلم جودة نطقه، وانطلاقه في أثناء الكلام »[3].

ويطلق مصطلح الإصمات على الأصوات المخالفة لأصوات الذلاقة، يقول الخليل معرفا الحروف المصمتة: « إنما سميت مصمتة، لأنّها أصمتت، فلم تدخل الأبنية كلها، وإذا عريت من حروف الذلاقة، قلّت في البناء، فلست واجدا في جميع كلام العرب خماسيا بناؤه بالحروف المصمتة خاصة، ولا كلاما رباعيا كذلك »[4].

6 - الصفير:

صفة وصف بها علماء القراءات ثلاثة أحرف وهي: السين، الزاي، الصاد.

والصفير هو: «صوت يشبه صفير الطائر، يحدثه الهواء الخارج من الفم عند النطق بحروف

[1] - الاسترابادي، رضي الدين: شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادي، حقيق وضبط وشرح: محمد نور الحسن وآخران، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ط)، 1982، ج3، ص 262.

[2] - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 72.

[3] - إبراهيم، أنيس: الأصوات اللغوية، ص 109.

[4] - مهدي، المخزومي: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص 119.

الصاد والسين والزاي»[1].

أما المحدثون من علماء الأصوات اللغوية، فإنهم « يجمعون كل الأصوات التي تحدث في نطقها ذلك الحفيف أو الصفير عاليا كان أو منخفضا في صعيد واحد، فالأصوات التي يسمع لها صفير واضح في رأي المحدثين هي: ث – ذ – ز – س – ش – ص – ظ – ف»[2].

7 - الصحـــة والاعتـــلال:

قسم الخليل الحروف العربية بحسب صفاتها إلى حروف علة وأخرى صحاح؛ فالحروف المعتلة متغيرة من حال إلى حال عند النطق بها، ضمن تركيب لغوي، وتشمل عند الخليل: الهمزة والألف والواو والياء، أما الحروف الصحاح فهي التي لا تتغير مهما تقلبت في استعمالاتها، وتتمثل في بقية الحروف العربية.

8 - التفشـــي:

صفة أطلقها علماء العربية القدماء على صوت الشين «وصف سيبويه صوت الشين بالتفشي، وذلك لأنّ هواء النفس معها لا يقتصر في تسربه إلى الخارج، على مخرجها، أي من الفراغ الذي بين العضوين المتصلين في حالة الشين، بل يتوزع في جنبات الفم»[3].

9 - الانحـــراف:

أدرك علماء العربية القدماء هذه الصفة، قال عنها ابن جني: «ومن الحروف حرف من حرف لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت، وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عند اعتراضها على الصوت، فيخرج الصوت من تينك الناحيتين، وما فويقهما، وهو اللام»[4]. عرف علماء العربية المحدثون مفهوم الانحراف، لكن استبدلوه بمصطلح الجانبية.

10 - التكـــرار:

يقول سيبويه بشأن صفة التكرار: «المكرّر وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره»[5]. والصوت الموصوف بالتكرار هو الراء.

---

[1] – إبراهيم، أنيس: الأصوات اللغوية، ص 74.

[2] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – المرجع نفسه، ص 118– ص 119.

[4] – ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 72.

[5] – سيبويه: الكتاب، ج4، ص 435.

11 - الغنـــة:

وصف علماء العربية القدماء صوتي الميم والنون بالغنّة « ألا ترى أن سيبويه ذكر في حالة النون والميم أن الاعتماد لهـــا يكـــون في الفـــم والخياشـــيم »[1]. يقـــول ســـيبويه: « فإنمـــا تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصـــوت. وهو النون، وكذلك الميم »[2].

جدول صفات الحروف عند القدماء والمحدثين

صفات الحروف	سيبــويـــه	ابن جنـــي	في العصر المحدثون
الشديدة (8)	ء، ق، ك، ج، ت، د، ط، ب.	ء، ق، ك، ج، ط، د، ت، ب،	
الانفجارية (8)			ب، د، ت، ط، ض، ك، ق، ء.
الرخـــوة (13)	هـــ، ح، غ، خ، ش، ص، ض، ز، س، ظ، ث، ذ، ف	هـــ، ح، غ، خ، ش، ص، ض، ز، س، ظ، ث، ذ، ف	
الاحتكاكية (13)			ف، ث، ذ، ظ، س، ز، ص، ش، خ، غ، ح، ع، هـــ.
مـــا بـــين الشـــدة والرخاوة (6)	ع	ا، ع، ي، م، ل، ن، ر، و.	و، ي، ل، ر، م، ن.
الانفجارية الاحتكاكية (المركبة) (6)			و، ي، ل، ر، م، ن.
المجهورة (19)	ء، ا، ع، غ، ف، ج، ي، ض، ل، س، ر، ط، د، ز، ظ، ذ، ب، م، و.	ء، ا، ع، غ، ف، ج، ي، ض، ل، ن، ر، ط، د، ز، ظ، ذ، ب، م، و.	
المجهورة (15)			ب، ج، د، ذ، ز، ر، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن، و، ي.
المهموسة (10)	هـــ، ح، خ، ك، ش، س، ت، ص، ث، ف.	هـــ، ح، خ، ك، ش، س، ت، ص، ث، ف.	
المهموسة (13)			ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ظ، ف، ق، ك، هـــ، ء.
المطبقة المفخمة (4)	ص، ض، ط، ظ.	ص، ض، ط، ظ.	ص، ض، ط، ظ.
المنفتحة المرققة	ا، ب، ت، ث، ج، د، ذ، ح، خ، ع، غ، ف، ق، ك،	أ، ب، ج، ح، خ، ط، ظ، ز، ر، س، ش، ع، غ،	ا، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س،

[1] – إبراهيم، أنيس: الأصوات اللغوية، ص 124.

[2] – سيبويه: الكتاب، ج4، ص 435.

	ل، م، ن، هـــ، و، ي، ز، س، ش.	ف، ق، ك، ل، م، ن، هـــ، و، ي، ن، ث.	ش، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـــ، و، ي.
المستعليـــة (7)		غ، ف، ق، ض، ط، ص، ظ.	ا، غ، ف، ق، ض، ط، ص، ظ.
المنخفضة		غير المستعلية	غير المستعلية.
الصحيحة (25)		ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـــ.	ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـــ.
المعتلّة (3)		الألف، الياء، الواو	الألف، الياء، الواو
التفشي (1)	ق		
الانحراف (الجانبي) (1)	ل	ل	ل
التكرار (1)	ر	ر	ر
الغنـــة (2)	م، ن.	م، ن.	م، ن.
الصفير	س، ز، ص.	س، ز، ص.	ث، ذ، ز، س، ش، ص، ظ، ف.
الذلاقة (6)	ر، ل، ن، ف، ب، م.	ر، ل، ن، ف، ب، م.	
الإصمات	غير الذلقية	غير الذلقية	

ما استقصاؤنا جوانب من الأصوات اللغوية العربية (إنتاجا وتركيبا) إلاّ قصد الإحاطة الدقيقة بمعاييرها، بغية استثمارها في صفحات الفصل الأخير والموسوم بـــ (عيوب النطق من خلال البيان والتبيين).

الفصل الثالث:

عيوب النطق في البيان والتبيين

المبحث الأول : عيوب النطق في ظل نظرية البيان.

▪ تمهيـــد:

اعتنى المتكلمون عموما والمعتزلة خصوصا بمباحث البيان وقضاياه، منذ النشأة الأولى لهم، لما لهذا البيان من دور في وجودهم، كفرقة دينية يرتكز أساسها على الدعوة والجدل والمناظرة واللدد ومقارعة حجج الخصوم. لعل أبا عثمان الجاحظ أوّل من وضع كتابا في البيان، جمع فيه أقوال وآراء المتقدمين والمعاصرين له، من عرب وعجم، فلم يكن مجرد جامع فقط، بل كان إضافة إلى الجمع محللا ومناقشا، مفندا حينا، ومؤكدا آخر، شأنه في ذلك شأن زملائه المتكلمين الذين يحتكمون إلى سلطة العقل؛ رغم ما عيب على منهج الجاحظ من: «أن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه ومنتشرة في أثنائه، فهي ضالة بين الأمثلة، لا توجد إلاّ بالتأمل الطويل والتصفح الكثير»[1].

تعددت مناحي البيان عند الجاحظ، من ديني؛ أصّل الجاحظ من خلاله للبيان بالعودة إلى نصوص قرآنية، وأحاديث نبوية؛ لينتهي إلى إثبات أن الأمة العربية أمة بيان، وأن مكمن عبقريتها في لسانها؛ ولهذا نزل القرآن الكريم بوصفه كتابا سماويا معجزا، في الأمة العربية دون سواها من الأمم، أما المنحى الثاني فهو مذهبي؛ فالمعتزلة بوصفها فرقة أو مذهبا دينيا اعتمد العقل ومقارعة الحجة بالحجة، واللسن واللدد، كان الجاحظ –وهو المعتزلي– يتصيد الحجج الدامغة والأدلة البيِّنة للرد على مطاعن الشعوبية، التي دأبت على الانتقاص من قيمة العرب البيانية حسدا من عند أنفسهم.

أما المنحى الثالث للبيان، فهو المنحى الأدبي والفني الذي يرتبط بموضوع عيـــوب النطـــق ارتباطا وشيجا؛ إذ ما كان للجاحظ أن يدرس موضوع عيوب النطق لو لم يتحدث عن الخطابة –بوصفها معلما بيانا–؛ فقد استوقفه أحد أشهر خطباء ذلك الزمن وهو واصل بن عطاء الـــذي كانت تعرض له لثغة في حرف كثير الدوران في الكلام وهو حرف الراء، وصف أبـــو عثمـــان الجاحظ لثغته بالقبح والشناعة والفحش[2]. وبالتالي ما عيوب النطق التي درسها الجاحظ في مدونته إلاّ صور معيبة للبيان؛ سواء انصرف هذا البيان إلى مدلوله العـــام وهـــو الوضـــوح والإبانـــة،

---

1 – أبو هلال، العسكري: كتاب الصناعتين، ص5.

2 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 13- ص15.

أم المدلول الخاص، ونعني به اللغة في أسمى مراتب الفنية والجمال.

ما من نظرية إلاّ ولها أبعادها وأركانها التي ترتكز عليها؛ فما هي أسس نظرية البيان، في منحاها الأدبي والفني يا ترى ؟

أولا: المنحى الأدبي والفني للبيان عند الجاحظ:

1 - مفهـــوم البيـــان:

ساق أبو عثمان الجاحظ تعريفا جامعا مانعا للبيان، فهو «اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع»[1]، استنطاقا لهذا التعريف يتبين بأن للبيان مدلولين اثنين:

أما المدلول الأوّل فما اشتركت فيه عامة الناس الذين يتوحدون في مجتمع لساني ما ...

في حين ينصرف المدلول الثاني للبيان إلى البيان ذي المنحى الفني الجمالي الذي لا يصدر إلا عن الخاصة، ولا يتوجه إلا إليها.

وفي سياق ذي صلة بالتعريف السابق يربط أبو عثمان الجاحظ بيانه بالدلالة، في قوله: «والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان، الذي سمعت الله -ﷻ- يمدحه ويدعو إليه ويحث عليه»[2].

ربط التعريف السابق البيان بالدلالة على المعنى التي أجملها أبو عثمان الجاحظ في أصناف البيان، حينما قال: «وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد؛ أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العَقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة، والنصبة هي الحال الدالة، التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات »[3].

قسم أبو عثمان الجاحظ -استنادا لهذا التعريف- أصناف الدلالات على المعاني إلى نوعين

---

1 – المصدر السابق، الجزء السابق، ص 55.

2 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

3 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص56 .

هما:

أ – **دلالات لفظيــة**: تتضمنها العلامات اللّسانية؛ فهي متعلقة باللغة وقضاياها، سواء على مستوى الكلمة أو على مستوى التركيب، والمقصود بالدلالة أن تكون الكلمة متكونة من أصوات وحروف دالة على معنى معين، لتطلق هذه الدلالة على اللفظ الحامل لهذا المعنى، وتنحصر هذه الدلالات في: اللفظ، الخط.

ب – دلالات غير لفظية: تمثل علامات غير لسانية؛ تخصص علم الإشارات (Sémiologie) في دراستها من جميع الجوانب، رتب أبو عثمان الجاحظ هذه العلامات، بقوله: « الإشارة ثم العقد ثم الحال التي تسمى نصبة »[1].

ولارتباط عيوب النطق باللفظ المنطوق لا الخط، هذا من جهة، ومن جهة أخرى دوران عيوب النطق في فلك الخطابة، فبالنظر لهذين الاعتبارين، تركز حديثنا على **اللفظ** بوصفه صنفا من أصناف الدلالات اللفظية أو اللسانية، ثم **الإشارة** –لارتباطها بالخطابة– باعتبارها صنفا غير لفظي أو غير لساني.

أ- 1– **اللفــظ**: ما اللفظ في حقيقة أمره إلا مجموعة أصوات تخرج من الفم بفضل حركات اللّسان والفكين والشفتين، تأتلف مقاطع ثم كلمات ثم جملا منثورة أو موزونة، وهو ما يدلّ على خاصيتين ملازمتين للفظ، وهما الخاصية الصوتية المرتبطة بالخاصية الفيزيولوجية ممثلة في اللسان بوصفه أداة أو آلة الصوت.

أ – **الصــوت**: عرّفه أبو عثمان الجاحظ فقال: « هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللّسان لفظا، ولا كلاما منثورا ولا موزونا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف »[2]، يبين هذا التعريف علاقة الصوت باللفظ؛ فالصوت هو المادة الخام التي يتشكل منها اللفظ؛ بل كل كلام موزون أو منثور، وكلها تتأدى بواسطة حركات اللسان التي تقوم بتقطيع الصوت على مستوى مخارج معينة، يتحدد وفقها اللفظ، الذي يتدرج إلى أن يصبح كلاما هو البيان في أسمى مراتبه الجمالية، إما نثرا أو شعرا.

---

1 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص56.

2 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص69.

سنّ أبو عثمان الجاحظ للصوت شروطا لا يتم دونها البيان؛ كأن يكون مجهورا، مكملا للحروف مع فصاحتها، موزونا وسهل المخرج، نجد هذه الشروط متضمنة في قوله « وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة، وإلى ترتيب ورياضة، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة، وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق، وتكميل الحروف وإقامة الوزن، وأن حاجة المنطق إلى الحلاوة والطلاوة، كحاجته إلى الجزالة والفخامة، وأن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب، وتثنى به الأعناق، وتزين به المعاني »[1].

وكان يعد بُعْدُ الصوت وجهارته مقياسا من مقاييس الجمال عند الأعراب؛ «قيل لأعرابي: ما الجمال ؟ قال: طول القامة، وضخم الهامة، ورحب الشدق وبعد الصوت»[2]، تدل رحابة الأشداق -بوصفها سمة فيزيولوجية لها علاقة بجهاز النطق- على أن صاحبها ذو صوت مجهور بعيده.

1 - **اقتران الحروف**: ما من لغة من اللغات؛ إلا ولها حروفها الخاصة بها التي تتشكل منها أبجديتها ومن ثمة لغتها، وتختلف الأبجديات باختلاف اللغات.

تستقل كل لغة بحروف تميّزها عمّا سواها، لاحظ الجاحظ نقلا عن الأصمعي (ت 216هـ): «ليس للروم ضاد، ولا للفرس ثاء، ولا للسرياني ذال»[3]، كما تبين له كثرة دوران حرف دون سواه في كلام قوم دون قوم «كنحو استعمال الروم للسين واستعمال الجرامقة للعين»[4].

يحدث اقتران الحروف فيما بينها بالنظر إلى اعتبارين اثنين هما: مخرج الحرف وصفته أي ضرورة تجنب الجمع بين الحروف المتنافرة بسبب قرب المخرج والصفة قربا شديدا أو البعد بعدا شديدا تجنبا للتنافر، واقترابا من الانسجام والتوافق فيما بينهما. ترصد أبو عثمان الجاحظ مجاميع الحروف المتنافرة، حصرها في الآتي:

- « الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف، ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا بتأخير.

---

1 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص14.

2 - المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 85.

3 - المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 48.

4 - المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

- الزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا بتأخير»[1].
- يدل ترصد الجاحظ، للمجاميع الحرفية السابقة، على حسّه اللغوي الرفيع؛ إذ تمكّن من تذوق الحروف، وأدرك تنافرها في اجتماع بعضها ببعض.

أدرك أبو عثمان مدى أهمية فكرة تنافر الحروف فيما بينها، علّق على هذه الأهمية قائلا: «وهذا باب كبير، وقد يكتفي بذكر القليل حتى يُستدل به على الغاية التي إليها يجري»[2].

2 - **اقتـــران الألفـــاظ**: يقصد به الكلام الذي لا تتنافر أجزاؤه، ولا تتباين ألفاظه فـــ«حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر، تراها متفقة ملسا ولينة المعاطف سهلة ... لينـــة ورطبـــة مواتية، سلسة النظام خفيفة على اللّسان، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد»[3]، يستدل من هذا التعريف على أن منشأ اقتران الألفاظ فيما بينها استيفاؤها جملة من المقاييس النّقدية كاتفاق الحروف فيما بينها وســـهولة مخرجهـــا، وسلاسة انتظام حروفها ومن ثمة خفتها على اللسان؛ لهذا كان أجود الشعر «مـــا رأيتـــه متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه قد أفرغ إفراغا واحدا، وســـبك ســـبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان»[4]، لينأى بذلك اقتران الألفاظ فيما بينها عن كل سماجة وتكلف واستكراه وإلا لـــ «كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات...، وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضيا موافقا، كان على اللّسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة»[5]. مثّل أبو عثمان الجاحظ للتنافر الحاصل بين الألفاظ بقول الشاعر:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ ∴ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ[6].

لعل تنافر ألفاظ هذا البيت متأت من تقارب مخارج وصفات حروف الألفاظ تقاربا شديدا، أو تباعدها تباعدا شديدا، والحروف الأكثر ترددا في البيت السابق هي: القاف، الباء والراء، كما أن تنافرها متأت من تشاكلها (اتفاقها في الشكل) (قَبْرْ - قَفْرْ، حَرْبْ - قُرْبْ)، كما

---

1 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 51.

2 - المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

3 - المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 50.

4 - المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

5 - المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 49 .

6 - المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص48. البيت من السريع، مجهول قائله.

أنها تشترك في الصيغة الصرفية ذاتها فـــ:قَبرٌ وقَفْرٌ وحَرْبٌ على وزن فَعْلٌ، أما قُرْبَ فعلى زون فُعْلَ، مما أدى إلى تعذر إنشاد هذا البيت «ثلاث مرّات في نسق واحد فلا يتتعتع ولا يتلجلج»[1]، منشده، حتى ادّعى بعض من سمع تعذّر إنشاده، بأنه من أشعار الجنّ.

ب – **اللســـان:** هو الجارحة أو العضو الذي يؤدّى بواسطته اللفظ المنطوق، نوّه أبو عثمان بأهميته، قال على لسان خالد بن صفوان: « ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة»[2]، فلولا اللسان بوصفه جارحة اللّغة المنطوقة، لكان الإنسان في عداد البهائم، أو مجرد صورة خرقاء جوفاء لا لب لها. فبفضل هذا اللسان ثم نقل تراث الأمة العربية وغيرها من الأمم، على شكل مرويات بواسطة اللسان أولا، ثم دوّنت بواسطة الخط ثانيا، يقتصر اللسان في أداءه وظيفة التواصل على الحاضر دون الغائب وعلى الزمان لا المكان «... وقالوا اللسان مقصور على القريب الحاضر ... واللسان لا يعدو سامعه، ولا يتجاوزه إلى غيره»[3]. بخلاف الخط وأداته القلم، فـــ «القلم مطلق في الشاهد والغائب، وهو للغابر الحائن، مثله للقائم الراهن»[4].

ويمكن إجمال الفروق بين اللسان والخط (القلم) فيما يأتي:

- تتصف العلامة الصوتية بالتتابع الصوتي والزمني، بينما تتميّز العلامة الخطية بالتتابع المكاني، وهذا ما عبر عنه أبو عثمان بقوله: « القلم أبقى أثرا واللسان أكثر هذرا»[5]، غير بعيدا عن هذا السياق نبه البيروني إلى أهمية القلم فقال: «فمن أين لنا العلم بأخبار الأمم لولا خوالد آثار القلم»[6].
- التتابع الصوتي غير قابل للإرجاع والاستدبار، بينما التتابع الخطي قابل لهما؛ لأن: « استعمال القلم أجدر أن يحضّ الذهن على تصحيح الكتاب، من استعمال اللسان على تصحيح الكلام»[7].

---

1 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 48.

2 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 234.

3 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 58.

4 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

5 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

6 – البيروني: في تحقيق ما للهند من مقولة، ص1.

7 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص58.

- يحقق التتابع الخطي التثبت في الكتابة، ليضمن البقاء المادي للرسالة المكتوبة، فتتجاوز بذلك حدي الزمان والمكان، وهو مالا يتاح للتواصل الشفوي؛ فــ «الكتاب يقرأ بكل مكان ويدرس في كل زمان، واللسان لا يعدو سامعه ولا يتجاوزه إلى غيره»[1].

ب - 1 - **الإشـــارة**: تصدر عن الجوارح من يد ورأس وعين وحاجب ومنكب ... الخ، ليعبر الإنسان بواسطتها عن مقاصده وحاجاته، أدرجها أبو عثمان الجاحظ ضمن أصناف الدلالات غير اللفظية؛ يقول أحد الكتاب: « فمن حيث أن الإشارة لغة من لغات البيان، فإن أداتها من أعضاء الجسم كالحواجب والأجفان والشفاه والأعناق والأيدي وقسمات الأوجه، وغير ذلك، مما يعبر بالحركة عن حاجة النفس، ومكنوناتها، إلا أن أثرها لا يتجاوز حدود عين الناظر »[2]، يقول الجاحظ: « قد قلنا في الدلالة باللفظ، فأما الإشارة فباليد وبالرأس، وبالعين، والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان، وبالثوب وبالسيف »[3]،تدل الفقرة على أن الإشارة لا تقتصر على حركة الجوارح، بل تتعداها إلى الاستعانة ببعض الأدوات كالسيف، العصا، المخصرة والقسيّ، وحتى تتم المنفعة المرجوة، قرن أبو عثمان الإشارة بشرط الحضور، فهي « تجعل الخفي منها ظاهرا، والغائب شاهدا والبعيد قريبا »[4].

ومن الدلالات التي يمكن للإشارة أن تؤديها الخوف، استنادا للإشارة الواردة في قول الشاعر:

أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خِيْفَةَ أَهْلِهَا إِشَارَةَ مَذْعُورٍ وَلَمْ تَتَكَلَمِ
فَأَيْقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَبًا وَأَهْلاً وَسَهْلاً بِالْحَبِيبِ الْمُتَيمِ[5].

فالإشارة بطرف العين دلالة على الخوف من افتضاح عاطفة الحب، التي لا يجب الانسياق وراءها، إلا بشروط سنتها الشريعة وأقرّها العرف، لعل دلالة الإشارة بطرف العين، هي ما عناه الجاحظ بقوله: « ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب البتة»[6].

البتة»[6].

1 – المصدر السابق، الجزء السابق، الصفحة السابقة.

2 – ميشال، عاصي: مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1974، ص 45.

3 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 56- ص 57.

4 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 55 .

5 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 57 . البيتان مجهولا النسبة، وهما من بحر الطويل.

6 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

إضافة إلى الدلالة السابقة، يمكن للإشارة أن تؤدّي الدلالة على معنى الإيجاز والاختصار، أي الإيجاز في القول والاقتصاد في الكلام، وهي من صفات المتحدث البليغ، اعتبارا أن من معاني «البلاغة: الإيجاز في غير عجز»[1]، وعادة ما يعرف البليغ مواطن الكلام ومواطن الصمت، كما يمكن للإشارة أن تؤدي الدلالة على معاني: تمثيل الدلالات من أجل تقريبها إلى أذهان الحاضرين، ولفت الانتباه، وإثارة الاهتمام.

وما ألصق الدلالات السابقة للإشارة، بجنس الخطابة!؛ فالخطيب يتوسل بالإشارة قصد توخي غايات كتمثيل المعاني من أجل تقريبها إلى أذهان المستمعين، إثارة اهتمامهم ولفت انتباههم للمعاني المقصودة.

واستيفاء لما تقوم به الإشارة من دلالات على المعاني، لم يفوِّت أبو عثمان الجاحظ فرصة التنويه بأهميتها: «والإشارة واللفظ شريكان، ونعْم العون هي له، ونِعْمَ الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، ... وبعد، فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة، وحلية موصوفة على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها»[2].

لم نكن لنترصد في صفحاتنا السابقة كل أبعاد المنحى الفني الجمالي للبيان، بل اقتصرنا على ماله علاقة بموضوع البحث، فالخاصية النطقية لموضوع عيوب النطق، ألزمتنا التوقف بالدراسة عند صنف من أصناف الدلالات اللّسانية، ونقصد به صنف اللفظ، الذي أحالنا على خاصية فيزيائية، وهي الصوت، وخاصية فيزيولوجية هي جارحة اللسان.

درس أبو عثمان موضوع عيوب النطق في سياق الحديث عن فن الخطابة، استدعى منّا هذا الأمر التوقف عند صنف آخر من أصناف الدلالات غير اللسانية، وهو الإشارة لما لهذه الأخيرة من أهمية عند الخطيب.

ما يمكن الإشارة إليه في ختام هذا المبحث، أن مواضيع ومصطلحات البيان كانت ضالة مبثوثة بين أجزاء المصنف ككل؛ فاستطراد الجاحظ حال دون احتكام مواضيعه إلى سير منهجي مضبوط؛ فولّد لدينا المتعة؛ متعة البحث؛ وعناءه، ولم تكن صفحات مدوَّنة بحثنا لتنجو من هذا الاستطراد، الأمر الذي اقتضى منا عدم الاكتفاء باستنطاق صفحات مدونة البحث فحسب، إذ تجاوزناها، فاستعنا بتصفح تصانيف أخرى غير (البيان والتبيين) كـ(الحيوان) مثلا، حتى نحقق

---

1 – المصدر السابق، الجزء السابق، ص70.

2 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

الإفادة المرجوة.

المبحث الثاني : عيوب النطق من خلال مدونة « باب الحروف التي تدخلها اللثغة وما يحضرني منها »

تضمنت نظرية البيان التي أسس دعائمها أبو عثمان الجاحظ، من ضمن ما تضمنت، رصد التنوعات اللغوية المعيبة، التي شكلت في مجملها صورة مشوهة قبيحة للبيان، ويعد ما اصطلحنا على تسميته بعيوب النطق إحداها، وما كان لمدونة البحث المذكورة أعلاه أن تحصر لوحدها عيوب النطق؛ فقد وجدناها مبثوثة بين تضاعيف (البيان والتبيين) كله، بل تتوزعها بعض صفحات تصانيف أخرى كـــ(الحيوان) – لا الحصر–؛ ذلك أن أبا عثمان لم يلزم نفسه كثيرا بالصرامة المنهجية، رغم وعيه الكبير بضرورتها، لهذا لم يجد أيّ حرج في التصريح بما يأتي: «فإن وجدتَ فيه خللا من اضطراب لفظ ومن سوء تأليف أو من تقطيع نظام ومن وقوع الشيء في غير موضعه، فلا تنكر ذلك ...»[1].

واكبت الفوضى في المنهج، فوضى المصطلح؛ إذ وظف أبو عثمان لفظة **الآفات**، حينا ولفظة **الخلّة** حينا آخر، للدلالة على العيوب السابقة، فهو القائل: «ثم رجع بنا القول إلى الكلام الأوّل فيما يعتري اللسان من ضروب الآفات»[2]، وفي سياق كلامي آخر يورد أبو عثمان لفظة **الخلّة:** « من لم يجد مس الجهل في عقله، وذل المعصية في قلبه، و لم يستبن موضع **الخلّة في لسانه، عند كلال حده، عن حد خصمه، فليس ممن يترع عن ريبة »**[3].

لقد تداول أبو عثمان اللفظتين (**آفات، خُلّة**)، لا بمدلوليهما الاصطلاحيين، بل كان توظيفه لهما، أقرب ما يكون إلى الدلالة اللغوية التواضعية؛ إذ وظفهما من باب الترادف لا غير، فمدلولاهما الاصطلاحيان لم يستقرا بعد؛ لأنهما ما زالا في طور النشأة لا النضج.

لا يمكن إيفاء موضوع البحث حقه من الدراسة المتأنية، دون معالجة قضايا نراها على درجة قصوى من الأهمية، تتمثل فيما يأتي:

---

1 – الجاحظ: الحيوان، ج4، ص 209.

2 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 43.

3 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 58.

-دراسة بعض عيوب النطق: اللثغة وللكنة واللحن.

- علاقة جهاز النطق بالعيوب النطقية وطرائق علاجها.

- منهج الجاحظ في دراسة عيوب النطق.

- منقولات الجاحظ عن العرب والأعاجم.

ستكون خاتمة المبحث تذييلا لعيوب النطق في جداول تصنيفية توضيحية؛ سنورد لكل عيب نطقي تعريفه وشاهده ومثاله ومرجعيته من (البيان والتبيين)؛ وفق التصنيف الثلاثي الآتي:

- عيوب نطق ذات منشأ فسيولوجي.

- عيوب نطق عارضة يمليها مقام معين.

- عيوب نطق شاعت على ألسنة الأعاجم.

أولا: دراسة بعض عيوب النطق.

1 - **اللثغــة**: تمثل النّوع الأوّل الذي تصدر مدونة البحث، لم يقم أبو عثمان الجاحظ بتعريفها، فقد اكتفى بذكر حروفها الأربعة المتمثلة في: **القاف والسين واللام والراء**.

- فاللثغة التي تعرض للسين تكون ثاء؛ كقولهم لأبي يكسوم: أبي يكــ**ثوم**، بــ**ثــ**رة، إذا أرادوا بسرة، وبـــ**ثـــ**م الله إذا أرادوا بسم الله.

- اللثغة التي تعرض للقاف، تكون طاء كقولهم: **طــ**لت له بدل قلت له، و**طـــ**ال بدل قال.

- اللثغة التي تعرض للام تكون ياء، كقولهم اعتـــ**ييـــ**ت بدل اعتللت، وجمـــ**ي** بدل جمل، وتكون كافا كالذي عرض لعمر أخي هلال، قال **مكعكة** في هذا ؟ بدل ما العلة في هذا؟[1]

- أما لثغة الراء فيتضاعف عدد الحروف التي تعرض لها؛ فتكون ياءًا كقولهم عمي بدل عمرو، وترد الراء ملثوغة في صورة عمغ، عمذ وأخيرا عمظ.

ساق أبو عثمان الجاحظ قول الشاعر:

واسْتَبَدَّتْ مَرْةً وَاحِدَة ∴ إنَّمَا العَاجزُ مَنْ لاَ يَسْتَبِدْ[2].

---

[1] - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 28- ص 29.

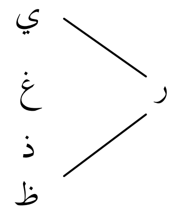
[2] - المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص29، البيت من الرمل، لعمر بن أبي ربيعة.

ترد الراء ملثوغة في أربع صور هي: **مذة ومظة ومغة ومية**.

ما ميّز اللثغ السابقة أن حروفها الأربعة تتأدّى بواسطة اللسان ويصورها الخط، ويمكن أن نتمثلها رمزيا كالآتي:

س > ث   ل > ي / ك

ق > ط



أما النوع الثاني من اللثغة فما يتأدى بواسطة اللسان، وليس لسبيله خط، وإنما يُرى بالعين، حصره الجاحظ في حرفين اثنين هما[1]:

- **الشين المعجمة**: كانت تعرض **لمحمد بن الحجاج**، قارب أبو عثمان مخرج هذه اللثغة بحرف من حروف الزمزمة التي تخرج من فم المجوسي.

أما الحرف الثاني لهذا النوع من اللثغ فهو **الراء**، يخرجه واصل بن عطاء بتشويه مخرج الراء؛ فهو يتساوى في تشويهه مع مخرج الشين المعجمة.

من الناس من تجتمع بلسانه لثغتان في حرفين؛ **فَشَوْشَى** صاحب عبد الله بن خالد الأموي، كان يجعل اللام والراء ياءًا. قال: **موياي ويي إيي** يريد مولاي ولي الري[2]، ولئن لم يقدم أبو عثمان الجاحظ تعريفا للثغة، وإنما اكتفى بذكر حروفها وصورها الإبدالية؛ فهذا العرض يؤدي بنا إلى الانتهاء إلى أن اللثغة لا تعدو أن تكون إحلال صوت مكان آخر، أو إبدال صوت من صوت غيره؛ بمعنى الانتقال من مخرج إلى غيره، يتبع هذا الانتقال بالضرورة تغير في الدلالة؛ ذلك أن الصوت يمثل وحدة دلالية؛ إذا ما تغير موقعه تغيرت دلالته بالضرورة، وهذا يعني أن الصوت المبدل لا يوجد في النظام الصوتي للألثغ، أما لثغة شَوْشَى فتمس إبدال وحدة صوتية بوحدتين أخريين، مما يتبعه تغير في المعنى أيضا. فمرد الاختلاف في المعنى بين هذه الثنائيات (رجع – وجع)، (رخيم، رجيم)، (رجم وجم)، (رد، ود) مثلا، يكمن في إحلال وحدة صوتية دلالية مكان أخرى.

---

[1] – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص30.

[2] –المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

أما النوع الثاني من اللثغة، فكما كان يعتري لسان واصل بن عطاء، من لثغة حاصلة على مستوى الراء، وكذا لثغة محمد بن الحجاج الحاصلة على مستوى الشين المعجمة، فهذا النوع لا يخص إبدال وحدة صوتية مكان أخرى، وإنما منشؤه تشويه يمس مخرجي الراء والشين، يتبعه تشويه للدلالة:

ويمكن أن نتصور التشويه الحاصل على مخرج الراء في نطق واصل لها، فالراء عادة ما تنتج عن تكرار ضربات اللسان على اللثة تكرارا متسارعا؛ فهي صوت لثوي مكرر، أما واصل فيتصور أنّه يشوه مخرجها بأن يثني اللسان إلى أعلى سقف الحنك وإلى داخله، فتتكرر ضرباته ليس على مستوى اللثة، وإنما على مستوى الحنك الصلب (وسطه) فهذا التشويه في إخراج الراء من غير مخرجها، ترتب عليه أثر سمعي شنيع وقبيح وبشع.

أما التشويه الحاصل على مستوى حرف الشين المعجمة في إخراج محمد بن الحجاج له، فيمكن مقاربته على النحو الآتي: مخرجه عند اللغويين القدماء هو ظهر اللسان، ووسط الحنك، وعند المحدثين مخرجه هو الغار ومقدم اللسان، ولهذا يكاد يتوحد مخرج الشين المعجمة عند اللغويين القدماء والمحدثين، شوّه محمد بن الحجاج مخرج الشين المعجمة، إذ انثنى لسانه إلى أعلى وإلى الداخل، والتقى طرف اللسان بالحنك الصلب (وسط الحنك)، وبالتالي خرج الحرفان الملثوغان من مخرج واحد، واختلفا في الصفة فالراء صوت مكرر، في حين صفة الشين احتكاكي. عرض أبو عثمان الجاحظ لُلثغة النبي موسى -عليه السلام-، ولم يقف على حروفها فحسب، بل ساق روايتين تخصانها؛ فأما الأولى فصادرة عن عامة الناس، مؤدّاها ما اعتراه -عليه السلام- بسبب وضعه الجمرة في فيه، حينما كان -عليه السلام- في رعاية زوجة فرعون آسيا بنت مزاحم، أما الرواية الثانية فذكرها أبو عثمان نقلا عن الواقدي (ت 207هـ)، الذي روى عن بعض رجاله، بأن لسانه -عليه السلام- كانت به شأمة بها شعرات، علق أبو عثمان على لثغته عليه السلام، قائلا: «ليس في قوله: ﴿**وَاحْلُلْ عُقْدَةً من لسَانِي**﴾ دليل على شيء دون شيء »[1].

يضاف إلى اللثغ السابقة ذات المنشأ الخِلقي الفسيولوجي، ما يعتري الشيخ الهرم الماج المسترخي الحنك المرتفع اللثة؛ فلثغته ذات علّة فسيولوجية طارئة عليه بحكم شيخوخته، وما يتبعها من تغيرات فسيولوجية أخرى، بمعنى لا يمكنه التخلص ممّا به من لثغة إلا بمفارقته الحياة.

أما النوع الآخر من اللثغة، فيتمثل في اللثغة المؤقتة لا الدائمة «التي تعتري الصبيان إلى أن

---

1 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 31.

ينشأوا »[1].

قام أبو عثمان الجاحظ بتصنيف اللثغ حسب مقياس اجتماعي؛ أي حسب مدارج الوجاهة (الخاصة)، والوضاعة (العامة)، وأيضا حسب مقياس علاجي نفسي ونعني به العسر واليسر؛ رتب أبو عثمان ترتيبا تنازليا صور الراء الملثوغة، قال: «وأما اللثغة في الراء فتكون بالياء والظاء والذال، والغين، وهي أقلها قبحا و أوجدها في ذوي الشرف، وكبار الناس وبلغائهم وعلمائهم »[2].

استند أبو عثمان الجاحظ إلى منطلق اجتماعي في حديثه عن مدارج اللثغ الأربع الحاصلة على مستوى حرف الراء؛ متدرجا تدرجا تنازليا من الوجاهة إلى الوضاعة بمعنى من الخاصة إلى العامة، فكان هذا المنطلق الاجتماعي مدعاة إلى أن صرح أحد الباحثين فقال: « وهكذا يقدم لنا الجاحظ وربّما لأوّل مرة في تاريخ الفكر اللغوي الإنساني الأصول النظرية والتحليلية لعلم اللغة الاجتماعي » [3].

أما المقياس الذي استند إليه أبو عثمان الجاحظ في الحكم على اللثغ باليسر أو العسر؛ فمقياس نفسي علاجي سمعي؛ لأنه صادر عن أثرها السمعي لدى المتلقي.

عادة ما يلقى اللُّثَّغُ من أفراد المجتمع اللساني تعنتا وتبرما واستهزاءا وسخرية قد تصل إلى درجة المقاطعة الاجتماعية، مثلما حلّ بزوجة أبي رمادة؛ فقد طلقها أبو رمادة مخافة أن تجيئه بولد ألثغ، فقال:

لَثْغَاءَ تَأْتِي بِحَيْفَسٍ أَلْثَغِ ∴ تَمِيسُ فِي المُوشِيِّ والمِصْبَغِ[4].

أما إذا كانت اللثغة صادرة عن جارية «حديثة السنّ؛ مقدودة مجدولة، فإذا أسنّت واكتهلت تغير ذلك الاستملاح».[5]

2 - **اللكنــة**: بعدما أنهى أبو عثمان الجاحظ الحديث عن القِران أو الاقتران والتنافر على مستوى الألفاظ والحروف، هذا القِران الذي أراد به «التشابه والموافقة»[6]، شرع متحدثا عما

---

1 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 52.

2 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 30.

3 – حلمي، خليل: دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د،ط)، 2000، ص 156.

4 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 44.

5 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص102.

6 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص141.

يعرض للأعاجم من عيوب نطقية خاصة بهم، فكانت **اللكنة** إحداها، عرّفها بقوله: «ويقال في لسانه لكنة إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأوّل[1].

يتضح من خلال هذا التعريف، اعتماد اللكنة على ما يعرف بالتجاذب بمعنى تجاذب العادة الأولى للمخرج غير المعتاد عليه في اللغة الأم، أو لغة المنشأ، بمعنى من المتعذر إخراج صوت من مخرج غير مخارج اللغة الأم أو الأساس اللغوي الأول.

فسّر بعض علماء اللغة المحدثون هذا التجاذب من خلال ما اصطلحوا على تسميته **بالنقل أو التدخل**[2]؛ فالألكن ينقل عن غير قصد ما يميز لغته الأم على مستوى من مستوياتها أو نظام من أنظمتها، سواء تعلق الأمر بالنظام الصوتي، الصرفي، النحوي أو الدلالي.

واستنطاقا لتعريف الجاحظ للكنة؛ نجد فكره في استخدامه للفظة العادة فكرا سابقا لعصره؛ ذلك أن علم اللغة الحديث ينص على أن اللغة ما هي إلاّ نظام معقد من العادات، لعل هذه العادة؛ هي التي جعلت الأعجمي الكبير يصعب عليه التنصل مما اعتاده في كلامه بلغته الأمّ، عبّر أبو عثمان عن هذه الحقيقة بعبارتين متباينتين لفظا متفقتين معنى، يقول: «وقد يتكلم المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة ويكون لفظه متخيرا فاخرا، ومعناه شريفا كريما، ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطي. وكذلك إذا تكلم الخراساني على هذه الصفة، فإنك تعلم مع إعرابه وتخير ألفاظه في مخرج كلامه، أنه خراساني، وكذلك إن كان من كتاب الأهواز»[3]، أردف قائلا في السياق ذاته: «ألا ترى أن السندي إذا جلب كبيرا، فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زايا ولو أقام في عليا تميم، وفي سفلى قيس، وبين عجز هوازن، خمسين عاما»[4].

ميّز الجاحظ بين مخارج الأصوات عند الألكن، التي لا تخرج عن عادة المنشأ التي تتجاذب إليها كل مخارج الأصوات الأجنبية، وبين مخارج الألفاظ والكلام، كالذي نجده عند الحاكية من الناس، الذين لا يظهرون أيّ أثر لفكرة التجاذب في كلامهم؛ يقول أبو عثمان: «وإنما تهيأ

---

1 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 32.

2 – فاطمة، محمد محجوب: دراسات في علم اللغة، دار النهضة العربية، القاهرة، (د، ط)، (د،ت)، ص 94- ص 96.

3 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 51.

4 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص52.

وأمكن الحاكية لجميع مخارج الأمم، لما أعطى الله الإنسان من الاستطاعة والتمكين، وحين فضله على جميع الحيوان، بالمنطق والعقل والاستطاعة، فبطول استعمال التكلف ذلت جوارحه لذلك ... فأما حروف الكلام، فإن حكمها إذا تمكنت في الألسنة خلاف هذا الحكم »[1].

درس الجاحظ اللكنة وفق معيار اجتماعي طبقي، شأنها في ذلك شأن اللثغة؛ إذ بدأ بلكنة الخاصة من البلغاء والخطباء والشعراء والرؤساء، كان أوّل خاصتهم **زياد بن سلمى أبا أمامة،** وهو زياد الأعجم، الذي كان لسانه يرتضخ لكنة فارسية؛ فكان يجعل السين غير المعجمة شينا معجمة، ويجعل الطاء تاء، أنشد قول الشاعر:

فَتَى زَادَهُ السُلْطَانُ في الوُدِّ رِفْعَةً إِذَا غَيَّرَ السُلطَانُ كُلَّ خَلِيلِ.

فقال: «فتى زاده الشلتان»[2].

أما **سحيم عبد بني الحسحاس،** فكان يجعل الشين المعجمة سينا غير معجمة، في قوله **ما سعرت ؟ يريدُ ما شعرت ؟**

أما **عبيد الله بن زياد** والي العراق، فكان يجعل الحاء هاءًا، قال لهانئ بن قبيصة: **أهروري** سائر اليوم ؟ يريد: **أحروري**؟.

ونقلا عن أبي عبيدة، كان عبيد الله هذا، يجعل **القاف كافا،** فهو يرتضخ لكنتين فارسيتين؛ لأنّه « نشأ في الأساورة عند شيرويه الأسواري، زوج أمه مرجانة»[3].

كما كان **صهيب بن سنان النمري،** صاحب رسول الله ﷺ يرتضخ لكنة رومية؛ يجعل فيها الحاء هاء، كان يقول إنك لــ**هــ**ـائن يريد إنك لــ**حــ**ـائن، في حين كان **ازدانقاذار** يرتضخ لكنة نبطية، فيقول الــ**هــ**ـاصل، ويريد الــ**حــ**ـاصل، أما أبو مسلم صاحب الدعوة فكان يجعل القاف كافا، يقول: كلت لك بدل **قُــ**ـلت لك[4].

بعدما ساق أبو عثمان صورا من لكنات الخاصة من الأعاجم، أو الخاصة من العرب، الذين نشأوا بديار الأعاجم، كعبيد الله بن زياد، راح يترصد صورا من لكنات العامة، ومن لم يكن له

---

1 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 52.

2 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 53، البيت من الطويل، لزَياد الأعجم.

3 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 54 .

4 – انظر صور لكنات الخاصة: المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 53- ص 54.

حظ في المنطق، وهي:

- **فيل مولى زياد**: كان يجعل الحاء هاء، قال: أهدوا لنا همار وهش، يريد أهدوا لنا حمار وحش، كما كان يجعل العين همزة، يقول: أهدوا إلينا أيرًا، يريد: أهدوا إلينا بعيرا.
- **أم ولد لجرير بن الخطفي**: ارتضخت ثلاث لكنات؛ أبدلت الذال المعجمة دالا غير معجمة، وضمت حركة الجيم في جرِذان، وجعلت الصيغة الصرفية لعجين (فعيل) عجانا (فِعَالاً)، مما نجم عنهما تغير في الدلالة.
- **أم ولد لأحد الشعراء**: ارتضخت لكنة أعجمية، فكانت تذكر المؤنث وتؤنث المذكر، وتجعل القمر كمرا، فأنشد زوجها في لكنتها:

أَوَّلُ مَا أَسْمَعُ مِنْهَا فِي السَّحَرْ ∴ تَذْكِيرُهَا الأُنْثَى وتَأْنِيثُ الذَكَرْ
والسَّوْءَةُ السَّوْآء فِي ذِكْرِ القَمَرْ[1] .

- **عجوز سندية**: كانت ترتضخ لكنتين سنديتين؛ تجعل الجيم ذالا، والسين غير المعجمة شينا معجمة، قالت: هذا الـــ**ذّ**مل يذكرنا بالشّر تريد: هذا الجمل يذكرنا بالسر أي بالوطء
- **الصقلبي**: يجعل الذال المعجمة دالا غير معجمة.

ذكر أبو عثمان بابا آخر من اللكنة لا يمس الحروف، بل حركاتها دونما تغيير في المعنى، قيل لنبطي: «لم ابتعت هذه الأتان ؟ قال: أركبها وتَلَدُلي ... ولكنه فتح المكسور حين قال: وتلَدُلي و لم يقل: تلِدُ لي»[2].

يمكن أن نعبر عن جميع اللكنات السابقة، من خاصة وعامة، بالرموز الآتية:

السندي: ج > ز، النبطي القح: ز > س
ع > همزة

أ – **لكنات الخـــاصة**:

1- اللكنـــة الفـــارسية:
- زياد بن سلمى أبو أمامة (زياد الأعجم): س > ث ، ط > ت
- عبيد الله بن زياد : ح > هـــ ، ق > ك

---

[1] – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 54، ص 112.

[2] – انظر صور لكنات العامة: المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 54 ، ج2، ص 167- ص 168.

- أبو مسلم الخراساني : { ق > ك

2- **اللكنة الفارسية:** عبيد الله بن زياد
اللكنة الرومية: صهيب بن سنان النمري: } ح > هـ
اللكنة النبطية: ازدا نقاذار

ب - **لكنـــات العـــامة:**

1-اللكنـــة الفارسية: فيل مولى زياد: { ح > هـ.

2-أم ولد لجرير الخطفي: { ذ > د
ضمت الجيم المكسورة في جرذان، جعلت العجين عِجَانًا
(تغيير في الصيغة الصرفية، تبعه تغير في الدلالة).

3-أم ولد لشاعر مجهول: { تذكير المؤنث وتأنيث المذكر
ق > ك.

4-العجوز السنديـــة: { ج > ذ
س > ش

5- الصقلبـــي: { ذ > د

6 -النبطـــي: الكسرة > فتحة .

ما يمكن استنتاجه بعد عرضنا بالرموز للصور السابقة للكنة:

- كانت جل صور اللكنة متعلقة بما يعرف في علم اللغة الحديث بالنقل أو التدخل، كان هذا النقل يخص الجانب الفونيمي؛ فكل من النبطي، الفارسي والرومي، جذبتهم عادة المنشأ الأوّل للغة الأم، أو الأساس اللغوي الأول، فنطقوا الحاء هاء، وهو ما ينبئ بأن اللغات الثلاث لا تشمل الحاء في نظامها الصوتي، ولا على مستوى مدارج المخارج، لذلك نقلوا إلى الكلمة العربية صوتا قريبا إلى الحاء فكان هاء، لقرب مخرج وصفة الحاء من الهاء، فصفات الحاء والهاء عند جل اللغويين العرب القدامى تنحصر في كونهما صوتين رخوين، مهموسين، منفتحين مرققين صحيحين غير معتلين، أما عند اللغويين المحدثين، فهما صوتان احتكاكيان،

مهموسان، منفتحان، مرققان صحيحان غير معتلين[1]، أما مخرجهما عند جل اللغويين العرب القدامى، فهو متقارب؛ فمخرج الهاء هو أقصى الحلق، أما مخرج الحاء فمن وسطه.

أما عند اللغويين المحدثين؛ فمخرج الهاء هو الحنجرة (صوتي حنجري)، أما الصوت الحاء فصوت صادر من الحلق (صوت حلقي)[2]، ينسحب مبدأ النقل أو التدخل على الحروف التي أصابتها اللكنة.

- يمكن للنقل أو التدخل أن يتعدى دائرة الأصوات إلى حركاتها؛ مثلما حصل في نطق أم ولد جرير الخطفي الجيم مضمومة في لفظة جُرذان عوض كسرها، فنجم عنه تغيير في المعنى، والصورة اللكنية نفسها تقريبا قد تكررت مع النبطي الذي فتح لام تلد عوض كسرها، دون أن ينجرّ عن ذلك تغيير في المعنى.

لم تقتصر صور اللكنة على النظامين الصوتي والصرفي وحسب بل مست أيضا الجانب النحوي والتركيبي؛ قال نفيس لغلام لي: «**الناس ويلك أنت حياء كلهم أقل، يريد ويلك أقل الناس كلهم حياء**»[3]، كما نقل أبو عثمان عن خادمه: «وقلت لخادم لي: في أي صناعة أسلموا هذا الغلام؟ قال: في أصحاب سند نعال، يريد: في أصحاب النعال السندية»[4].

فضلا عن الوجوه اللغوية السابقة التي مسها النقل أو التدخل لم يسلم النظام الدلالي منهما؛ فمما روي عن لكنات عبيد الله بن زياد أن قال مرة: «**افتحوا سيوفكم** »، يريد سلوا سيوفكم، فقال يزيد بن مفرغ:

ويَوْمَ فَتَحتَ سيفَك من بَعيدٍ ∴ أَضَعْتَ وَكُلُّ أَمْرِكَ لِلضَّياعِ[5].

لم يكن حظ اللكن أحسن حالا من اللثغ؛ فلطالما لقي الألكن عدم قَبول أفراد المجتمع اللساني الذي يعيش بينهم؛ فزياد استفسر مستنكرا على فيل لكنته، داعيا عليه بالويل، والدعاء

---

[1] – آمنة، ابن مالك: الحروف العربية، دراسة لغوية صوتية، ص98–ص99–ص100.

[2] –أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص275.

[3] – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 162.

[4] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص112.

[5] – المصدر نفسه، ج2، ص 167، البيت من الوافر، ليزيد بن مفرغ.

ذاته تكرر على لسان الحجاج في رده على تاجر الدواب، قائلا: « ما تقول، ويلك! »[1].

دفع عدم قَبول المجتمع اللساني للكنات، الألكن إلى الوقوع فيما يعرف **بالتفاصح**، وهو ما حذا بماسرجويه الطبيب إلى أن يضم باء بُلْغُمْ، في رده على أحد مرضاه: «فلما جازه قال: أنا أحسن أن أقول بَلغَم، ولكنه كلمني بالعربية فكلمته بالعربية»[2].

أدرج أبو عثمان الكثير من صور اللكنات –سواء تعلق منها بالخاصة أو العامة من الأعاجم– ضمن باب اللحن، وهو ما دلّ على أن اللحن أعم من اللكنة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تختص اللكنة بما ترتضخ له ألسنة الأعاجم، بخلاف اللحن الذي يتساوى فيه العربي مع الأعجمي، ناهيك عن كون اللكنات تمس كل مستوى من مستويات اللغة، بدءا بالنظام الصوتي، وصولا إلى النظام التركيبي، وهي الخاصية اللغوية ذاتها التي تميز اللحنة.

3 - **اللحــن**: لئن كانت اللكنة بشتى صورها السابقة وجها من وجوه اللحن، فإنه لا يقتصر عليها، بل يتعداها إلى صور أخرى، نترصدها في الآتي:

1. **الخطأ في نطق الحروف**: سواء أكانت حروف القرآن الكريم أم حروف غيره.

أ - **في حروف القرآن**: قال الجاحظ: « وغلط الحسن في حرفين من القرآن، مثل قوله: ﴿ **ص وَالْقُرْآنُ ذِي الذِّكْرِ** ﴾[3]، والصواب ﴿ **ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ** ﴾، والحرف الآخر ﴿ **وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطُونُ** ﴾[4]، والصواب: ﴿ **وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ** ﴾، وقال أيضا: « أبو الحسن قال: كان سابق الأعمى يقرأ: ﴿ **هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوَّرُ** ﴾[5]، والصوابُ: ﴿**هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمصَوِر** ﴾، فكان ابن جابان إذا لقيه قال: يا سابق مافعل الحرف الذي تشرك بالله فيه؟قال: وقرأ: ﴿**وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكين حَتَّى يُؤْمِنوا** ﴾[6]، والصواب: ﴿ **وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشْرِكين حَتَّى يُؤْمِنوا** ﴾، قال ابن حابان: وإن آمنوا أيضا

---

1 -المصدر نفسه، ج1، ص 112.

2 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص 171.

3 - سورة ص، الآية 01.

4 - سورة الشعراء، الآية 210.

5 - سورة الحشر، الآية 24.

6 - سورة البقرة، الآية 221.

لم ننكحهم »[1].

ب – **في حروف غير القرآن:** قال أبو عثمان: «وزعم يزيد مولى ابن عون، قال: كان رجل بالبصرة له جارية تسمى ظمياء، فكان إذا دعاها قال: يا ضمياء بالضاد، فقال له ابن المقفع: قل: يا ظمياء، فناداها: يا ضمياء. فلما غير عليه ابن المقفع مرتين أو ثلاثاً، قال له: هي جاريتي أو جاريتك؟»[2].

2. **العجز عن تلفظ بعض الكلمات:** قال أبو عثمان: «وكان محمد بن الجهم ولي المكي صاحب النظام، موضعاً من مواضع كسكر، وكان المكي لا يحسن أن يسمي ذلك المكان، ولا يتهجاه ولا يكتبه، وكان اسم ذلك الموضع شانمثنا »[3].

3. **الخطأ في الإعراب:** هو أشد قبحا من جميع أصناف الكلام الملحون؛ لأنّ العربي كان يعده هجنة، قال أبو عثمان على لسان عبد الملك بن مروان: « اللحن هجنة على الشريف »[4]، وربما، لا توجد صورة منفرة للحن، باعثة على التقزز من أنّ: «اللحن في المنطق أقبح من آثار الجدري في الوجه»[5].

4. **الخطأ في وضع اللفظ المناسب للمعنى المناسب:** كان العربي يحرص على إحداث كلّ التناسب بين اللفظ والمعنى، قال أبو عثمان على لسان أستاذه النظام: «أنا لا أقول مِتُّ قبلك، لأنِّي إذا قلت مِتُّ قبلكَ مات هو بعدي، ولكن أقول: مِتُّ بدلك»[6].

ثـــانيا: علاقة جهاز النطق بالعيوب النطقية وطرائق علاجها:

تفطن أبو عثمان إلى أهمية جهاز النطق الإنساني، فكلما كانت أعضاؤه سليمة، سَلُمَتْ معها الأصوات التي تخرج منها، وكلما اعتل عضو من أعضائه، كان هذا الاعتلال مدعاة لظهور

---

1 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص 171.

2 – المصدر السابق، الجزء السابق، ص 167.

3 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 167– ص 168.

4 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 170.

5 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

6 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 162.

عيوب نطقية.

وعلى الرغم من أن أبا عثمان، لم يقم بحصر العيوب النطقية ذات المنشأ أو العلة الفسيولوجية، المرتبطة بأعضاء جهاز النطق، إلا أننا يمكن أن نترصدها فيما يأتي:

فمنشأ اللثغة بجميع صورها يعود إلى خلل أو عطب على مستوى عضو أو أكثر من أعضاء آلة الصوت –على حد تعبير أبي عثمان–، ولا أدل على ذلك من إشارة أبي عثمان للثغة الصبيان؛ فرغم كونها لثغة مؤقتة إلا أن أبا عثمان قد ربط زوالها من ألسنة الصبيان، باكتمال نضج مداركهم الحسية، أي اكتمال واستواء نشوء الأعضاء المسؤولة عن النطق، كما لم يغفل أبو عثمان عن الحديث على لثغة الشيخ الهرم؛ فلثغته أيضا ذات منشأ عضوي؛ فكثرة مجّه، وتهدل واسترخاء حنكه، وارتفاع لثته حال دون الإبانة عن أصواته، فكان ألثغ لثغة عضوية دائمة عكس لثغة الصبيان المؤقتة، وما يقال عن اللثغة يقال أيضا عن الحكلة، عرفها أبو عثمان الجاحظ على النّحو الآتي: « فإذا قالوا: في لسانه حكلة: فإنما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق، وعجز أداة اللفظ، حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال »[1].

يضاف إلى اللثغة والحكلة، أنواع أخرى من عيوب النطق تشترك في كون منشئها مرتبطا بخلل فسيولوجي. سيحتويها جدول توضيحي نذيل به مبحثنا هذا .

أدرك أبو عثمان أن سلامة اللسان من شتى العيوب الخِلْقِيَة مدعاة لسلامة النطق من العيوب، كما تفطن إلى أن بعض عيوب النطق ذات جذور نفسية، قال: عن **يزيد بن جابر** قاضي الأزارقة لما طال صمته: «ثقل عليه الكلام، فكان لسانه يلتوي، ولا يكاد يبين »[2].

ونقلا عن رواية الواقدي عن بعض رجاله، تكون لثغة النبي موسى –عليه السلام– ذات منشأ عضوي؛ فمفاد الرواية «أن لسان موسى كانت عليه شأمة فيها شعرات»[3]. كما أولى أبو عثمان الأسنان والشفتين أهمية؛ فالشغا والفلح[4]؛ تسبب هذان العيبان العضويان في وجود صفير يخرج من الثنايا السفلى لزيد بن جندب الخطيب؛ فأضحى عرضة للهجاء من قبل **عبيدة بن**

---

1 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 32.

2 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص31

3 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص30.

4 – الشغا: اختلاف نبتة الأسنان بالطول والقصر، والدخول والخروج.

– الفلح: شق في الشفة العليا. فإذا كان في السفلى فهو علم. انظر: البيان والتبيين، ج1، ص42.

هلال اليشكري؛ الذي قال فيه:

أَشْغَى عُقْبُاهُ وَنَابٌ ذُو عَصَلْ ∴ وَفَلَحٌ بَادٍ وسِنٌّ قَدْ نَصَلْ[1].

عدد أبو عثمان في السياق ذاته جملة من العيوب العضوية لخطباء؛ حالت هذه العيوب دون بيانهم الخطابي، تتمثل هذه العيوب في: **الضَجَمْ، والفَقَمُ والرَّوَقْ**[2].

ولا تقل الثنايا أهمية عن اللسان والشفتين، فدورها لا يمكن إنكاره في إقامة الحروف وتكميل آلة البيان، قال أبو عثمان: «لو عرف الزنجي فرط حاجته إلى ثناياه في إقامة الحروف، وتكميل آلة البيان، لما نزع ثناياه »[3].

تفطن الفاروق عمر -رضي الله عنه- إلى أهمية الثنايا، لذلك أشار على الرسول -صلى الله عليه وسلم- بترع الثنيتين السفليين لسهل بن عمرو الخطيب، حتى يدلع لسانه ولا يقوم بعدها خطيبا، لاسيما أنه كان أعلم؛ مشقوق الشفة السفلى[4]، ولحاجة معاوية لثناياه التي سقطت في الطست، لم يقف خطيبا منذ ذاك[5]، وللحاجة ذاتها صرح أبو عثمان على قلع الزنوج ثناياهم خيفة التشبه بمقادم أفواه الغنم « فكم تظنهم -أكرمك الله- فقدوا من المنافع العظام بفقد تلك الثنايا »[6].

استدل أبو عثمان الجاحظ على أن تمام النطق بالحروف من تمام الأسنان، من خلال إشادة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بزيد بن علي بن الحسين؛ فقد سلمت خطبته من الصفير لسلامة أسنانه، فأنشد فيه هذا البيت:

قَلَّتْ قَوَادِحُهَا وَتَمَّ عَدِيدُهَا فَلَهُ بِذَاكَ مَزِيَّةٌ لاَ تُنْكَرُ[7].

لم يكتف أبو عثمان بالحديث عن الأسنان فحسب، بل راح يتحدث عن صحة لثتها من سقمها؛ فمما ساقه عن أهل التجربة: «إذا كان في اللحم الذي فيه مغارز الأسنان تشمير، وقصر

1 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

2 – الضجم : اعوجاج في الفم، والفقم مثله، والروق: ركوب السن الشفة. انظر: المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 43.

3 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 44.

4 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

5 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 45.

6 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 46.

7 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 45، البيت من الوافر لعبد الله بن معاوية.

سمك ذهبت الحروف وفسد البيان ... »[1].

وفي حال فساد اللثة وسقوط الأسنان، آنئذ يأتي دور اللسان ليسد هذا النقص، ويقوم بدورهما، لاسيما إذا كان هذا اللسان يملأ جوبة الفم، ولا يجد حائلا يمنعه، وهذا ما أكد صحته أرسطو في كتابه (الحيوان) قياسا على ألسنة البهيمة والطير، واستنادا لما يُعرف بالتشريح المقارن.

استدل أبو عثمان على أن سقوط جميع الأسنان أصلح في الإبانة من سقوط أكثرها، ومخالفة أحد شطريها الشطر الآخر ف: «الحمام المقصوص جناحاه جميعا، أجدر أن يطير من الذي يكون جناحاه أحدهما وافرا والآخر مقصوصا ... وعلة ذلك التعديل والاستواء. وإذا لم يكن ذلك كذلك، ارتفع أحد شقيه وانخفض الآخر، فلم يجذف و لم يطر»[2].

واستنادًا لمبدأ المعاينة، حكم أبو عثمان على أن سقوط جميع الأسنان أصلح في الإبانة عن الحروف، بالتصديق؛ إذ رأى ذلك «في أفواه قوم شاهدهم الناس بعد أن سقطت جميع أسنانهم، وبعد أن بقي منها الثلث أو الربع»[3].

لن تكون للأسنان أهمية في عملية النطق، إلاّ إذا كانت سليمة من الأدواء والعلل، أشار أبو عثمان إلى عينة منها، قد تصاب الأسنان بالبرد، حتى لا يكاد يُرى شيء منها، إلا عند الاطلاع على لحم اللثة أو أصول منابت أو مغارز الأسنان، أمّا علّة برد أسنان عبيد الله بن أبي غسّان، فإلحاحه على القيء، ومن علل تساقط الأسنان كثرة الجمع بين الحار والقار وهذا ما حصل لسفيان بن الأبرد الكلبي[4].

لم يغفل أبو عثمان عما للأنفاس المقسومة على المنخرين، من أهمية قصوى في تأدية عملية النطق، فتلك الأنفاس تمثل خزان هواء؛ لا يمكن للنطق أن يتأدى إلا به[5].

وبالانتقال إلى علاج أدواء الجهاز النطقي، قدم أبو عثمان جملة من الإرشادات الوقائية، فقد أوصى بضرورة تجنب الإلحاح على القيء، حتى لا تصاب الأسنان بالبرد أي التآكل، ولا بالسقوط، كما أوصى بتجنب الجمع بين الحار والقار.

---

1 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 46.

2 – المصدر السابق، الجزء السابق، ص 48.

3 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 46.

4 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

5 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 47.

أما فيما يتعلق باللسان، أوصى أبو عثمان بضرورة الدربة والمران، وتعددت سياقات حديثه عنهما؛ ففي حديثه عن الحاكية من الناس، قال: « فبطول استعمال التكلف ذلت جوارحه لذلك، ومتى ترك شمائله على حالها، ولسانه على سجيته، كان مقصورا بعادة المنشأ على الشكل الذي لم يزل فيه »[1]، كما أوصى أبو عثمان محمد بن شبيب المتكلم بمعاندة النفس ومكابدة المشقة حتى يتأتى له التخلص من لثغته؛ قال: « فإذا حمل على نفسه وقوّم لسانه أخرج الراء »[2]، بل وصلت البراعة والحذق بأبي عثمان كل مبلغ فراح محددا مدّة المكابدة والمعاندة؛ صرّح: «...ولكنه كان يستثقل التكلف والتهيؤ لذلك، فقلت له: إذا لم يكن المانع إلا هذا العذر، فلست أشكّ أنّك لو احتملت هذا التكلف، والتتبع شهرا واحدا أن لسانك كان يستقيم »[3].

لا تتوحد كل عيوب النطق في علة منشئها؛ فمنها ما ارتبطت بعلة نفسية أملاها مقام ما كتلك العيوب المؤقتة التي تعرض للخطيب وهو يعتلي المنبر، أوصى أبو عثمان الخطيب بالثقة في النفس، ذلك أنّها «تنفي عن قلبه كل خاطر يورث اللجلجة والنحنحة والانقطاع والبهر والعرق»[4].

نستخلص من كل ما سبق أن تباين مفاهيم عيوب النطق كان متبوعا بتباين عللها أو مناشئها؛ وأيضا بتباين طريقة علاجها أو الوقاية منها، التي تراوحت ما بين العلاج، الوقائي، الوظيفي وأخيرا النفسي، ولم يكد يخرج الباحثون المحدثون عن هذه الطرائق الثلاث؛ رغم اختلاف منطلقاهم وتوجهاهم[5].

ولا يكاد يختلف الاتجاه العلاجي العملي الذي نادى به الجاحظ في معالجة اللثغ أو تحاشيها، أو التقليل من حدها؛ عمّا نادى به أحمد مختار عمر في نطق الراء العربية؛ «كتدريب من يخطئ في نطق الراء العربية على النطق الصحيح، عن طريق شرح طريقة نطقها، ومكان اتصال طرف اللسان بسقف الحلق، وتكليفه بعمل التدريب مستقلا عن طريق النظر في مرآة»[6].

---

1 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 52.

2 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 14- ص 15.

3 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 30.

4 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 134.

5 – راجع في هذا الموضوع الكتب الآتية: أمراض الكلام – اضطرابات اللغة وأمراض الكلام –، ومجلة أرطوفونيا.

6 – أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص 408.

ثــالثا: منهج الجاحظ من خلال مدونة البحث :

قدّس أبو عثمان العقل، ولطالما اقتفى أثره قصد الإمساك بزمام الحقيقة التي ينشدها كل دارس، ليس هذا ديدن أبي عثمان وحده، بل شأنه في ذلك شأن المتكلمين عموما والمعتزلة خصوصا.

تمخضّ عن تقديسه العقل اعتماده على التأمل، التجريد، والاستقصاء، الــتي شــكلت في مجملها الكليات العامة، التي اجتكم إليها منهجه، يقول:«فألفت لك كتابي هذا إليك، وأنا واصف لك فيه الطبائع...وراسم لك في ذلك أصولا، ومبين لك مع كل أصل منها علّته وسببه...ثم غير راض لك بالأصول حتى أتقصى لك ما بلغه علمي من الفروع...ثم لا أرسم لك ذلك إلا الأمــر المعقول في كل طبيعة»[1].

دلّت العبارة السابقة على احتكام أبي عثمان إلى منهج عام، أساسه الأصول أو الكليات، التي يتحرى من خلالها عن العلّة والسبب، قصد استكناه طبيعة الأمور.

وبالعودة إلى مدونة البحث نجد من خلال استنطاق عنوانها، أن أبا عثمان لم يعتمد في عرضه لمواد عيوب النطق على خطة ذات أبعاد مصممة مسبقا، بل كانت مواد عيوب النطق تعتمد على ما حضره؛ أي على ما تداعى من أفكار، ليست وليدة كدّ الدهن، وإعمال العقل؛ لهذا لم يخل عرضها من الاضطراب المنهجي.

تراوح عرض المواد السابقة بين:

-اللفظة (الدالة على العيب النطقي)+تعريفها+مثالها+شاهدها.

1-الجاحظ: الرسائل، رسالة المعاش والمعاد، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د،ط)، 1965، ص 97- ص 98.

-اللفظة +تعريفها+شاهدها.

-اللفظة+تعريفها.

-اللفظة+شاهدها.

ترتّب على هذا العرض قلّة عدد التعريفات الخاصة بالألفاظ الدالة على عيوب النطق لتقابلها كثرة الشواهد التي غالبا ما كانت شعرا.

فبعد ما ساق تعريف الحُكلة في اللسان بأنها:«...فإنما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق، وعجز أداة اللفظ، حتى لا تُعرف معانيه إلا بالاستدلال»[1]، أورد بعدها بيتا شعريا لرؤبة بن العجّاج:

لَوْ أَنَّنِي أُوتِيتُ عِلْمَ الحُكْلِ   علمَ سُليمان كَلاَمَ النَمْلِ[2]

ومما لا يقبل الجدل أن إيراد اللفظة ضمن شاهدها، دون سوق تعريفها، غير كاف البتّة لفهم وتحديد معناها، مما يترتب عليه مجانبة الدّقة العلمية، مثلما هو الحال في لفظة اللّجلَجَة، التي ساق لها شاهدا شعريا للَّهبي، وشاهدا نثريا لمحمد بن سلاّم الجُمحي[3]، لكن لم يورد تعريفها.

يضاف إلى ما سبق أن مواد عيوب النطق، تداخلت معها مباحث أخرى، بعضها ذو صلة متينة بموضوع البحث، كحديثه عن أدواء بعض أعضاء النطق، وبعض طرائق علاجها، في حين كانت بعض المباحث الأخرى ذات علاقة واهنة بموضوع البحث؛ فإسهابه في الحديث عن الخطابة والخطباء يعدّ في حقيقة الأمر وجها من وجوه الاستطراد، يستثنى من هذا ما تعلق بعيوب الخطباء البيانية التي أملتها مقامات معينة.

عزا أحد الدارسين هذا الاستطراد إلى أن:«الجاحظ قد تعرّض لهذا الحديث استطرادا، وذلك انه يعد أن ذكر واصلا ولُثغته، أفرد فصلا خاصا بالحديث عن الحروف التي يدخلها

---

1 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص32.

2 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

3 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

اللّثغ»[1].

من الطبيعي أن يشغل موضوع اللّثغة حيّزا معتبرا من مُدَوَنَةِ البحث، لكن ما هو غير طبيعي ومجافي للمنهج أن يحدث تقطع تلو الآخر أثناء الحديث عنها، دونما داع أو رابط منهجي؛ فبعدما تحدث عن اللّثغة في الصفحات الأولى من (البيان والتبيين)، أكمل الحديث عنها في صفحات أخرى موالية، ليتابع الحديث عنها للمرة الثالثة، قال:«ثم رجع بنا القول إلى الكلام الأول فيما يعتري اللسان من ضروب الآفات»[2]، يقطع أبو عثمان الحديث عنها، ويستأنف متابعا دراستها في الصفحات الأخيرة من المدونة، من خلال التمييز بين نوعين من اللّثغة، أولهما ما يعتري الصبيان إلى أن ينشأوا، ثانيهما ما يعتري الشيخ الهرِم الماج المسترخي الحنك.

فتداعي الأفكار وانثيالها انثيالا، وسم منهج أبي عثمان بالاضطراب، لكثرة استطراداته، يقول عبد السلام محمد هارون:«تراه يبدأ الكلام في قضية من القضايا، ثم يدعها في أثناء ذلك، ليدخل في قضية أخرى، ثم يعود إلى ما أسلف من قبل، وقد كانت هذه سبيلُ كثير من علماء دهره، كما أن علوّ سنّه، وجدّة التأليف في تلك الأبحاث التي طرقها، كل أولئك كان شفيعا له في هذا الاسترسال والانطلاق»[3].

لم يكن أبو عثمان غافلا عن اضطراب منهجه التأليفي، بسبب الاستطراد، يقول مبرّرا:«...فإن وجدت فيه خللا من اضطراب لفظ، ومن سوء تأليف، أو من تقطيع نظام، ومن وقوع الشيء في غير موضعه، فلا تنكر ذلك...».

يمكن أن يعزى هذا الاستطراد إلى ثراء المادة العلمية وتشعّبها، فأضحى أبو عثمان بين طرفين يتجاذبانه: كمّ المادة العلمية التي يريد تقديمها للقارئ، وكيفُ المنهج وتبويب هذه المادة؛ فإذا استبدّ الأول أفلت منه الثاني، وإذا ما علمنا أن أبا عثمان لم يكن ليخطّ كتبه بيده، بل كان يُمليها على النسّاخ، كما أن تأليف (البيان والتبيين) قد صادف شيخوخته، واعتلاله بالنقرس والفالج، التمسنا العذر لاستطراداته، التي قد يتعمد إيراد بعضها، بنية إبعاد الضجر والسآمة على

---

1 – مجيد عبد الحميد ناجي: الجاحظ والأثر الإغريقي في بحوثه البلاغية، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، بغداد، (د،ط)، 1976، ص111.

2 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص43.

3 – الجاحظ: البيان والتبيين، ط2، 1961، ج1، ص6.

القارئ، الذي قد يجد عنتا فكريا، ولا يجد ما يروّح عنه سوى استطرادٍ يتخلله بعض الهزل، يقول:«ولكل جنس من هذا موضع يصلح له، ولابدّ لمن استكده الجدّ من الاستراحة إلى بعض الهزل»[1].

ينقسم المنهج عند أبي عثمان إلى فكري، يتضمن اتجاهات غالبة عليه، يمكن حصرها فيما يأتي: الواقعية–العقلانية–النقدية–الشكيّة–الاستقرائية.

يضاف إلى معالم المنهج الفكري، سمات تميّز المنهج التعبيري، تتمثل في: مرونة العبارة– الإسهاب– عدم تنقيح العبارة.

1–المنهج الفكري:

أ–الواقعية: تعدّ معالجة أبي عثمان موضوع عيوب النطق، التي مسّت فئات من خاصة وعامة العرب والعجم، وجها من وجوه الواقعية؛ إذ استمد موضوعه من صميم واقع حياة المجتمع العباسي الذي عاش فيه، ولا تقتصر معايشة أبي عثمان لفئة اجتماعية دون أخرى، ولا أدل على ذلك من عناوين مؤلفاته التي تشير إلى كمّ هائل من الفئات الاجتماعية التي اختلف إليها، بدءا من الحكام وصولا إلى السوقة من سمّاكين، نجّارين، وغيرهم، حتى اعتبره أحد الباحثين أول المنظرين لعلم اللغة الاجتماعي[2].

من الوجوه الدالة على واقعية أبي عثمان من خلال مدونة البحث نذكر:

–استخراج المعاني بواسطة تصوير الواقع ووصفه: لاحظ أبو عثمان الواقع الحسّي لواصل ابن عطاء، الذي كانت تعتريه لثغة في حرف كثير الدوران في اللغة العربية وهو الراء، فأكبّ على تصوير لثغته مستقصيا كل جوانبها الصوتية، السمعية.

–استخراج المعاني بواسطة تحليل الواقع وتفهمه: تعدّى أبو عثمان نطاق تصوير ووصف الواقع، إلى صبر أغواره، مستفهما محللا، بين أبو عثمان في مدونة البحث بأن الألثغ قد يجد من أفراد مجتمعه تبرّما وسخرية، قد تصل إلى حدّ المقاطعة الاجتماعية؛ فزوجة أبي رمادة طلّقت لا

---

1 – الجاحظ: البيان والتبيين، 1968، ج2، ص174.

2 – حلمي، خليل: دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص156.

لشيء إلا لأنها لثغاء، مخافة أن تجيئه بولد ألثغ.

ب–العقلانية:

لا يمكن إغفال الاتجاه العقلي في مدونة البحث، وتتجلّى الخاصية العقلانية في المظاهر الآتية:

اعتماد أبي عثمان على التعريفات الخاصة بعيوب النطق، ومن انواع هذه التعريفات نذكر:

–التعريف بالتقسيم: انتقل من خلاله أبو عثمان من العام إلى الخاص، كعرضه للأحرف الأربعة التي تدخلها اللّثغة وهي: القاف والسين واللاّم والرّاء.

–التعريف بالحدّ: يقوم هذا التعريف بتحديد الصفة الذاتية للموصوف؛ فتعاريفه الحدّية لكل عيب نطقيّ على حدة، يعدّ من قبيل هذا الصنف من التعريف، عرّف أبو عثمان اللّفف، نقلا عن أبي عبيدة فقال:«إذا أدخل الرجل بعض كلامه في بعض فهو ألف، وقيل بلسانه لَفف»[1].

–التعريف بالتصنيف: صنّف أبو عثمان اللّثغة حسب مدارج السلم الاجتماعي: الشرف والحقارة، وحسب أثرها السمعي: اليُسر والعُسر.

–التعريف بالرسم: تبدّى في ذكر الصفات العرضية، للصموت مثلا، وهو الذي ثقل عليه الكلام لطول صمته، فـــ«كان لسانه يلتوي ولا يكاد يبين»[2].

جـــ–النقدية:

لم تكن أحكام أبي عثمان صادرة عن نظرة عجلى لأي جانب من جوانب موضوع البحث، فهو دائم التروّي، يقلّب الموضوع المدروس من جميع جوانبه؛ فعرضه لبعض أدواء جهاز النطق وتحديدا الأسنان جعله يسوق روايات بعض الخاصة مثل: سهل بن هارون، عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبعض العامة مثل: مبارك الزنجي الفاشكار، ليبثّ أخيرا رأيه الفصل بعد اعتماده على المعاينة:«وقد رأينا تصديق ذلك في أفواه قوم شاهدهم الناس»[3].

1 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص31.

2 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

3 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص46.

د-الشكيّة:

كان الشكّ المنهجي يلازم الجاحظ، الذي اعتبره مرحلة ممهدة لليقين، يقول: «اعرف مواضع الشكّ وحالاتها الموجبة لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له»[1]، حذا أبو عثمان حذو أستاذه أبي إسحاق النظّام (ت231هـ) الذي يقول:« لم يكن يقين قطّ حتى كان قبله شكّ»[2]، عبّر أبو عثمان عن شكّه بتوظيف ألفاظ دالة عليه مثل: «زعموا، قالوا»[3]، وإذا ما شكّ في صحة المسألة، قلّبها من جميع وجوهها، ليقطع بذلك الشكّ باليقين، وظّف أبو عثمان ما يدل عليه مثل:« قد صحت التجربة، وقد رأينا تصديق ذلك»[4].

هـ-الاستقرائية:

اعتمد أبو عثمان في جمع الجزئيات على السماع والمعاينة والتجربة، وترصّد هذه الجزئيات ترصّدا منهجيا، ثم راح يصوغ في ضوئها الكليات، ويمكن أن نمثل للاستقراء بفكرة القران (الاقتران) أو التنافر ليصوغ في ضوئها قانونا صوتيا للحروف التي لا تأتلف لا بتقديم ولا بتأخير، ليكون بذلك «أول من تكلم في تنافر الحروف في البلاغة العربية»[5].

2-المنهج التعبيري:

لأبي عثمان أسلوب أو طريقة تعبير خاصة به؛ فالأسلوب لا يعدو أن يكون شخصية مؤلفه، يمكن حصر خصائص المنهج التعبيري من خلال المدونة فيما يأتي: مرونة العبارة-الإسهاب-عدم تنقيح العبارة.

أ-مرونة العبارة:

تبدو العبارة عند أبي عثمان أداة طيّعة مرنة يوظفها كيفما أراد؛ فتارة تطول عبارته

---

1 - الجاحظ: الحيوان، ج6، ص35.

2 - المصدر السابق، الجزء السابق، ص36.

3 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص52.

4 - المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص46.

5 - مجيد عبد الحميد ناجي: الجاحظ والأثر الإغريقي في بحوثه البلاغية، ص111.

كقوله:«إذا كان في اللحم الذي فيه مغارز الأسنان تشمير وقصر سُمك ذهبت الحروف وفسد البيان»[1]، وتارة تقصر مثل: «قد صحت التجربة»[2]، فقصر وطول العبارات يساير المعاني المراد تبليغها، ومن العبارات ما تكون متقطعة تقطعا متساويا دون ما اعتماد على سجع، قال: «قد صحت التجربة، وقامت العبرة»[3]، وأحيانا ينثر أبو عثمان جمله وعباراته نثرا مقتفيا أثر الورّاقين، قال:«قال ذلك حين كان في كلامهم عجلة»[4].

ب-الإسهاب:

وعكسه الإيجاز والاختصار، فعادة ما يطيل أبو عثمان في جمله، ليبتعد عن الإشارة والتلميح، وما الإسهاب إلا وجه من وجوه الترديد، الحشو، الترادف، والاستطراد، يعلّل أبو عثمان ميله إلى الإسهاب، قائلا:«لأن الناس كلهم تعودوا المبسوط من الكلام، وصارت أفهامهم لا تزيد على عاداتهم، إلا بأن يعكس عليها ويُؤخذ بها»[5].

ومن المواضع التي وقع فيها الإسهاب؛ حديث أبي عثمان عن الخطباء، ويمكن أن نمثل له بقوله:«فلم يضرب هذا الشاعر الإيّادي المثل لهذا الخطيب الإيّادي»[6]؛ وقع الإسهاب في هذه الجملة بسبب تكرار لفظتن اثنتين هما: هذا والإيّادي.

جــ-عدم تنقيح العبارة:

لطالما ألف أبو عثمان على سجيّته، مبتعدا عن التكلّف، فجاءت عباراته موافقة لبساطته، وخفّة روحه؛ إذ لم تكن عباراته مثقله بما يُبهرجها، أو يجعلها معقدة، يمكن أن نمثل لعدم تنقيح العبارة، أو العفوية في التعبير، بقوله:«وقد شهدت أنا على هذه الخطبة، ولم أر جبانا قطّ أجرأ منه»[7]، فأبو عثمان يرسل عباراته على سجيّته، ولم يقف عندها منقحّا مبهرجا.

1 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1 ، ص46.

2 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

3 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1 ، ص46.

4 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص32.

5 – الجاحظ: الحيوان، ج1، ص89.

6 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص34.

7 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص33.

مما تجدر الإشارة إليه أن المنهج التعبيري قدساير طبيعة المنهج الفكري؛ فبساطة اللغة ومرونتها تناسبان كل المناسبة مقوّمات المنهج الفكري الذي انتهجه أبو عثمان، بدءا بالواقعية وصولا إلى الاستقرائية.

وقد تكون الغاية من وراء بساطة اللغة والفكر معا، اجتذاب أكبر عدد ممكن من القرّاء، ومن ثمة تحصيل الغاية التعليمية.

رابعـا: منقولات الجاحظ من خلال مدونة البحث :

اتسع (البيان والتبيين) لمنقولات الجاحظ المستقاة من شتى المصادر الفكرية والمعرفية، العربية والأعجمية، فمثل هذا المُصَنَفْ –لا الحصر– العصر العباسي بكل ما يميزه من زخم فكري وتألق علمي، فماهي طبيعة منقولات الجاحظ من خلال مدونة البحث؟ وكيف أوردها الجاحظ؟ وما موقفه من هذه المنقولات؟

1–أنواع منقولات الجاحظ:

تتضمن مدونة البحث نوعين من المنقولات: عربية وأعجمية.

1–1–منقولات عربية:

أ–منقولات شفوية :

اعتمد أبو عثمان في منقولاته الشفوية على رواة بصريين أمثال الأصمعي، أبو عبيدة؛ اللذين أوردا تعاريف لبعض عيوب النطق، مرفوقة بشواهدها الشعرية، ومن هذه العيوب التمتمة والفأفأة، ساق الأصمعي لهما شواهد شعرية داعمة لمعانيهما،من خلال شعر شاعريين يتمثلان في: رؤبة بن العجاج، والخولاني[1].

كما أورد أبو عثمان تعريفا لعيب نطقي هو اللفف، ساقه أبو عبيدة ضمن شاهد شعري لأبي الزحف الراجز[2].

ومن رواة الكوفة اعتمد أبو عثمان فيما اعتمد على ابن الأعرابي، الذي ساق معاني بعض

---

1 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص31.

2 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

عيوب النطق، مردوفة بشواهد من الشعر[1].

تعددت الشواهد الشعرية المتضمنة في المدونة، بتعدد شعرائها، نذكر منهم على سبيل المثال رؤبة بن العجاج الخولاني، النمر بن تولب...الخ.

عادة ما يستدل على الطبيعة الشفوية للمنقولات السابقة بقول أبي عثمان قال، قالوا، سمعنا، مثل:«وأنشدني ابن الأعرابي كلمة جامعة لكثير من هذه المعاني»[2]، وهو ما يدل على أن ابن الأعرابي عاصر أبا عثمان الذي أخذ عنه، وأفاد منه.

ب-منقولات مكتوبة:

نقلها أبو عثمان مما قرأ عن تصانيف شتى، وهذه المنقولات عادة ما تجمع بين شواهد شعرية وأخرى نثرية، وقد وردت قليلة العدد، مقارنة بالمنقولات الشفوية.

قلّما ينص أبو عثمان على طبيعتها المكتوبة، وإنما يستدل على هذه الطبيعة، من السياق الذي ترد فيه؛ فتقادم العهد بين عمر بن الخطاب والجاحظ، يوحي بأن هذا الأخير قرأ مرويات عن عمر بن الخطاب، الذي ساق له أخبار شتى في مدونته، يقول أبو عثمان: «وقال عمر ابن الخطاب –رحمه الله- في سهيل بن عمرو الخطيب...» [3].

يتضح مما سبق، أن أبا عثمان اعتمد في منقولاته أو مروياته الشفوية على رواة موثوق بهم أمثال الأصمعي (ت 216هـ)، أبي عبيدة (ت 210هـ)، ابن الأعرابي (ت231هـ)، «فهؤلاء كانوا المرجع الأساسي في رواية الأشعار الصحيحة، وجمعها، وهم: أبو عمرو بن العلاء والأصمعي وأبو عبيدة وأبو زيد الأنصاري ، وأبو الخطاب، الأخفش، وغيرهم من البصرة، والمفضل الضبي، وأبو عمرو الشيباني، وابن الأعرابي، وابن السكيت، وغيرهم من الكوفة»[4].

1-2-منقولات أعجمية:

وردت جل المنقولات المتضمنة في مدونة البحث عربية، يضاف إليها ما بثه أبو عثمان من

---

1 - المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص44.

2 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص44.

3 -المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

4 - عبد الرحمان الحاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر، (د،ط)، 2007، ص294.

شذرات عن ثقافة أعجمية، «تقول الهند: لولا أن الفيل مقلوب اللسان لكان أنطق من كل طائر يتهيأ في لسانه كثير من الحروف المقطعة المعروفة»[1]، كما نقل عن أرسطو الذي وصفه بصاحب المنطق، وذكر كتابه (الحيوان)، يقول: «ويؤكد ذلك قول صاحب المنطق، فإنه زعم في كتاب الحيوان أن الطائر والسبع والبهيمة كلما كان لسان الواحد منها أعرض كان أفصح وأبين، وأحكى لما يلقن ولما يسمع»[2].

تدل العبارة السابقة على اطلاع أبي عثمان على كتاب (الحيوان) لأرسطو، والمقصود بهذا الكتاب (طبائع الحيوان)، الذي يحوي مقالات عشر، قام بترجمته ابن البطريق، الذي عاصر أبا عثمان.

2-طبيعة منقولات أبي عثمان من خلال مدونة البحث:

لا تمتاز المنقولات السابقة بطبيعة واحدة، وإن تضمنتها مدونة واحدة، وجمعها كتاب واحد؛ فهي ثرية متنوعة ثراء (البيان والتبيين)؛ إذ تدلّ على معرفة واسعة تتراوح بين:

أ-معلومات تخص علم الحيوان:

تخلل كتاب (البيان والتبيين) منقولات مستمدة من صميم علم الحيوان، يمكن أن نمثل لها بقول أبي عثمان: «فإنّهم قالوا نظرنا إلى مقادم أفواه الغنم، فكرهنا أن تشبه مقادم أفواه الغنم»[3].

ب-معلومات تخص علم وظائف الأعضاء:

أدرك أبو عثمان أن كل عضو لم يخلقه الله عبثا، بل للقيام بوظيفة قد أوكلت له، تدل العبارة الآتية على هذا الإدراك: «فكم تظنهم -أكرمك الله- فقدوا من المنافع العظام بفقد تلك الثنايا»[4].

جـ-معلومات تخص علم الأنساب:

ذكر أبو عثمان نسب بشار بن بُرد، -حينما أدرجه ضمن خطباء الأمصار وشعرائهم،

---

1 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص48.

2 - المصدر السابق، الجزء السابق، ص47.

3 - المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص46.

4 - المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

والمولدين منهم–، فقال:«بشار الأعمى، وهو بشار بن بُرد، وكنيته أبو معاذ، وكان من أحد موالي بني عُقيل، فإن كان مولى أم الظباء على ما يقول بنو سدوس، وعلى ما ذكره حماد عجرد، فهو من موالي بني سدوس، ويقال إنه من أهل خراسان، نازلا في بني عقيل»[1].

د–معارف تخص علم الرواية:

كان أبو عثمان على دراية بعلم الرواية؛ إذ تفطن لبعض الدسائس في انتحال الروايات، ونسبها، ولا أدل على ذلك من عبارته الآتية:«ثم لم يحفل بها، فادعاها مسلم بن الوليد الأنصاري، أو ادّعيت له، وكان أحد من يجيد قريض الشعر وتحبير الخطب»[2].

هــ–معارف تخص علم النفس:

تفطّن أبو عثمان إلى تأثير ما بالنفس على الجسد؛ فطول التفكير والتزام الصمت أثقل لسان محمد بن الجهم أيام محاربة الزط، وهو ما يدل في الآن ذاته، على أن ترك العضو أداء وظيفته مدعاة لثقله وتصلبه، يقول أبو عثمان في هذا السياق: «وأية جارحة منعتها الحركة، ولم تمرنها على الاعتدال، أصابها من التعقد على حسب ذلك المنع»[3].

3–كيفية ورود المنقولات:

طبعت سمة العموم كيفية ورود المنقولات السابقة؛ فهو عادة ما يلتقطها التقاطا، ويبثها متفرقة غير منتظمة؛ ففي سياق حديثه عن نزع الزنوج ثناياها، يسوق بيتين من الشعر في اللثغ لأبي الهندي[4]، كما جنح أبو عثمان إلى الاختصار في نقل الروايات والأخبار.

وإجمالا لا تخرج كيفية ورود المنقولات عن الأبعاد العامة التي اتسم بها منهج أبي عثمان.

4–موقف الجاحظ من المنقولات:

لئن افتقد سوق أبي عثمان منقولاته إلى حسن التبويب، بسبب ما طبع منهجه من كثرة تداعي الأفكار التي نجم عنها كثرة الاستطراد، فإننا في المقابل لم نعدم من الجاحظ صفات شكلت في مجملها موقفا من هذه المنقولات، تتمثل هذه الصفات في:

أ–الصرامة العلمية:

---

1 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص38.

2 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص36.

3 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص184.

4 –المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص46.

أدت به إلى رد بعض الروايات وتفنيدها؛ فبعدما نقل رواية الواقدي عن بعض رجاله فيما يخص عقدة النبي موسى –عليه السلام–، لم يتردد في ردها دونما تعنيف، يقول: «وليس يدل القرآن على شيء من هذا، لأنه ليس في قوله: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾، دليل على شيء دون شيء»[1].

ب–الأمانة العلمية:

دفعت به الصرامة العلمية إلى أن يكون أمينا في نقل الروايات بشتى وجوهها، ثم النص على وجهها الصحيح؛ فقد روى الأصمعي شاهدا شعريا لرؤبة بن العجاج، وبيّن أبو عثمان وجها آخر لهذا الشاهد، رادا الوجه الأول بقوله: «وليس ذلك بشيء»[2]، مستعيضا عنه بشاهد شعري لأبي الزحف.[3]

ج–التواضع:

إذا ما استغلقت مسألة من المسائل على أبي عثمان، لا يجد مندوحة من فكّ لغزها، بطرق باب من يجد عنده ضالته، حتى ولو كان من عامة العامة؛ فقد سأل مباركا الزنجي الفاشكار[الفلاح] عن سرّ نزع الزنج ثناياها[4]، كما ترصد أبا دبوبة الزنجي، وهو يحاكي أصوات الحمير[5].

د–الإنصاف:

لطالما كان أبو عثمان صادقا مع نفسه، ومع الآخرين، دفع به صدقه إلى أن يقف موقف المنصف للأحنف بن قيس، قال أبو عثمان:«ولو استطاع الهيثم أن يمنعه البيان أيضا لمنعه، ولولا أنه لم يجد بدّا من أن يجعل له شيئا على حال لما أقر بأنه إذا تكلّم جلّى عن نفسه»[6]،كما حذا به إنصافه إلى تبيان الودّ الذي يجمع بين الكميت والطرماح، رغم ما بينهما من اختلاف وفرقة في القبيلة والمذهب.[7]

هـ–الحسّ الجمالي:

1–المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص31.

2 – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص34.

3 –المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

4 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 45- ص 46.

5 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 51- ص 52.

6 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 43.

7 – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص37.

تمتع أبو عثمان بحسّ جمالي، وقدرة على تذوق القول الجميل، لهذا ساق غرر الأبيات، ولطاف المعاني؛ من ذلك ما نقله عن عمر بن الخطاب ﷺ، يصف قول الأوسية:«قيل للأوسية أي منظر أحسن؟ فقالت: قصور بيض في حدائق خضر»[1].

5-جداول توضيحية لمعاني عيوب النطق:

أ-جدول توضيحي لمعاني عيوب النطق ذات المنشأ الفسيولوجي

العيب	التعريف	مرجعية	المثـــــال	مرجعية	الشـــــاهد	مرجعية
اللُثغة		/	كقولهم لأبـي يكسـوم أبـي يكثوم	29-28/01	قال أبو رمادة حين وجـد امرأتـه لثغاء: لُثْغَاءَ تَأْتِي بحَيْفَس أَلْثَغ تَمِيسُ فِي المُوشِي والمِصْبَغ	44/1
التمتمة	وقال الأصـمعي: إذا تتعتع اللسان في التاء فهو تمتام	31/1			وأنشد أيضا للخولاني في كلمة له: إنَ السِيَاطَ تَرَكْنَ لاستك منطِقًا كَمَقَالَة التَمْتَام لَيْسَ بمُعْرِب	31/1
الفأفأة	وقال الأصـمعي: ... وإذا تتعتع في الفـاء فهو فأفأء	31/1			قـال أبو الزحف: لَسْتُ بفَأْفَأ وَلاَ تَمْتَام وَلاَ كَثِيرْ الهُجْر فِي الكَلاَم	31/1
اللجلجة	/	/	/	/	وقـال اللهبي في اللجلاج: لَيْسَ خَطِيبُ القَوْم باللَجْلاَج وَلاَ الذِي يَزْحَلُ كَالهِلْبَاج	32/1
الألف أو اللفف	وقـال أبو عبيدة: إذا أدخل الرجل بعـض كلامه في بعض فهـو ألف وقيل بلسانه لفف	31/1	/	/	وأنشدني لأبي الزحف الراجز: كَأَنْ فِيهِ لَفَفًا إِذَا نَطَقْ مِنْ طُولِ تَحْبِيسٍ وَهَمْ وَأَرَقْ	31/1
العجلة	/	/	/	/	وأنشدني الأصمعي: حَدِيثُ بَنِي قُرْطٍ إِذَا مَا لَقِيْتَهُمْ كَنَزْوِ الدِبَا فِي العَرْفَج المُتَقَارِب[2]	32/1
حُبْسَة	ويقال في لسانه حبسة، إذا كان الكلام يثقـل عليه ولم يبلـغ حـد	/	/	/	/	32/1

[1] – المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص36.

[2] – البيت مجهول قائله، من بحر الطويل.

	الفأفاء، والتمتام					
عُقْلَة	ويقال في لسانه عقله، إذا تعقل عليه الكلام	32/1	/	/	/	/
عُقْدَة	قرنها أبو عثمان بالحبسة	8/1	/	/	قال تعالى: ﴿ **واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي** ﴾[1]	8/1
حُكْلَة	فإذا قالوا في لسانه حكلة فإنما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق وعجز أداة اللفظ، حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال. يقال في لسانه حكلة، إذا كان شديد الحبسة مع لثغ.	32/1 217/1	/	/	وقال رؤبة بن العجاج: لَوْ أَنَنِي أُوتِيتُ عِلْمَ الحُكْلِ عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلاَمِ النَمْلِ	32/1
الشغا	اختلاف نبتة الأسنان بالطول والقصر، والدخول والخروج	هامش 42/1	/	/	وقال عبيدة بن هلال اليشكري في هجائه له (زيد بن جندب): أَشْغَى عُقْبَاهُ وَنَابُ ذُو عَصَلْ وَفَلَحٌ بَادِ وَسِنٌ قَدْ نَصَلْ	42/1
الفلح	شق في الشفة العليا	هامش 42/1	/	/		
الضجم	والضجم: اعوجاج في الفم	43/1	/	/	وقال النمر بن تولب في شنعه أشداق الجمل: كَمْ ضَرْبَةٍ لَكَ تَحْكِي فَاقَرَاسِيَةٍ مِنَ المَصَاعِبِ فِي أَشْدَاقِهِ شَنَعٌ[2]	42/1- 43
الفقم	والفقم مثله (أي الضجم)	43/1	/	/	وفي الخطباء من كان أشغى، ومن كان أشدق، ومن كان أروق ومن كان أضجم، ومن كان أفقم	43/1
الروق	والروق: ركوب السن الشفة	43/1	/	/		

1 – سورة طه، الآية 27.

2 – البيت للنمر بن ثولب، من بحر البسيط.

*اعتمدنا في تخريج بعض أشعار وأرجاز هذا البحث على البيان والتبيين، ط2، 1961: فهرس الأشعار: ص 122- ص181 ، فهرس الأرجاز: ص 182- ص 187.

ب-جدول توضيحي لمعاني عيوب النطق يميلها مقام معين

العيب	التعريف	مرجعية	المثـــل	مرجعية	الشـــــــــــاهد	مرجعية
التشادق	فلان يتشادق إذا فتح فمــه واتسع أكثر	131/1			وعاب ... انتحال سعة الأشداق ثم اعلم -أبقاك الله- أن صاحب التشديق والتقعير والتقعيب من الخطباء والبلغاء...أعذر من عيي.	13/1
التقعير	أن يتكلم بأقصر قعر فمه	هامش 12/1				
التقعيب	في الكلام كالتقعير	هامش 12/1				
التفيهق	المتفيهقون الذين يتوســـعون في الكـــلام ويفتحـــون بـــه أفواههم مأخوذ من الفهـــق: وهو الامتلاء والاتساع	هامش 13/1			فمن أسوأ حالا -أبقاك الله- ممن يكون ألوم من المتشدقين ومن الثرثارين المتفيهقين.	13/1
النحنحة والسعلة	وذلك إذا انتفخ سحره، وكبا زنده، ونبا حده	33/1	/	/	وأنشدني سحيم بن حفص: نعُوُذ بِاللهِ مِنَ الإِهْمَالِ ومِنْ كَلاَلِ العَرَبِ فِي المَقَالِ ومِنْ خَطِيب دَائِمِ السُعَالِ	33/1
قبقاب وجاب	كثير الكلام – الجبان الفرق	هامش 44/1	/	/	وأنشدني (ابن الأعرابي) نحو هذا المعنى أيضا: أو سَكَتَ القَوْمُ فَأَنْتَ قَبْقَابْ أو قَدِمُوا يَوْمًا فَأَنْتَ وَجّابْ	44/1

جـ-جدول توضيحي لمعاني عيوب النطق، شاعت على ألسنة الأقوام غير العربية

العيب	التعريف	مرجعيته	المثل	مرجعيته	الشـــــــاهد	مرجعيته
الحكلة العجمة	كل ذي صوت لا يفهم إرادتـــه إلا ما كان من جنسه	الحيوان 32/1	/	/		
اللكنـــة	ويقال في لسانه لكنة إذا أدخـــل بعض حروف العجم في حروف العرب، وجذبت لسانه العـــادة الأولى إلى المخرج الأوّل	البيان والتبيين 32/1	/	/	وخلاف ما يعتري أصحاب اللكن من العجم	53/1
الرطانة	/	/	/	/	وأهل هذه اللغة وأرباب هذا البيان لا يستدلون على معاني هؤلاء بكلامهم كما لا يعرفون رطانة الرومي والصقلبي.	162/1

خـــاتمـــة

لا يخرج المنطلق الأوّل لأي بحث عند أبي عثمان الجاحظ عن فكره الاعتزالي، ذي الطابع العقلي: فكتاباته تعكس صورة العصر الذي عاش فيه، إذ تمثل ثقافته أزهى الثقافات رواية، تصنيفا وترجمة.

يخضع أبو عثمان الجاحظ مسائله للنقد، ويجعل الشك طريقا لليقين، ولا يروي غليله إلى الحقيقة سوى العيان الشاهد والخبر الصادق.

وهاهو ذا في (البيان والتبيين) يعرض لقضايا متنوعة في مجالات متعددة، من بلاغة، نقد، لغة وأدب؛ لهذا اصطبغت كتاباته بألوان الثقافات الوافدة، وتنوعت اتجاهاته بتنوع أساليب الأداء.

ما البيان إلا ثمرة من ثمار جهوده المبذولة في مجال الدراسات اللغوية والأدبية، حيث خصّه أبو عثمان الجاحظ بفائق العناية لما له من دور فعّال في إيصال المعنى بتعبير جميل وأداء متميز؛ فمدار البيان على تحقيق غاية الفهم والإفهام بواسطة دلالات لسانية كالخط، الإشارة واللفظ، أو غير لسانية كالعقد والنصبة.

كانت دراسة أبي عثمان الجاحظ للبيان، متشعبة ساقته إلى ترصد جملة من التنوعات اللغوية المعيبة، شكّل موضوع عيوب النطق إحداها، خصص له صفحات تندرج تحت عنوان «ذكر الحروف التي تدخلها اللثغة وما يحضرني منها»؛ عرض أبو عثمان بالدراسة لأنواع عيوب النطق، ساق لكل منها الشاهد والمثل بل ذكر أسماء وأخبار المصابين بها، وكان أبو عثمان بين الحين والآخر يسوق ملحة من الملح أو نادرة من النوادر الدالة على روح الفكاهة في شخص أبي عثمان الجاحظ، من شأن هذه الروح أن تبعد السآمة عن القارئ من طول تركيز النظر وإدمان الفكر.

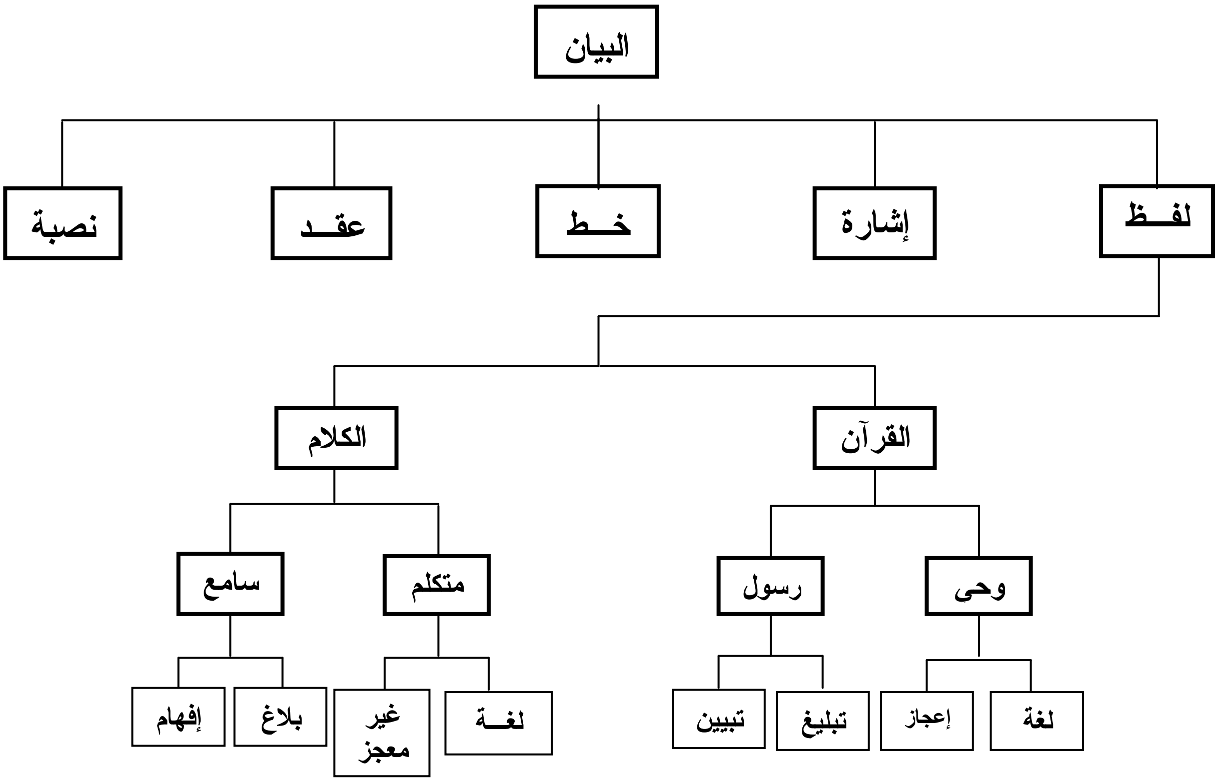
استند أبو عثمان الجاحظ في معالجته لموضوع عيوب النطق إلى معيار اجتماعي أساسه طبقة العامة والخاصة؛ فهو يعتقد بأن للغة طبقات كما للمجتمع طبقات، وفي سياق الحديث عن موضوع عيوب النطق، بيّن أبو عثمان مدى أهمية سلامة جهاز النطق؛ فسلامة النطق من سلامة أعضائه.

لم يخرج أبو عثمان في اقتراح العلاج لبعض عيوب النطق وأعضائه، عمّا ينادي به المحدثون من ضرورة الوقاية والاعتماد على الدربة والميران، والاعتماد على النفس والثقة بها.

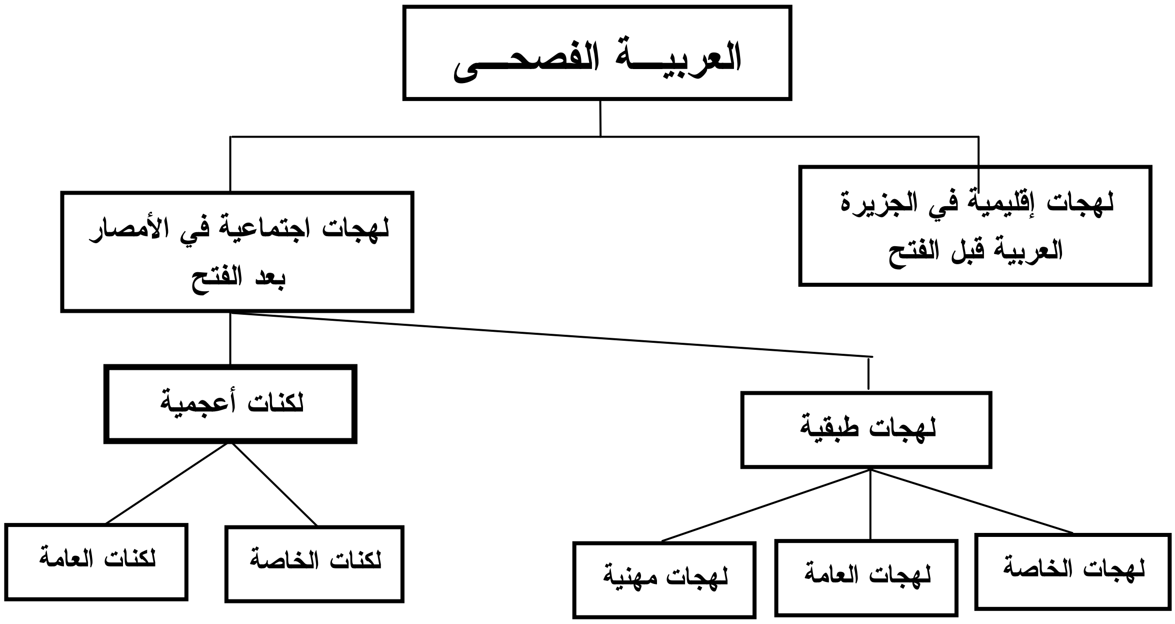
ولئن أفاد أبو عثمان في مدونة البحث من مرويات كان جلها عربيا وبعضها أعجميا؛ فإن هذه الإفادات لا تنتقص البتة من مكانة أبي عثمان العلمية؛ ذلك أن الأصالة العلمية تعني استيعاب ما كتبه الأولون، وحسن الانتفاع به والإفادة منه.

رغم ما عيب على الجاحظ من فوضى المنهج؛ بسبب كثرة الاستطراد؛ فدراسته للبيان وتنوعاته اللغوية المعيبة، وتصنيف بعضها حسب معيار اجتماعي، نتائج لا يمكن إغفال قيمتها، يمكن ترصد المعالم الكبرى لنظرية البيان عند أبي عثمان الجاحظ في الجداول الآتية.

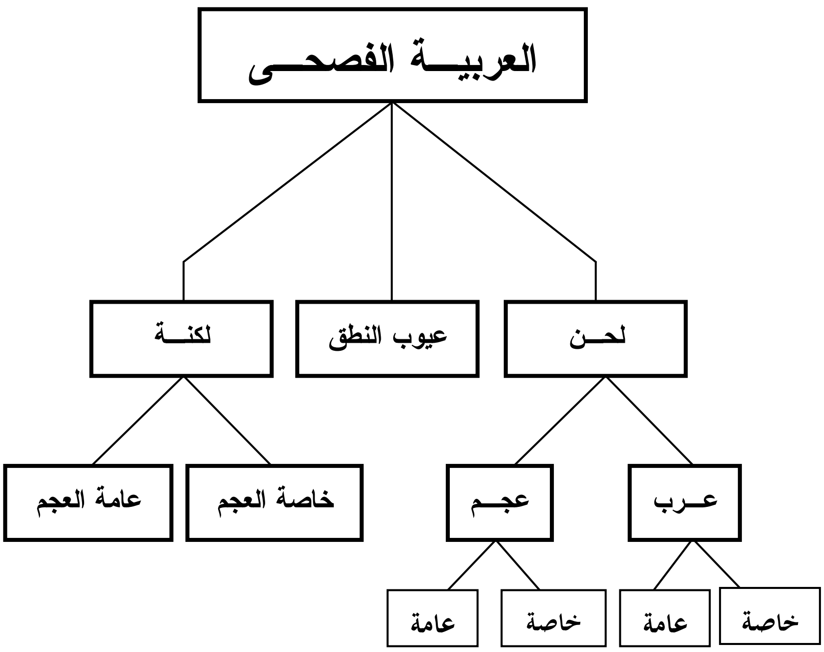
جــدول رقــم (01)



جـــدول رقم (02)



جـــدول رقم (03)



وأخيرا ما قمت به من عمل يسير على قدر استطاعتي، أسأل الله العظيم أن يبارك فيه، وينفع به إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلـــى آلـــه وصحبه أجمعين.

ملخص البحث

عالج البحث الموسوم بـ (**عيوب النطق عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين**) استنطاق مدونة حواها الجزء الأول من كتاب (البيان والتبيين)، وعنوانها : (**ذكر الحروف التي تدخلها اللثغة وما يحضرني منها**).

تركز هذا الاستنطاق على دراسة إحدى التنوعات اللغوية المعيبة للبيان، ونقصد بها ما اصطلحنا على تسميته بعيوب النطق: تكتسي الدراسة أهمية قصوى ؛ لأننا نهدف من ورائها إلى ربط عينة من موروث عربي جاحظي بما جادت به دراسات المحدثين.

انبنت الدراسة على مدخل وثلاثة فصول ؛ عالجت في المدخل إشكالية مصطلح عيوب النطق ؛ هذه الإشكالية الممثلة في فوضى وبلبلة المفاهيم الاصطلاحية بين القدماء والمحدثين من اللغويين العرب وبعض الأعاجم. أما الفصل الأوّل فعنونته بـ : (**تاريخ عيوب النطق بين تراث الأعاجم وتراث العرب**) ؛ تهدف الدراسة من خلال فرد هذا الفصل إلى تقييم آراء الجاحظ تقييما موضوعيا ؛ ومن ثمة إحلالها محلها المناسب من التطوّر التاريخي.

أفردت في الفصل الثاني ذي عنوان : (**معايير النطق بالأصوات اللغوية العربية**) ؛ ثلاثة مباحث هي: بعض مفاتيح علم الأصوات اللغوية، وعلم الفونولوجيا، على الأصوات النطقي، وأخيرا السمعي؛ اعتبارا أن عيوب النطق لا تعدو أن تكون انحرافات تمس تقطيع الأصوات أثناء النطق بها.

انبنى الفصل الأخير وعنوانه: (**عيوب النطق في البيان والتبيين**) على مبحثين اثنين هما على التوالي: عيوب النطق في ظل نظرية البيان – عيوب النطق من خلال كتاب (البيان والتبيين).

مراعاة لطبيعة فصول البحث ؛ استعنت بالمنهج التأريخي في فرد الفصل الأول، وتوسلت بالمنهج الوصفي التحليلي أثناء تحرير الفصلين الأخيرين.

انتهت الدراسة إلى جملة من النتائج يمكن حصر أهمها فيما يأتي:

- درس الجاحظ عيوب النطق من شتى مناحيها: تعريفا، تصنيفا، علاجًا، لتتقاطع نتائجه بنتائج الدارسين المحدثين.
- قام الجاحظ بدراسة بعض من عيوب النطق (اللثغة واللكنة) وفق معيار اجتماعي أساسه الخاصة من الناس وعامتهم، انطلاقا من أن للغة طبقات كما أن للمجتمع طبقات.

الكلمات المفتاحية: عيوب النطق، تقطيع، اللكنة، اللثغة.

LE SOMMAIRE

Le thème intitulé de « les troubles de l'articulation chez El Jahiz à partir de son livre « al-Bayān wa t-Tabyîn a abordé la mise en question de l'ouvrage étant contenu dans la première partie du livre al-Bayān wa t-Tabyîn, son intitulé : l'indication des caractères que le zézaiement influence dont je m'en souviens.

Cette mise en question s'est portée sur l'étude de l'une des diversités linguistiques défectueuses pour la « rhétorique», ce que l'on entend par le terme : les troubles de l'articulation (Orthophonie) . La présente étude a une grande importance car on a pour objet de mettre une liaison entre un échantillon du patrimoine D'el Jahiz et les études des chercheurs contemporains.

Cette étude se repose sur une introduction et trois chapitres. Dans l'introduction, j'ai abordé la problématique du terme « les troubles de l'articulation (Orthophonie) » qui représente les confusions des concepts conventionnels entre les anciens et les contemporains linguistes arabes et perses.

Tandis que le premier chapitre est intitulé de «l'historique des troubles de l'articulation (orthophonie) entre le patrimoine des perses et arabes. A travers ce chapitre, l'étude a pour objet d'apprécier les avis d'El Jahiz objectivement, et par ensuite les classer dans leur classement approprié suivant le développement historique.

J'ai divisé le deuxième chapitre intitulé de « les critères de la phonologie » en trois thèmes, savoir : selon la phonologie, phonétique et auditive, eu égard aux troubles de l'articulation sont des écarts qui affectent le découpage des sons lors de leurs prononciations.

Le dernier chapitre, intitulé de « les troubles de l'articulation 'orthophonie' dans le livre al-Bayān wa t-Tabyîn, se repose sur deux thèmes, savoir : les troubles de l'articulation à la lumière de la théorie de la rhétorique (al-Bayān) _ les troubles de l'articulation à partir du livre al-Bayān wa t-Tabyîn.

Eu égard à la nature des chapitre de ce thème, j'ai utilisé la méthode historique pour entamer le premier chapitre auquel j'ai adopté la méthode descriptive analytique lors la rédaction des deux derniers.

Il est issu de cette étude un ensemble de résultats dont les plus importants sont les suivants :

_ El Jahiz étudia les troubles de l'articulation sur les divers aspects : définitions, classification et son traitement, et finalement ses résultats et ceux des chercheurs contemporains se croisent.

El Jahiz étudia certains troubles de l'articulation (le zézaiement et l'accent) selon un critère social basé sur les gens particuliers et les gens généralement, suivant la langue qui a des classes aussi que la société a des classes.

Mots clé :

Troubles langagiers, Articulation, Accent, Bégaiment.

Summary of the Study

The study entitled "Articulation Defects by Eljahid through '*El bayan wa eltabyan'* " aimed at investigating his corpus: "*stating letters that contain lisp and what comes to my mind*", which was in the first part of his book. The study concentrated on tackling the linguistic variation that affects speech, otherwise, articulation defects.

The study aimed at finding out a link with Eljahid's Arabic heritage that was presented by many recent researchers. Hence, this purpose had made this study of a capital importance.

The study was built on preliminary and three chapters. In the preliminary chapter, the concept articulation defects had been treated and presented to differentiate it from different but related concept used among ancient and recent Arabic and foreigner linguists.

The first chapter was entitled "*In the History of Defects of Articulation between Arabs and Foreigners Heritage*". This chapter aimed at presenting Eljahid's views and evaluating them subjectively by situating them in the historical evolution.

The second chapter was entitled "*In the Linguistic Phonology*". It contained three subchapters: phonology, articulatory phonetics and acoustic phonetics. Articulation defects were considered as only deviations that cover splitting sounds when pronouncing them.

The last chapter entitled "*Articulation Defects in Speech*" was built on two subchapters: "*articulation defects under speech theory"* and "*articulation defects through Elbayan wa eltabyan"*

According to the nature of the study chapters, I used the historical approach in the first chapter and the analytical descriptive approach in the last two chapters.

At the end the study concluded with some results, most of which are:

-Eljahid studied articulation defects from different angles: definition, classification and treatment. Hence, his results were similar to those of recent researchers.

-Eljahid has studied some articulation defects through social measurement based on common as well as elite people in the belief that language had layers the same as society.

Key werds:

Language trouble, articulation, Accent, lisp.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أوّلا–قائمة المصادر:

- **أرسطو، طاليس**

1. الخطابة، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن بدوي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة (د،ط)، 1959.
2. كتاب النفس، تحقيق: أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط2، 1962.
3. أجزاء الحيوان، ترجمة: يوحنا بن البطريق، تحقيق و نشر وتقديم: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت،ط1، 1977.

- **الاستراباذي، رضي الدين**

4. شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادي، تحقيق وضبط وشرح: محمد نور الحسن وآخران، دار الكتب العلمية، بيروت (د، ط)، 1982.

- **ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزري**

5. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1981.

- **أندريه، إيمار، وجانين، أبوايه**

6. تاريخ الحضارات العام (الشرق واليونان القديمة)، ترجمة: فريدم. داغر وفؤاد ج. أبو ريحان، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 1986.

- **البغدادي، أحمد بن علي الخطيب**
- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، (د، ط)، (د،ت).
- **البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد**

7. في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، (د، ط)، 1958.

- **الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل**

8. فقه اللغة وأسرار العربية، منشورات، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د، ط)، (د، ت).

- **الجاحظ، عمرو بن بحر**

9. البيان والتبيين، دار إحياء التراث العربي،بيروت، (د، ط)، 1968.
10. البيان والتبيين، تحقيق و شرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ومكتبة المثنى، بغداد، ط2، 1961.
11. المحاسن والأضداد، تحقيق: فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، (د، ط).
12. نوادر الجاحظ، تقديم: جميل جبراء، دار الشرق العربي، بيروت، (د، ط)، 1955.
13. كتاب الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1965.

- **ابن الجزري، الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي**

14. النشر في القراءات العشر، تصنيف ومراجعة: علي محمد الضباع، دار الفكر، بيروت، (د، ط)، (د، ت).

- **ابن جني، أبو الفتح عثمان**

15. سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1993.

- **ابن خلدون، عبد الرحمن**

16. تاريخ العلامة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، مكتبة المدرسة، بيروت، (د،ط)، 1982.

- **الرازي، قمر الدين**

17. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، المطبعة البهية المصرية، مصر، ط1، 1938.

- **الزوزني**

18. تأريخ الحكماء وهو مختصر الزّوزني المسمّى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، لجمال الدّين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، مكتبة المثنى، بغداد، مؤسسة الخانجي، مصر، (د، ط)، (د، ت).

- **سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر**

19. الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.

- **ابن سينا، أبو علي الحسين بن علي**

20. أسباب حدوث الحروف، مراجعة وتقديم: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (د، ط)، 1978.
21. القانون في الطب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د، ط)، (د، ت).

- **عبد السلام محمد هارون**

22. تهذيب الحيوان للجاحظ، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، (د، ط)، 1975.

- **أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي**

23. مجاز القرآن، تعليق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار غريب للطباعة، القاهرة، ط2، 1988.

- **العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل**

24. كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د، ط)، 1986.

- **ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي**

25. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق وضبط وتقديم: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993.

- **القلقشندي، أحمد بن علي**

26. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987.

- **المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد**

27. الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، والسيد شحاتة، القاهرة، (د، ط)، 1956.
28. الكامل في اللغة والأدب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د، ط)، (د، ت).

- **ابن النديم، محمد بن إسحاق**

29. الفهرست، تحقيق وتقديم : مصطفى الشويمي، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، (د،ط)، 2007.

- ابن يعيش، موفق الدين بن علي

30. شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، (د، ط)، (د، ت.

ثانيا-قائمة المعاجم والقواميس:

- إبراهيم، أنيس

31. المعجم الوسيط، إشراف: حسن علي عطية ، محمد شوقي أمين ، مطابع دار المعارف ، مصر ، ط2 ، 1972 .

- الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف

32. كتاب التعريفات، تحقيق: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، (د، ط)، (د، ت).

- الخليل بن أحمد الفراهيدي

33. كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السّامرائي، دار و مكتبة الهلال، بيروت، (د، ط)، (د، ت).

- رمزي منير بعلبكي

34. معجم المصطلحات اللغوية، إنكليزي، عربي، دار العلم للملايين، مطبعة العلوم، (د، ط)، (د، ت).

- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي

35. المخصص، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د، ط)، (د، ت).

- عبد السلام ، المسدي

36. قاموس اللسانيات (عربي - فرنسي)، (فرنسي - عربي)، مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب،تونس، (د، ط)، 1984.

- المناوي، محمد عبد الرؤوف

37. التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، 1990.

- ابن منظور، محمد بن مكرم

38. لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (د، ط)، (د، ت).

- **ميشال، عاصي، و بديع، يعقوب**

39. المعجم المفصل في اللغة والأدب، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987.

- **ياقوت ، الحموي**

40. معجم الأدباء، دار المستشرق، بيروت، (د، ط)، (د، ت).

ثالثا–قائمة المراجع:

- **إبراهيم، أنيس**

41. الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1971.

- **أحمد مختار عمر**

42. البحث اللغوي عند العرب، مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ط6، 1988.

43. دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، (د، ط)، 1991م.

- **أمين علي السيّد**

44. في علم النحو، دار المعارف، مصر، ط1، 1975.

- **البدراوي، زهران**

45. في علم الأصوات اللغوية وعيوب النطق، دار المعارف،القاهرة، ط1، 1994.

- **بلا، شارل**

46. الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1985م.

- **بول، غليونجي**

47. قطوف من تاريخ الطب، دار المعارف، القاهرة، (د، ط)، (د، ت).

- **تمام ، حسان**

48. اللغة العربية، معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د، ط)، 1979.

49. اللغة بين المعيارية والوصفية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د، ط)، 1958.

50. مناهج البحث في اللغة، القاهرة، (د، ط)، 1955.

- **جميل، جبرا**

51. الجاحظ، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرية، بيروت، (د، ط)، 1959.

- **جورج ، مونين**

52. تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة: بدر الدين القاسم، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، (د، ط)، 1972.

- **حسن ، السندوبي**

53. أدب الجاحظ، المكتبة التجارية، القاهرة، ط10، 1931.

- **حلمي ، خليل**

54. العربية وعلم اللغة البنيوي – دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د، ط)، 1995.

- **خليل إبراهيم العطية**

55. في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد الجمهورية، (د،ط)، 1983.

- **ديفيد، ايركرومي**

56. مبادئ علم الأصوات العام، ترجمة و تعليق: محمد فتيح، ط1، 1988.

- **رمضان ، عبد التواب**

57. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1985.
58. فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1983.

- **ريمون، طحان**

59. الألسنية العربية، الألسنية 1، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 1981.

- **سلامة، إبراهيم**

60. بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1952.

- **سميح، أبو مغلي**

61. في فقه اللغة وقضايا العربية، دار مجدلاوي، عمّان، الأردن، ط1، 1987.

- **طه ، الحاجري**

62. الجاحظ، حياته وآثاره، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1967.

• **طه، ندا**

63. اللغة الفارسية تاريخ وقواعد ونصوص، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ط)، (د، ت).

• **عبد الجليل عبده شلبي**

64. الخطابة إعداد الخطيب، دار الشروق، بيروت، ط3، 1987.

• **عبد الحكيم، بلبع**

65. أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري، دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة، القاهرة، ط2، 1969.

• **عبد الرحمن، الحاج صالح**

66. السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر، (د،ط)، 2007.

• **عبد الرحمن، أيوب**

67. الكلام إنتاجه وتحليله، مطبوعات الجامعة، جامعة الكويت، ط1، 1984.

• **عبد العزيز، مطر**

68. لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (د، ط)، 1966.

• **عبد القادر الفاسي الفهري**

69. اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، منشورات عويدات، بيروت، المشرق، ط1، 1986.

• **عبده ، الراجحي**

70. فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، (د،ط)، 1972.

• **علي بوملحم**

71. المناحي الفلسفية عند الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د،ط)، 2009.

• **علي عبد الواحد وافي**

72. اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، (د، ط)، (د، ت).

- **عوض محمد القوزي**

73. المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط1، 1981.

- **غانم قدّوري الحمد**

74. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمّار، عمّان الأردن، ط1، 2003.

- **فردينان، دي سوسير**

75. دروس في الألسنية العامة، تعليق: صالح القرمادي وآخران، الدار العربية للكتاب، تونس، (د.ط)، 1985.

- **فيصل محمد خير الزراد**

76. اللغة واضطرابات والنطق والكلام، دار المريخ للنشر، الرياض، (د، ط)، 1990.

- **كريم زكي حسام الدين**

77. أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د،ط)، 1985.

- **كمال محمد بشر**

78. علم اللغة العام، القسم2، الأصوات، دار المعارف، مصر، (د، ط)، 1971.

- **ل، ديورانت**

79. قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، ط3، 1965.

- **لويس، رينو**

80. الأدب الهندي، ترجمة: بهيج شعبان، دار بيروت للطباعة والنشر، (د،ط)،1955.

- **ماريو ، باي**

81. أسس علم اللغة، ترجمة و تعليق: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1987.

- **محمد الصغير، بناني**

82. النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط)، 1994.

- **محمد حرب فرزات**

83. مدخل إلى تاريخ فارس وحضارتها القديمة قبل الإسلام، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، (د،ط)، 1989.

- **محمد عبد الرحمن مرحبا**

84. الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، 1981م.

- **محمد عبد المنعم خفاجي**

85. أبو عثمان الجاحظ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د، ط)، (د، ت).

- **محمد كرد علي**

86. أمراء البيان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (د، ط)، 1937.

- **محمد، الأنطاكي**

87. المحيط في أصوات العربية، ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت، ط3، (د، ت.

- **محمود، السعران**

88. علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ط)، (د، ت).

- **مصطفى، فهمي**

89. أمراض الكلام، دار مصر، الفجالة، القاهرة، ط4، (د، ت).

- **مهدي، المخزومي**

90. الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986.

- **نايف، خرما**

91. أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د،ط)، 1978.

- **نور الدين، آل علي**

92. دروس اللغة والأدب الفارسي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، (د، ط)، (د، ت).

رابعا-قائمة الدوريات والرسائل:

- **أحمد كمال زكي**

93. « الجاحظ، معلم الفكاهة »، مجلة الهلال، العدد8، أوّل أغسطس، 1966.

- **أحمد مختار عمر**

94. الدراسات الصوتية وتعليم اللغة العربية للأجانب، مجلة وقائع تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، مكتبة التربية العربية لدول الخليج، المدينة المنورة، جمادى الأولى، جمادى الآخرة، رجب، 1401هـ.

- **أحمد، وافي**

95. الإسلام علم وحضارة، مجلة منبر الإسلام، العدد الثامن السنة 26، شعبان 1988.

- **آمنة، ابن مالك**

96. الحروف العربية- دراسة لغوية صوتية، إشراف: هادي نهر، رسالة ماجستير في فقه اللغة، معهد الأدب واللغة العربية، جامعة قسنطينة، 1982.

- **خولة، طالب الإبراهيمي**

97. بعض الملاحظات حول الأصوات والحروف العربية، أرطوفونيا: المجلة العلمية للجمعية الجزائرية للأرطوفونيا، جامعة الجزائر، 1994-1995.

- **سميح، أبو مغلي**

98. جهود علماء العرب في دراسة الأصوات اللغوية، الفيصل، مجلة ثقافية شهرية، جمادى الآخرة، (1406هـ)، آذار (مارس) 1986، السنة 9، عدد 108.

- **عبد الرحمن، الحاج صالح**

99. مدخل إلى علم اللسان الحديث ، المجلد الثاني، العدد الأوّل، 1972.

100. مدخل إلى علم اللسان الحديث (4)، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، 1973-1974، ع4.

- **محمود فهمي حجازي**

101. اللغة العربية عبر القرون، وزارة الثقافة، دار الكاتب العربية، القاهرة، المكتبة الثقافية، جامعة حرّة، العدد 197.

- **هادي، نهر**

102. بين الحرف والصوت، محاضرات في الصوتيات، نقلا عن الحروف العربية، دراسة لغوية صوتية.

فهرس الموضوعات

الفصل الأول
تاريخ عيوب النطق بين تراث الأعاجم و تراث العرب

الفصل الثاني
معايير النطق بالأصوات اللغوية العربية

الفصل الثالث
عيوب النطق في البيان و التبيين

الفهارس